هانز كريستيان أندرسن

حكايات أندرسن

Twitter: @alqareah
20.2.2017

ترجمة
الدكتور توفيق علي منصور

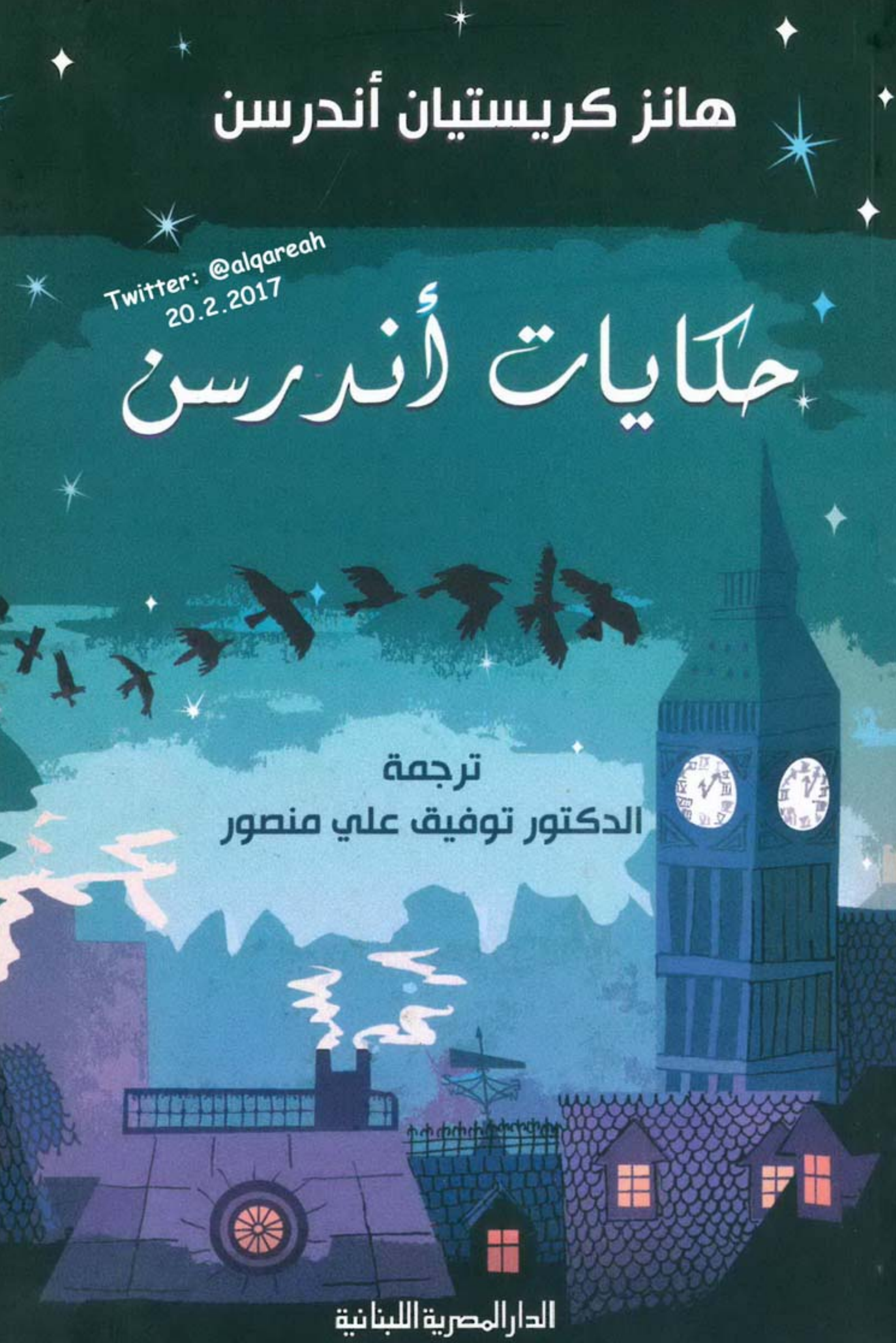

الدار المصرية اللبنانية

هانز كريستيان أندرسن

حكايات أندرسن

ترجمة
الدكتور توفيق علي منصور

الدار المصرية اللبنانية

Twitter: @alqareah

حكايات أندرسن

Twitter: @alqareah

أندرسن ، هانز كريستيان، 1805 - 1875.
حكايات أندرســن/ تأليف هانز كريستيان أندرسن؛ ترجمة توفيق علي منصور
.- ط1.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2014.
320 ص ؛ 21 سم .
تدمك : 6 - 842 - 427 - 977 - 978
1 - القصص الدانماركية.
2 - الأدب الشعبي - الدنمارك.
أ ــ منصور ، توفيق علي (مترجم)
ب ــ العنوان 839.893
رقم الإيداع : 16182 / 2013

©

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت القاهرة .
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + - ص.ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى : ربيع أول 1435هـ - يناير 2014م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية ، ولا يجوز ،
بأي صورة من الصور ، التوصيل ، المباشر أو غير المباشر ، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف ، أو نسخه ، أو تصويره ، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه ، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

Twitter: @alqareah

الإهـــداء

إلى أحفادي

أحمـد

وآيـة

ومريم

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

مقدمة المترجم

في عام 2004 أصدرت الهيئة العامة لقصور الثقافة في سلسلتها «آفاق عالمية» مجموعة من الحكايات الشعبية التي دارت في قرى ألمانيا، جمعها الأخوان جاكوب وفيلهيلم جريم في الفترة من 1807 حتى 1814، وأصدراها باللغة الألمانية في عاميْ 1812 و1815، ثم تُرجمت إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية وغيرها، فأحدثت دويًّا هائلًا في أوروبا، وظهر بعضها في أنحاء متفرقة من أوروبا والشرق الأوسط وآسيا، ومصر والعالم العربي، حتى نفدت في اليوم الأول من توزيعها. وطالب القراء بإصدار طبعة ثانية ليرووا بها عطشهم لقراءتها ويسترشدوا بها في دراساتهم للأدب الشعبي وأدب الطفل وفن السرد وغير ذلك.

ونظرًا لضرورة تنويع المصادر لإثراء الساحة بالحكايات الشعبية، ورغبةً في عقد مقارنات مثمرة بين مختلف الأجناس الأدبية، فقد أقدمت على ترجمة حكايات مماثلة صدرت في الدنمارك، ووضعتها تحت عنوان: (**حكايات الجن الدنماركية**).

تقول **دائرة المعارف الأمريكية (ويرلدبوك** *The World Book Encyclopedia*) عن جامع هذه الحكايات: هانز كريستيان أندرسن (1805–1875) إنه من أشهر مؤلفي الدنمارك، وإن قصص الجن التي ألَّفها من أشهر الأعمال في العالم، وهي تبث الحكمة ببساطة شديدة. وحكايات الجن يقرؤها الصغار والكبار وذات تأويلات ومعانٍ هادفة، ولكل حكاية أسلوب،

Twitter: @alqareah

ويمكن تصنيف بعضها في الأدب الشعبي وأدب الأطفال مثل «كلاوس الصغير وكلاوس الكبير» و«القداحة» و«ملابس الإمبراطور الجديدة».

وُلد هانز في أودينسا Odense بالدنمارك في 2 أبريل 1805 لأب فقير، كان يعمل صانع أحذية، مات وولده هذا في الحادية عشرة من العمر. كان أبو هانز متعلمًا بينما كانت أمه غير متعلمة وتؤمن بالخرافات. وكان هانز رقيق الإحساس واسع الخيال ذا طموح إلى الشهرة، وقد تلقى تعليمًا في المدارس بقدر محدود.

رحل الطفل ذو الأربعة عشر ربيعًا إلى كوبنهاجن، يداعبه أمل في أن يحترف الغناء أو الرقص أو التمثيل، وبعد كثير من الإحباط والمعاناة نجح في الالتحاق بالمسرح الملكي في كوبنهاجن، وسرعان ما غادره. وبدأ يكتب مسرحيات رفضها جميعًا المسرح الملكي. وفي عام 1822 ساعدَه جوناس كولين أحد مديري المسرح والموظف الحكومي المرموق على الالتحاق بمنحة دراسية في المدرسة الثانوية في سلاجيس، وأقام في منزل مدير المدرسة. وفي 1827 أخرجه كولين، من المدرسة وهيأ له تعليمًا خاصًّا، حتى أتيحت له الفرصة للالتحاق بجامعة كوبنهاجن حيث أكمل تعليمه.

نشر أندرسن أول قصيدة له بعنوان: «طفل يصارع الموت» عام 1827 في جريدة كوبنهاجن. وفي أعقابها نشر عدة قصائد ومسرحيات وروايات. وفي عام 1831 زار ألمانيا فألهمته كثيرًا من الإبداعات في أدب الرحلات في السويد وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال والشرق الأوسط. وذاع صيته بعد نشر «حكايات الجن الدنماركية» التي كتبها بين سنتيْ 1835و1872.

Twitter: @alqareah

وتُوفي هانز دون أن يتزوج، رغم أنه أحب ثلاث فتيات؛ لكنهن لم يبادلنه الحب.

أين تقع حكايات الجن من الموروث الشعبي Folklore؟

تفضل المترجمون العرب الأوَّلون بترجمة كلمة Folklore بأنها الفلكلور، دون أن يفسروا معناها، وكأنهم بهذا فسَّروا الماء بعد الجهد بالماء. فماذا تحمل اللغة العربية من مدلول يفسر هذه الكلمة؟ فالمعروف أن كلمة Folk تعني الشعب، وأن كلمة lore تعني معرفة التراث؛ وبهذا يصير معنى كلمة Folklore التراث الشعبي من الفنون والآداب.

ويقول العالم W.J.Thoms دبليو جي تومس الذي أبدع هذا المصطلح في عام 1846 إنه: «دراسة رؤى وعادات وأفكار ومعتقدات وتقاليد وخرافات ومفاخرات، انتشرت بين عامة الناس؛ فهو علم إحياء الأفكار والمعتقدات القديمة في العصور الحديثة»[1].

وتفسر هذا المصطلح **دائرة المعارف الأمريكية** *The Encyclopedia Americana* قائلة: إنه جزء من الثقافة والعادات والمعتقدات في مجتمع مستمد من التراث الشعبي، أفرزه المجتمع وانتقل شفهيًّا، ويشمل القصص الشعبية والشعر والفنون والآداب والحرف المهارية والموسيقى والرقص.

ويعيش الموروث الشعبي عادة في المجتمعات المغلقة مثل مجتمع رعاة البقر في أمريكا والأرجنتين، وزنوج أمريكا والغجر في غربي أمريكا ووادي الأمازون ووسط أفريقيا وأستراليا، وما يطلق عليه المجتمعات البدائية.

Twitter: @alqareah

وعندما انتشر التعليم في جمهوريات الحكم الذاتي السوفييتية ودول أفريقيا الجديدة والمجتمعات الأمريكية المتخلفة، صار الموروث الشعبي في خطر، حتى ثارت صيحات تنادي بتدوين ما يمكن تدوينه منه. وقد حاول الأمريكيون معادلة كلمة الشعب بالرعاة، ولكن الرعاة الآن انضموا إلى المدن، التي صارت وعاء لحفظ الموروث وأمًّا لإبداعه[2].

وتؤكد هذا المفهوم **دائرة معارف ويرلدبوك**، فتقول: «إن الموروث الشعبي Folklore هو كل ما تتناقله الأجيال من معتقدات وعادات وتراث في الحكايات الشعبية Folk Tales والمواويل Ballads وحكايات الجن Fairy Tales والأساطير التاريخية Legends والأساطير الدينية Myths، كما يشمل الفنون والحِرَف والرقص والألعاب وأناشيد الحضانات والأشعار والسجع والألغاز والفوازير والأناشيد والأغاني والخرافات والاحتفالات الدينية والاحتفالات في الرحلات والعطلات»[3].

والغرض من الأسطورة الدينية المرتبطة بالطقوس هو دعم الروابط الدينية في المجتمع الوثني الذي تتعدد فيه الآلهة، وتهدف الأسطورة التاريخية إلى إبلاغ الأطفال بالسلف وهجرات الشعوب والبطولات، بينما القصد من حكايات الجن هو مجرد التسلية.

تاريخ الدراسات في الموروث الشعبي:

أشاد هوميروس في **الإلياذة** بالمدح عند الآلهة، وذكر أبيوليوس Apuleius الروماني في القرن الثاني الميلادي في كتابه **الحمار الذهبي** *The Golden Ass* كثيرًا من الحكايات الشعبية. ويعتبر الباحثون في الموروث الشعبي كلًّا من جلجاميش وشمشون وثيزيوس وهرقل وموسى من الأبطال الشعبيين.

Twitter: @alqareah

واستخرج إيسوب الحكمة والموعظة الحسنة من قصص الحيوان. ويعتبر بيرْيوس Pereus نمطًا متكررًا لقاتل التنين. وفي **الإنجيل** قَتَل داود يورايا بخطاب مسمم. وفي الأساطير الإغريقية تحول بيليوس إلى حصان، وتحول أبيوليوس إلى حمار. وقد صنع تشوسر ورابيليه وبوكاشيو أدبًا من الحكايات الشعبية والمواويل.

وفي القرون الوسطى، شاعت الحكايات الشعبية مجهولة المؤلف، حتى إذا اختُرعت الطباعة انتشرت الحكايات الشعبية بين الطبقات العليا من المجتمع، بينما ظلت الطبقات الدنيا تتناقلها شفاهة.

وفي عام 1704 تجدد التراث الشعبي الأوروبي عندما ترجم آنتوني جاللاند **ألف ليلة وليلة** التي أحدثت دويًّا هائلًا في الأدب الأوروبي، حتى صدرت **الحكايات الشرقية** و**كانديدي** لڤولتير وأمراء سرنديب الثلاثة.

وفي القرن التاسع عشر، تصدى الأخوان الألمانيان جاكوب وفيلهيلم جريم لجمع الحكايات الشعبية من ألمانيا من فلاحي منطقة كاسيل منذ 1807 حتى 1814، وفي عام 1812 و1815 أصدراها في كتاب **حكايات الجن الألمانية** *Grimm's Fairy Tales* فكانت كالقنبلة التي انفجرت في أوروبا، وظهر بعضها في أنحاء متفرقة من أوروبا والشرق الأوسط وآسيا. ويعتبر هذان الأخوان من الثقاة في سرد القصص الغنائي وخاصة المواويل، وتبعهما كثيرون في ألمانيا مثل كارل مولينهوف وأوسكار دانهاردت.

كما يعتبر الشاعر الصربي الكرواتي آفدو ميديدوڤيتش مبدعًا للأغاني التي ينشدها مستوحاة من الموروث الشعبي الشفاهي الذي يذكِّرنا بهوميروس مبدع **الإلياذة** و**الأوديسا** في استخدامه التراث الشعبي.

Twitter: @alqareah

وكان الشاعر الإنجليزي جوفري تشوسر يقرأ **حكايات كانتربيري** بصوت عالٍ في قصر الملك ريتشارد الثاني.

وغنى الشاعر النورماندي الرحال تاييفير في طليعة الجيش الفرنسي في معركة هيستنجز، وكان المستمعون أبطالًا يضاهون أبطال الحكايات التي ينشدها.

وفي الدنمارك ظهرت أسماء لجامعي الحكايات الشعبية مثل نيقولاي جروندفيج وولده سفينج، وإيوالد تانج كريستنين، وهانز كريستيان أندرسن.

وفي النرويج ظهر القديس يورجين إنجبيرتسون، وفي السويد جمع آرفيد آفزيليوس مجلدات للأغاني الشعبية.

وفي إنجلترا جمع چوزيف ريتسون القصائد والأغاني الشعبية والمواويل، وأشهرها موال **روبنهود**.

وفي أيرلندا كتب توماس كروفتون كروكر أساطير الجن التاريخية والتراث في جنوبي أيرلندا. وفي فرنسا جمع پول سبيللوت تراث الحياة والعادات والتقاليد والخرافات، كما جمع يوجين رولاند حكايات شعبية عن الحيوان والنبات.

وفي روسيا جمع آفاناسيف **حكايات الجن الروسية** مثل الأخوين جريم، وأصدر ي.م. سوكولوف **تاريخ الموروث الشعبي الروسي**.

وفي أمريكا أوضح العالم في علوم الإنسان ميلفي جاكوبز في ملحمته **الناس حالًا قادمون** كيف تجاوب معه المستمعون الهنود في كلاكاماس في

Twitter: @alqareah

العلاقات الاجتماعية والتلميحات الجنسية والطقوس الحركية في الحكايات التي يحكيها لهم. وفي قرية مجرية عرضت ليندا ديغ كيف صاح الجمهور تجاوبًا مع إنشادها حكاية الشتاء.

وفي القرن العشرين، بدأ العالم في غربي الكرة الأرضية يهتم بجمع التراث. ومن أشهر جامعيه ماريوس باربو وفرانز بوس وريتشارد دورسون وريتشارد تشيس وماري كامبيل وهيربيرت هالبيرت وفانس راندولف[4].

ومن هذا السرد التاريخي الموجز يتبين أن الفنون والآداب الشعبية قديمة قِدَم الإنسان؛ إذ تدل آثار الشعوب القديمة على أنماط منها مارسها الإنسان البدائي. وبعد تطور الكتابة سُجِّلت أولًا على شكل قصص شعبية، وظل الكثير منها ينتقل من شخص إلى آخر، حتى إن بعض الشعوب ليست لها لغة مكتوبة حتى الآن، ولكنها تسجلها في الأناشيد والأغاني والأساطير التاريخية والأساطير الدينية، وبعض الأشكال الأخرى التي تحفظ الأحداث والشخصيات.

وإذا انتقلت القبائل من مناطقها القديمة حملت معها تراثها وفنونها إلى المناطق الجديدة حيث تتعايش مع بيئتها. فمنذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر نزح الآلاف من غربي أفريقيا إلى نصف الكرة الغربي، وعملوا كعبيد ونقلوا إليه قصصهم مثل «العنكبوت الداهية آنانسي» الذي صار شخصية شعبية في أدب الزنوج في غربي أفريقيا وفي مناطق البحر الكاريبي[5].

وبعد هذا السرد التاريخي للموروث الشعبي يطيب لنا أن نذكر خصائص هذا الموروث الشعبي، قبل أن نسترسل في ذكر أنواعه.

Twitter: @alqareah

خصائص الموروث الشعبي:

قد يكون الموروث قصيرًا وبسيطًا، وقد يكون طويلًا ومعقدًا. فالحِكَم مثل «الزمن يطير» و«المال يتكلم» أمثلة معروفة في الموروث الشعبي Folklore. وبعض المسرحيات في إندونيسيا تبدأ عند الغروب وتنتهي عند الفجر.

ويصعب عمل موروث شعبي؛ فالأغاني والحكايات والموضوعات الأخرى صارت موروثًا شعبيًّا تفكر فيه مختلف الشعوب. وهناك أشخاص تتوافر لديهم قدرات نادرة لإبداع موضوع أو عرض أسلوب يعجب الآخرين عبر الزمان. فالموروث الشعبي ينتعش فقط حين يحوز الإعجاب.

ويعتبر أي موضوع يُروَى بطريقتين على الأقل من الموروث الشعبي، ويجب أن يمر بأكثر من حقبة ومكان. فمثلًا، حقق الباحثون أكثر من ألف رواية لحكاية **سندريلا**، مرت بعدة أقطار بما فيها الصين وفرنسا وألمانيا وتركيا على مر مئات السنين.

وتَحْدُث التغيرات في الموروث الشعبي؛ نظرًا لانتقاله من شخص إلى آخر، وتسمى هذه التغيرات تنويعات Variations، تحدث في الكلمات أو الموسيقى أو الأغاني. فالقصيدة الواحدة يمكن أن تُغنَّى بأنغام مختلفة، كما يمكن إدخال كلمات مختلفة على اللحن الموسيقي(6).

والموروث الشعبي يشمل فنونًا شعبية مثل الرقص والموسيقى والحرف المهنية والأدوات والتماثيل وغيرها، كما يشمل الآداب الشعبية مثل الأساطير والحكايات الشعبية وحكايات الجن والأغاني الشعبية والخرافات والأمثال الشعبية وأنظمة الاحتفالات في العطلات والأعياد والمراسم، وهي الموضوعات التي ترتكز عليها هذه الدراسة.

Twitter: @alqareah

أنواع الموروث الشعبي:

الأساطير Myths: وهي حكايات تشرح كيف نشأ العالَم حتى بلغ شكله الحالي. وتختلف الأسطورة عن الحكايات الشعبية في أن الأسطورة تعتبر حقيقة يألفها الناس الذين أبدعوها. وكثير من الأساطير تصف خَلْق الأرض بأنه من صنع الله؛ بينما تراه أساطير أخرى من صنع الفيضان، وتصف أساطير غيرها خَلْق الجنس البشري وأصل الموت.

الحكايات الشعبية Folk Tales: وهي حكايات روائية عن الحيوانات والبشر. ومعظمها لا يقع في مكان معين أو في زمن محدد، وتبدأ وتنتهي بطريقة معينة، فمثلًا تبدأ الحكاية الشعبية في إنجلترا بجملة: «حدث ذات يوم» وتنتهي بجملة: «وعاشوا في هناء دائم».

حكايات الحيوانات والطيور Fables: وتعتبر أكثر أنواع الحكايات الشعبية انتشارًا، فمثلًا تحكي إحدى الحكايات عن السباق بين السلحفاة والأرنب الذي ربحت فيه السلحفاة البطيئة المجتهدة، بينما خسر الأرنب الذي توقف في طريقه بغباء لينام، وهي حكاية هادفة تحث على الصبر والمثابرة.

حكايات الجن Fairy Tales: وفيها يترك البطل أو البطلة منزله ليحقق هدفًا ما، وبعد عدة مغامرات يربح جائزة أو يتزوج أميرة في أغلب الأحيان. وفي معظم الحكايات يلعب أحد الحيوانات دورًا مماثلًا للإنسان ويعتبر لغزًا، ففي أفريقيا تعتبر السلحفاة والأرنب والعنكبوت آنانسي هي الألغاز التي تدور حولها الحكايات، بينما في أمريكا الشمالية يعتبر الكلب الصغير المتوحش (Coyote) هو اللغز.

Twitter: @alqareah

الأسطورة التاريخية Legend: وهي تشبه الأسطورة إلا أنها قصة توحي بأنها حقيقية تحدث في العالم الحقيقي، وفي أوقات قريبة نسبيًّا.

وتحكي كثير من الأساطير التاريخية عن البشر الذين يواجهون مخلوقات خرافية مثل الجنيات والأشباح والساحرات المشعوذات. وتنسب عدة أساطير تاريخية إلى أشخاص معروفين منذ زمن، بينما تحكي الأساطير الأخرى عن أشخاص ذوي قداسة أو من أئمة الديانات، حيث تحكي عن كيفية صنعهم المعجزات.

وفي الأساطير والحكايات الشعبية ينتهي الحدث غالبًا بنهاية القصة، ولكن في بعض الأساطير التاريخية لا يحدث ذلك، فمثلًا هناك قصة تاريخية تحكي عن كنز مدفون، تنتهي القصة بأن الكنز لا يزال مفقودًا. وقصة أخرى تحكي عن منزل مسكون وتوحي بأن المنزل لا يزال مسكونًا.

ويحكي عدد من الأساطير التاريخية عن ثعبان البحر في أسكتلندا، ويحكي غيرها عن الرجل الجليدي الدميم، وهو الوحش ذو الشعر الكثيف الذي يعيش في جبال هيمالايا. ويعتقد بعض الناس أن هذه المخلوقات حقيقية، حتى أنه من وقت إلى آخر تتجه بعض الحملات للبحث عنها.

الأغاني الشعبية Folk Songs: ويبدعها الفنانون في جميع النشاطات البشرية، يختص بعضها بالعمل مثل البحارة الذين يتغنون بأغانٍ تحثهم على الصبر والجلَد والاجتهاد في استخدام حبال السفن وأشرعتها. ويختص بعضها بالميلاد والطفولة والغزَل والزواج والحرب والموت. ويغني الآباء والأمهات لأطفالهم أغنيات خاصة في مناسبات عديدة، كما يغني الأطفال

Twitter: @alqareah

أغنيات تراثية أثناء أدائهم بعض الألعاب، وتغنى الأغاني الشعبية في مناسبات الزواج أو في الجنازات.

وهناك بعض الأغاني الشعبية التي تخص النشاطات الموسمية، مثل: بذر البذور وجمع المحصول، كما يُغني البعض في الرحلات والعطلات. وتخلِّدُ بعض الأغاني الشعبية بطولة الأبطال الحقيقيين أو الخياليين. وهذه الأغاني تتغنى بها الشعوب ببساطة من أجل الاستمتاع.

الخرافات والتقاليد Superstitions and Customs: وهي التي ترصد تقدم الشخص من مرحلة إلى أخرى. فمثلًا يعتقد بعض الناس أن تناول طعام ما أو إتيان عمل ما يضر الحمل، كما يعتقد البعض الآخر أن الوشم يطيل عمر المولود.

ويعتقد البعض أن العروس إذا دخلت بيت الزوجية لابد أن تمر بين رجليْ حماتها ظنًّا منهم أنها تظل مطيعة لها إلى الأبد. ويعتقد الكثيرون في السحر والعمل والمندل.

المواسم والعطلات Holidays: وهي مناسبات تحتفل بها مجتمعات بعينها، وفي بعض البلاد يتلقى الأطفال الهدايا في أعياد الميلاد، ففي أستراليا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة يعطي سانت كلاوس الهدايا للأطفال، وفي إيطاليا توزع المرأة العجوز لابيفانا الهدايا، وغير ذلك[7].

ذلك هو الموروث الشعبي بتاريخه وخصائصه وأنواعه التي تضم بين جنباتها حكايات الجن، التي نحن بصددها في هذا الكتاب.

Twitter: @alqareah

فلعل القارئ الكريم الذي يقرأ هذه القصص يتدبر ما فيها من قيم ويتفكر فيما تحتوي من عبر ومواعظ، ناهيك بما تحمل من متعة وفكاهة، وسعة في الأفق ورحابة في الخيال.

﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88].

د.توفيق علي منصور

Twitter: @alqareah

الهوامش

(1) E.M.Kirkpatrick, ed., *Chambers 20th Century Dictionary*, (New Delhi: Allied Publishers Private Limited, 1986),p.487

(2)...., The *Encyclopedia Americana*, International Edition, Vol.11 (Danbury: Grolier Incorporated,...), p. 498r.

(3)...., *The World Book Encyclopedia,* Vol. 7, (Chicago: World Book International, ...), p.287

(4) *Americana*, Vol.11, op. cit., p. 498x

(5) *World Book*, Vol. 7., p. 287

(6) *Ibid.*, p. 288

(7) *Ibid.*, pp. 288-290

Twitter: @alqareah

مراجع المترجم

- Aarne Antti, *Types of the Folklore:A Classification and Bibliography,* (...:Burt Franklin, 1971).
- Carvalho- Neto, Paulo de, *Concept of Folklore*, tr. Jacques M.Wilson,
- (....: University of Miami Press, 1971).
- Dorson, Richard, ed., *Folklore Research Around the World: A North American Point of View*, (... : Kennikat, 1973).
- Dorson, Richard, ed., *Folklore: Selected Essays* (Indiana: Indiana University Press, 1972).
- Dunes, Alan, ed., *Study of Folklore*, (...: Prentice- Half, 1965).
- Edmonson, M., *Lore: An Introduction to the Science of Folklore and Literature*, (...:Holt, 1971).
- Halliday, W.R., *Folklore Studies, Ancient and Modern*, (...:Gale Research, 1971).
- Hans Andersen. *Fairy Tales*, (London: Penguin Books, 1994).
- Krappe, A.H., *Science of Folklore*, (...: Norton, 1964).
- Krohn, Kaarle, *Folklore Methodology*, tr., Roger L.Welsch, (Texas: University of Texas Press, 1971).
- Leach, Maria, ed., *Dictionary of Folklore, Mythology, and Legend*, (...:Funk, 1949).
- Loomis, C.G., *White Magic: An Introduction to the Folklore of Christian Legends*, (...:Mediaeval Academy, 1967).
- Reaver, J.Russell, and Boswell, George W., *The Fundamentals of Folk Literature*, (...: Humanities Press, 1962).
- Thompson, G.J., *Hand of Destiny: The Folklore and Superstitions of Everyday Life*. (...: Singing Tree, 1970).
- Thompson, Stith, *One Hundred Favorite Folktales*, (Indiana: Indiana University Press, 1968).
- Yearsley, Macleod., *Folklore of Fairy Tale*, (...: Singing Tree, 1968).

Twitter: @alqareah

مقدمة الناشر

اشتهر هانز كريستيان أندرسن (1805-1875) بأنه واحد من أعظم كتّاب العالم لحكايات الجن، وقد قام بات إيفرسون بترجمة هذه القصص من اللغة الدنماركية إلى اللغة الإنجليزية. وتعتبر هذه الحكايات شاهد عدل على عبقرية مؤلفها.

وُلِدَ هانز كريستيان أندرسن في مدينة أودينسا في الدنمارك سنة 1805 لأب يعمل صانع أحذية وأم تكاد تكون أمية تؤمن بالخرافات. وبينما كان في باكورة شبابه ترك منزله وانطلق إلى كوبنهاجن حيث حقق شهرة واسعة وثروة كبيرة من عمله على خشبة المسرح. وبعد بضع سنين كان قادرًا بالكاد على أن يصبح واحدًا من المعدودين في تمثيل الأدوار القصيرة في مسرح البلاط الملكي، ولكن أحد مديري المسرح التقطه في عام 1822 وأمَّن طموح الشاب الذي لم يكمل تعليمه، وأرسله إلى المدرسة الثانوية في منحة دراسية في مدينة شباجيلز حتى أكمل تعليمه في جامعة كوبنهاجن.

ومنذ عام 1831 سافر في رحلة موسعة إلى أوروبا، وظل متحمسًا للسفر طوال حياته حتى حقق أولى زياراته إلى إنجلترا عام 1847. ونال أندرسن شهرة لا بأس بها داخل الدنمارك وخارجها، بعد أن نشر أولى رواياته وعنوانها **«الإبداع»** عام 1835 (ظهرت أولى ترجماته إلى الإنجليزية عام 1846)، وصار مشهورًا حيثما ذهب. وبعدئذٍ استمر في الكتابة في كثير من الأجناس الأدبية

Twitter: @alqareah

(كالروايات والمسرحيات والقصائد الشعرية) حتى توفي عام 1875، ولكن **حكايات الجن الدنماركية هي التي حققت له شهرة عالمية.**

كتب أكثر من 150 حكاية بين عاميْ 1835 و 1872، ونشر أول مجموعة منها في مجلد في عام 1835 ضم حكايات مثل «القداحة» و«الأميرة وحبة البازلاء» و«ملابس الإمبراطور الجديدة» و«ملكة الجليد»، وجميعها صارت من عيون أدب الأطفال. وعلى عكس الأخوين جريم الألمانيين، أبدع أندرسن كثيرًا من مادته مستمدًّا إلهامه من رحلاته الواسعة في الخارج، ومن تراث الأدب الشعبي، ومن قصص الأطفال التي علقت بذاكرته، ومن معظم الأحداث الكبرى والصغرى التي صادفته في حياته وحياة أصدقائه.

وبينما تحمل بعض حكاياته البساطة التي تناسب الأطفال، تحمل غيرها ذكاء وتعقيدًا يتذوقه الكبار. وكان من بين المعجبين به في بريطانيا إليزابيث براونينج التي كتبت في مدحه آخر قصائدها، بينما أكرم تشارلز ديكنز وفادة الروائي الدنماركي، واستضافه في منزله في جادهيلز عدة أسابيع عام 1857.

وتعتبر هذه المجموعة القصصية من أطرف ما كتب أندرسن في الأدب الشعبي، وتشمل «فرخ البط الدميم» و«الحذاء الأحمر» و«بائعة الكبريت الصغيرة».

وهذه الحكايات مجتمعة تنقل القارئ إلى عالم سحري من الملوك والأميرات والحوريات والساحرات المشعوذات وعمال الزراعة والرعاة.

الناشــر

Twitter: @alqareah

العندليب
1844

وقعت أحداث هذه القصة منذ عدة سنوات في الصين، وهي قصة جديرة بالاستماع. كان قصر الإمبراطور أفخم صرح في العالم؛ إذ كان مصنوعًا كله من أرقى أنواع الخزف، وتحيط به حديقة، بها زهور نادرة وجميلة، معلقة عليها أجراس ترن، لا يمر بجوارها أحد، دون أن يلاحظها.

كانت الحديقة ممتدة بحيث لا يدرك البستاني نهايتها. فإذا ظل المرء سائرًا، وصل إلى غابة جميلة ذات أشجار عظيمة وبحيرات عميقة، وتمتد إلى البحر العميق الأزرق الذي تجري على سطحه السفن الضخمة تحت أغصان الشجر. وفي هذه الأغصان يعيش عندليب يغني بصوت ساحر يأخذ لُب الصياد المسكين الذي تشغله أمور كثيرة، ولكنه كان عندما يرقد في سكون الليل، كان يستمع إليه.

قال الصياد: «يا له من عندليب جميل، بحق السماء!».

ووفد على مدينة الإمبراطور كثير من السائحين من جميع أنحاء العالم، فأعجبتهم المدينة والقصر والحديقة. ولكنهم عندما سمعوا العندليب يغني، قالوا جميعًا: «هذا هو أجمل شيء على الإطلاق!» وعندما عاد السياح إلى أوطانهم صاروا يتحدثون عنه، وألَّف فيه الباحثون كتبًا، وحظي العندليب بالاهتمام

Twitter: @alqareah

الأكبر، واحتل مكانة عالية، فأنشد الشعراء فيه أبلغ القصائد ووصفوه في موقعه في الغابة المطلة على البحر.

وانتشرت الكتب حول العالم، وأتى بعضها إلى الإمبراطور الذي جلس على عرشه الذهبي يقرأ ويقرأ، ويومئ برأسه استحسانًا للوصف الجميل الذي قرأه عن المدينة والقصر والحديقة. ولفتت نظره عبارة: «ولكن العندليب هو بحق أجمل الأشياء جميعًا!».

وقال: «ما هذا؟! عندليب؟! يا للهول! أنا لا أعرف شيئًا عنه. وهل هنالك في مملكتي مثل هذا الطائر، وفي حديقتي الخاصة؟ أنا لم أسمع عنه من قبل. والعجيب أن أعرف ذلك من كتاب!».

نادى الإمبراطور على كبير طهاة القصر، وقال له: «من المفروض أن طائرًا رفيع المنزلة هنا يدعى العندليب. ويقولون إنه أعظم شيء على الإطلاق في مملكتي العظيمة. لماذا لم يبلغني به أي فرد منكم؟».

قال كبير الطهاة: «أنا لم أسمع عنه من قبل، ولم يأتِ إلى البلاط الملكي».

قال الإمبراطور: «أريد أن تأتوني به الليلة ليغني لي، فكل العالم يعلم ما أملك، بينما أنا لا أعلم عنه شيئًا!».

قال كبير الطهاة: «أنا لم أسمع عنه من قبل. وسوف أبحث عنه وآتيك به»، ثم هرول صاعدًا الدرج، وهابطًا منه، وداخلًا القاعات الكبيرة والدهاليز، ولكن أحدًا ممن قابلوه لا يعلم شيئًا عن العندليب، فذهب ثانية إلى الإمبراطور، وقال له: «إنه من المحتمل أن تكون هذه قصة خيالية ابتدعها مؤلفو الكتب. ولا ينبغي لجلالتكم الإمبراطوري أن تصدق ما يكتب هؤلاء؛ فهي إبداعات يُطلق عليها: السحر الأسود».

Twitter: @alqareah

قال الإمبراطور: «ولكنَّ الكِتاب الذي قرأْتُه جاءني من فخامة إمبراطور اليابان العظيم، ولهذا لا يمكن أن يكون هراء. ولسوف أسمع العندليب، وسوف أسمعه هذا المساء، وسأهب منحًا مالية لمن يأتيني به، وإلا فسوف أجلد كل العاملين بالقصر على بطونهم، بعد أن يتناولوا طعام العشاء».

صار كبير الطهاة يهرول صعودًا وهبوطًا على الدرج وفي قاعات القصر ودهاليزه، وقد جرى معه العاملون في القصر جميعًا، خشية أن يُجلدوا على بطونهم. وسألوا وكرروا السؤال عن العندليب الشهير الذي يعرفه العالم أجمع ولا يعرفه القصر.

وأخيرًا قابلوا فتاة ريفية صغيرة تعمل في المطبخ، قالت لهم: «العندليب؟ بحق السماء أعرفه جيدًا، نعم، كم يغني بصوت رائع! وفي كل مساء يُسمح لي بأن آخذ بعض فُتات المائدة إلى أمي المريضة المسكينة، التي تعيش بالقرب من الشاطئ. وفي طريق عودتي أجلس لأستريح في الغابة عندما يصيبني التعب، فأسمع العندليب يغني. وتذرف عيناي الدموع من الاستماع إليه، وكأن أمي تضمني وتقبّلني».

فقال كبير الطهاة: «أيتها الفتاة الصغيرة، سوف تنالين مركزًا مرموقًا في المطبخ، كما سيُسمح لك بالوقوف وخدمة الإمبراطور وهو يتناول الطعام، إذا أرشدتنا إلى العندليب، الذي يفترض أن يظهر في القصر هذا المساء».

وتوجَّه الجميع إلى حيث يغني العندليب في الغابة. وذهبت معهم نصف حاشية القصر، وبينما هم يسيرون بخطى سريعة نعرت بقرة.

صاح أحد رجال القصر: «آه، إنه العندليب! يا لها من قوة مميزة لمثل هذا الحيوان الرقيق! أنا واثق أني سمعته مسبقًا».

Twitter: @alqareah

فقالت الفتاة الصغيرة: «كلا، إنه صوت نعير البقرة، فما زلنا بعيدين عن موقع العندليب».

ثم بدأت الضفادع تنقنق في المستنقع، فقال الكاهن الإمبراطوري الصيني: «جميل! الآن أكاد أسمعه، فصوته يشبه صوت أجراس الكنيسة الرقيقة».

قالت الفتاة الصغيرة: «ذلك هو نقيق الضفادع، ولكننا سوف نسمع العندليب قريبًا».

ثم بدأ العندليب يغني.. عندئذ قالت الفتاة الصغيرة: «هذا هو.. اسمع.. اسمع.. فهو يقف هناك»، وأشارت إلى طائر رمادي صغير بين الأغصان.

قال كبير الطهاة: «أهذا ممكن؟! لم أكن أتصوره بهذا الشكل؛ إذ يبدو عاديًّا جدًّا، ومما لا شك فيه أن رؤية كثير من الناس الطيبين له جعلته يفقد لونه».

وصاحت الفتاة الصغيرة بأعلى صوت: «يا أيها العندليب الصغير، يريدك إمبراطورنا العظيم أن تغني له».

فأجاب العندليب: «بكل سرور» ثم غنى بصوت يبهج القلوب.

وقال كبير الطهاة: «إن صوته يشبه أجراس الزجاج. انظر إلى هذا الحلق الرقيق، كيف يتذبذب! من المؤكد أننا لم نسمع مثله من قبل، وسيحقق هذا نجاحًا عظيمًا للقصر».

قال العندليب، وقد ظن أن الإمبراطور موجود: «هل أغني ثانية للإمبراطور؟».

وقال كبير الطهاة: «يا أيها العندليب الساحر الصغير، يسعدني كثيرًا أن تظهر في حفل ملكي بالقصر هذا المساء، حيث تُشَنِّف أسماع صاحب المقام الإمبراطوري الرفيع بأغنيتك الرائعة».

Twitter: @alqareah

قال العندليب الذي صاحَبَهم بكل سرور: «إن صوتي يكون أجمل عندما أغني في الخلاء».

ولمع القصر تمامًا، وصُفَّت الزهور الجميلة في كل أبهاء القصر، ووُضعت الزهور الناضرة في قاعات القصر، ووُضع غصن كبير، في وسط القاعة الكبرى التي يجلس فيها الإمبراطور ليقف عليه العندليب ليغني. وحضر كل مَنْ في القصر، ومُنحت فتاة المطبخ الصغيرة تصريحًا بالوقوف خلف الباب؛ لأنها مُنِحَت لقب «فتاة المطبخ» بحق، وارتدى كل فرد أفخر ثيابه، ونظر الجميع إلى الطائر الرمادي الصغير، الذي أومأ إليه الإمبراطور ببدء الغناء.

غنى العندليب بأعذب الأصوات حتى فاضت الدموع من عينيْ الإمبراطور وانحدرت على خديه، وحينئذ أبدع العندليب في التغني بأعذب الألحان، التي تصل مباشرة إلى القلب. وسُرَّ الإمبراطور غاية السرور فأمر بنعاله الذهبية أن تعلق في رقبة العندليب، ولكن العندليب رفض هذا شاكرًا لأنه مُنح التكريم الكافي، وقال: «رأيت دموع الإمبراطور تنحدر من عينيه، وهذا هو أثمن تكريم لي، فدموع الإمبراطور ذات قوة عجيبة، وتعلم السماء أنني مُنحت التكريم الكافي»، ثم غرد ثانية بصوته العذب.

وقالت السيدات الملتفات حول العندليب: «هذه أجمل مجاملة». ثم وضعن في أفواههن مياهًا، حتى إذا تحدث إليهن أحد أحدث الماء غرغرة، فظنن أنفسهن عنادل. وحتى الوصيفات والخادمات اطمأنت نفوسهن كذلك، لأنهن أصعب النساء اللاتي يمكن أن يبث السرور في نفوسهن، نعم، لقد كان العندليب ناجحًا بحق.

Twitter: @alqareah

كان على العندليب أن يمكث في القصر، وأن يتخذ لنفسه قفصًا، مع الحفاظ على حريته بأن يخرج مرتين في اليوم ومرة في الليل. ويخصص له كذلك اثنا عشر خادمًا، يمسك كل منهم بإحكام شريطًا حريريًّا مربوطًا في رجله. أما النزهة الخارجية، فلم تكن متعة مسموحًا بها على الإطلاق.

وتحدثت المدينة بأكملها عن الطائر العجيب، وكلما تقابل شخصان يحيي أولهما الآخر بسرور بعبارة «عَنْد»، فيرد الآخر عليه بعبارة: «لِيب» ومن ثم يتنهدان ويفهم أحدهما الآخر. وسُمّي أحد عشر طفلًا من أبناء البقالين باسم العندليب، ولكن لم يستطع أيٌّ منهم أن يغني أغنياته في حياته.

وذات يوم وصل طرد إلى الإمبراطور كُتب على غلافه «العندليب»، فقال الإمبراطور: «وهذا هو كتاب آخر عن طائرنا الشهير». ولكن الطرد لم يكن كتابًا، بل كان عملًا فنيًّا صغيرًا في قفص.. هو عندليب صناعي صُنع مماثلًا للعندليب الطبيعي، إلا أنه كان مُزَيَّنًا بالألماس والأحجار الكريمة.وعند إدارة محرِّك الطائر الصناعي عدة لفات، يستطيع أن يغني ألحانًا تماثل غناء الطائر الحقيقي، ثم يرتفع ذيله وينخفض ويضوي ما به من ذهب وفضة. وعلى رقبته عُلّق شريط كتب عليه: «عندليب إمبراطور اليابان أقل شأنا من عندليب إمبراطور الصين ».

وكل من رآه أثنى عليه قائلًا: «يا لجماله!». وخلع إمبراطور الصين لقبًا على من أحضر العندليب الصناعي وهو: «رئيس مُحْضِري العندليب الإمبراطوري».

وقال الإمبراطور: «يجب أن يغني الاثنان معًا الآن.. ويا له من ثنائي غنائي!».

Twitter: @alqareah

حينئذ كان عليهما أن يغنيا سويًّا، ولكنهما لم يتجانسا؛ لأن العندليب الحقيقي يغني بطريقة طبيعية، بينما العندليب الصناعي يغني بطريقة آلية.

وقال رئيس الموسيقى: «لا تثريب عليهما، فالأمر يحتاج إلى وقت لكي يتوحدا طبقًا لقواعد أنظمتي الموسيقية». وكان على العندليب الصناعي أن يغني منفردًا، فأدى دوره بنجاح وكأنه العندليب الحقيقي، هذا إلى جانب أنه يتمتع بجمال أكثر عند النظر إليه، إذ يضوي مثل الأساور ودبابيس الزينة.

غنى العندليب الصناعي نفس اللحن ثلاثًا وثلاثين مرة، ولم يعتوره نصب، ولم يمل الناس سماعه منذ البداية، ولكن الإمبراطور أراد أن يسمع العندليب الحي قليلًا، ولكن أين هو؟ لم يلاحظ أحد أنه طار وخرج من النافذة المفتوحة، عائدًا إلى غابته الخضراء.

وقال الإمبراطور: «أي سلوك معيب هذا الذي أتاه العندليب؟» واستنكر كل رجال القصر تصرف العندليب، ووصفوه بالجحود ونكران الجميل، وقالوا: «لا يزال لدينا ما هو أفضل منه» ومرة ثانية غنى العندليب الصناعي، فسمعوه للمرة الرابعة والثلاثين يردد نفس الأنغام التي لم يعرفوا كنهها لصعوبتها. وأثنى رئيس الموسيقى كثيرًا على أدائه، ورأى أنه أفضل من أداء العندليب الطبيعي، وقال: «أيها السادة والسيدات، ويا صاحب المقام الإمبرطوري الرفيع فوق هؤلاء جميعًا.. لا يمكن أن يتوقع أحد ما يمكن أن يسمعه من العندليب الحقيقي، ولكن يمكن الاستماع إلى ما نريد من العندليب الصناعي. وهذا بسبب العقل البشري الذي أبدع هذه الأعمال وجعلها تعمل بسلاسة، الواحد بعد الآخر».

Twitter: @alqareah

فقال الجميع: «هذا ما نظنه حقًّا». وفي يوم الأحد التالي سُمح لرئيس الموسيقى أن يعرض الطائر على الناس، وقال الإمبراطور: «يجب أن يستمعوا إليه وهو يغني»، واستمع إليه الناس وكانوا سعداء، وقالوا جميعًا: «آه!» ورفعوا أصابعهم السبابة في الهواء وأومأوا برؤوسهم؛ ولكن الصياد المسكين الذي سمع العندليب الحقيقي قال: «أداؤه جميل بما فيه الكفاية، وهو مشابه للحقيقي أيضًا، ولكنَّ ينقصه شيء، لا أستطيع أن أعرفه».

لقد نُفِيَ العندليب الحقيقي من البلاد، واتخذ العندليب الصناعي موقعه فوق وسادة حريرية بالقرب من سرير الإمبراطور، وقد وُضعت إلى جواره كل الهدايا، التي قُدمت إليه من ذهب وأحجار كريمة، ومُنح لقبًا هو: «المغني الرفيع الموضوع على مائدة بجوار سرير الإمبراطور»، ويقف على الجانب الأيسر، ويحمل رقم «1» لأن الجانب الأيسر هو أهم الجوانب، وقلب الإمبراطور يقع كذلك في الجانب الأيسر. وكتب رئيس الموسيقى بحثًا يتكون من خمسة وعشرين مجلدًا عن الطائر الصناعي. وكان بحثًا علميًّا خالصًا طويلًا، يحتوي على أكبر عدد من الكلمات الصينية، وقال جميع الناس إنهم قرءوه وفهموه، وإلا اعتُبروا أغبياء ويُجلدون على بطونهم.

سار الأمر على هذه الشاكلة، وحفظ الإمبراطور ورجال القصر وعامة الشعب الصيني كل مقطع موسيقي في أغنية الطائر الصناعي عن ظهر قلب؛ مما جعلهم يمتدحونه بدرجة عالية الآن؛ فهم يستطيعون أن يغنوا معه بأنفسهم، وهو ما حدث بالفعل.. نعم، هذا شيء جميل حقًّا.

ولكن ذات مساء، بينما كان الطائر الصناعي يغني، وكان الإمبراطور راقدًا ينصت له، حدث صوت داخل الطائر: «بوب.. ورررررر». واضطربت

Twitter: @alqareah

كل التروس فتوقفت الموسيقى. فقفز الإمبراطور من سريره واستدعى طبيبه الخاص، يسأله عن حالة الطائر، ثم استدعوا الساعاتي، الذي استطاع، بعد كثير من الفحوص، أن يعيد الطائر إلى حالته مرة ثانية.. ولكنه نصح بعدم الإفراط في استخدامه قدر المستطاع، فقد بليت التروس ولا يصلح وضع تروس أخرى بديلة تؤكد إصدار الموسيقى. ويا لهذه المتاعب! لقد تجاسروا على أن يدعوا الطائر الصناعي يغني مرة كل عام، وهو أمر بالغ الصعوبة، ولكن رئيس الموسيقى أدلى بحديث قصير ذي كلمات رنانة، قال فيه: «إنه صالح كالجديد»، وحينئذ صار صالحًا كالجديد.

مرت سنوات خمس حزنت فيها البلاد حزنًا عميقًا؛ إذ كان الناس يحبون إمبراطورهم وأشيع أنه مريض ولا يستطيع الاستمرار. وأُعد إمبراطور جديد، وراح الناس في الشوارع يستفسرون من كبير الطهاة عن صحة الإمبراطور.. فلا يعطيهم إجابة شافية.

كان الإمبراطور يرقد شاحبًا وباردًا في سريره الكبير الرائع. وظن رجال القصر جميعًا أنه مات، وسارعوا إلى تهنئة الإمبراطور الجديد، وأعدَّت وصيفات القصر والخدم حفل شاي كبيرًا، وأصبح كل شيء هادئًا، ولكن الإمبراطور لم يمت بعد، بل كان يرقد شاحبًا في سريره الفخم ذي الستائر الطويلة المخملية والشرَّابات الذهبية الثقيلة، ومن فوقه كانت النافذة مفتوحة، والقمر يسطع بنوره على الإمبراطور والطائر الصناعي.

كان الإمبراطور المسكين يلتقط أنفاسه بصعوبة، كما لو كان هناك حمل ثقيل يجثم فوق صدره.. فتح عينيه فرأى الموت جاثمًا على صدره، فوضع تاجه الذهبي على رأسه، وأمسك بسيفه الإمبراطوري في إحدى يديه، بينما

Twitter: @alqareah

أمسك عَلَمَه الرائع في اليد الأخرى. واختلست النظراتِ وجوهٌ غريبة من بين طيات الستائر المخملية، بعضها بغيضة والأخرى طيبة لطيفة.. كانت تلك هي أعمال الإمبراطور الطيبة والشريرة التي تنظر إليه الآن، بينما الموت يجثم على قلبه.

وهمست الوجوه، كلُّ وجه منها وراء الآخر: «هل تذكر هذا؟ هل تذكر هذا؟» وتحدثوا إليه كثيرًا، حتى تصبب العرق من جبينه، فصرخ الإمبراطور قائلا: «لم أعرف هذا قط» وصاح: «أريد أن أسمع الموسيقَى.. الموسيقَى.. الطبل الصيني الكبير.. فلست أريد أن أسمع كل ما يقال.. غنِّ الآن أيها الطائر الصغير.. غنِّ.. فقد وهبتُكَ ذهبًا وهدايا قيمة. وقد علقتُ بنفسي نعالي الذهبية حول عنقك. غنِّ الآن.. غنِّ».

ولكن الطائر الصناعي ظل صامتًا، فلم يكن هناك أحد يلفُّه، ولهذا لم يغنِّ، وظل الموت ينظر إلى الإمبراطور، فرآه هادئًا بشكل مخيف.

وفجأة سُمِعت أغنية جميلة بالقرب من النافذة، جاءت من العندليب الحقيقي الصغير، الواقف على غصن شجرة خارج النافذة، بعد أن سمع حاجة الإمبراطور إلى الغناء، فغنّى ليريحه ويحقق أمله. وعندما غنى تدفق الدم في وجه الإمبراطور، وسمع الموت الغناء؛ فبدأ يجمع الوجوه للرحيل، فقال الإمبراطور بمنتهى الأمل: «استمر أيها العندليب الصغير، استمر!».

فقال العندليب للإمبراطور: «يا ليتك تعطيني السيف الذهبي الفاخر، وتمنحني الراية القيمة، وتقدِّم لي تاج الإمبراطور».

وأعطى الإمبراطور للعندليب كل شيء ثمين في مقابل أغنية، وظل العندليب يغني. غنَّى حول ساحة الكنيسة الهادئة؛ حيث تنبعث رائحة

Twitter: @alqareah

الورود البيضاء من الأشجار القديمة لتعطر الهواء، بينما ترتوي الحشائش الخضراء بدموع المحرومين. وحينئذ اشتاق الموت إلى حديقته، فتسرب خارجًا من النافذة مثل الضباب الأبيض البارد، فقال الإمبراطور فرحًا: «شكرًا، شكرًا أيها الطائر السماوي الصغير، فأنا أعرفك، فقد طردتك من أراضي إمبراطوريتي، وما زلتَ تزيل الرؤى الخبيثة من سريري، وتطرد الموت من قلبي. فكيف أكافئك؟».

قال العندليب: «لقد كافأتني، إذ ذرفَتْ عيناك دموعًا في أول مرة غنيت لك، ولن أنسى ذلك. فتلك هي الجواهر التي تسعد قلب المغني.. نم الآن قويًا معافًى، فسوف أغني لك».

وغنى العندليب الحقيقي، ونام الإمبراطور نومًا عميقًا مصحوبًا بالصحة والعافية. وأشرقت الشمس على سريره من النافذة فأيقظته، صحيحًا منتعشًا. ولم يعد أحد من الخدم يرعاه بعد، ظنًّا منهم أنه مات، بينما ظل العندليب واقفًا يغني.

فقال له الإمبراطور: «يجب عليك أن ترافقني دائمًا، وأن تغني لي فقط عندما يعنُّ لك ذلك، وسوف أحطم الطائر الصناعي إلى ألف قطعة».

فقال العندليب: «لا تفعل هذا، فيا للعجب! لقد فعل كل ما يستطيع عمله، فحافِظْ عليه كما حافظتَ عليه من قبل؛ فلستُ أستطيع أن أبني عشي في القصر، بل دعني آتي إليك عندما أريد ذلك. وعندما يأتي المساء سأقف على الغصن القريب من النافذة وأغني لك. سأغني للسعداء كما أغني للتعساء. سأغني للخير وأغني للشر الذي ظل خافيًا عنك. وسوف أطير بعيدًا أغني للصياد الفقير، وعلى سقف دار الفلاح، ولكل مَنْ كان بعيدًا

Twitter: @alqareah

عنك وعن حاشيتك، فإني أحب قلبك أكثر مما أحب تاجك، رغم أن تاجك تحفّه هالة من القداسة.. سآتي إليك.. سأغني لك، ولكنك يجب أن تَعِدَني بشيء واحد».

فقال الإمبراطور، وقد وقف في ثوبه الإمبراطوري الذي ارتداه بنفسه وأمسك سيفه الذهبي الثقيل مصوبًا نحو قلبه: «أعدك بأي شيء تطلبه».

قال العندليب: «أطلب منك شيئًا واحدًا، هو ألا تبلغ أحدًا أنك تملك طائرًا صغيرًا يبلغك بكل شيء.. وحينئذ سوف تتحسن كل الأمور».

وطار العندليب وانصرف.

وجاء الخدم ليلقوا نظرات على الإمبراطور، الذي ظنوا أنه قد مات بالفعل، فوقفوا مشدوهين، عندما قال لهم الإمبراطور: «صباح الخير».

Twitter: @alqareah

ملابس الإمبراطور الجديدة
1837

منذ عدة سنوات مضت ، كان هناك إمبراطور شديد الإعجاب بالملابس الجميلة الجديدة، فقد كان يرتدي ثوبًا كل ساعة من ساعات النهار، وكما يقال عن أي ملك: «إنه في مجلس»، يقال عن هذا الملك دائمًا: «الإمبراطور في حجرة الملابس».

كان يأتي إلى المدينة الكبيرة التي يعيش فيها الإمبراطور زوار كثيرون كل يوم. وذات يوم حضر إليها اثنان من الدجالين المشعوذين، قدَّما نفسيهما على أنهما نسّاجان، وأشاعا أنهما يعرفان كيف ينسجان أعظم الملابس الفاخرة، التي تُصنع من أقمشة تتميز بخاصية فريدة من نوعها؛ إذ إنها تصبح غير مرئية لأي شخص غير لائق لوظيفته أو شديد الغباء .

وفكر الإمبراطور: «حسنًا، هذه الملابس فاخرة؛ إذ إني أستطيع بها أن أُميِّز رجال إمبراطوريتي الذين لا يليقون لمناصبهم، كما أميز الأذكياء من الأغبياء.. نعم، لابد من نسج هذا القماش من أجلي فورًا»، وأعطى الدجالَيْن المشعوذَيْن أموالًا طائلة مقدمًا حتى يقوما بعملهما.

جهز الدجالان نولين للنسيج فورًا وتظاهرا بالعمل، ولكنهما ليس لديهما أي شيء على النولين. ودون احتفال، طلبا أدق أنواع الحرير وأفخر خيوط الذهب، ووضعاها في جيوبهما، وراحا يديران النولين الفارغين، حتى وقت متأخر من الليل.

Twitter: @alqareah

وفكر الإمبراطور: «الآن، أود أن أرى كيف تسير أعمال النسيج»، ولكنّ شيئًا ما جعله يشعر بالقلق؛ إذ لا ينبغي أن يرى هذا النسيجَ أيٌّ فرد من الأغبياء أو الذين لا يليقون لمناصبهم. وبطبيعة الحال، فهو لا يظن أنه في حاجة إلى أن يكون خائفًا؛ ولهذا أراد أن يرسل مبعوثًا قبله ليعرفَ كيف تسير الأمور. وعلمت المدينة بأسرها عن قوة تأثير هذا القماش، فصار كل فرد مشتاقًا إلى أن يكشف به كم يكون جاره سيئًا أو غبيًّا.

وفكر الإمبراطور: «سأرسل وزيري العجوز الأمين إلى النساجيْن، فهو أنسب فرد يرى كيف يبدو القماش؛ لأنه ذكي ولا يباريه أحد في مناسبته لمنصبه».

ذهب الوزير العجوز الطيب إلى القاعة، التي يمارس فيها الدجالان المشعوذان عملهما على الأنوال الفارغة.. فاتسعت حدقتاه من هول المشهد، فقال لنفسه : «أدركيني يا سماء، فإنني لا أرى شيئًا!» ولكنه لم يقل لهما شيئًا.. بل لقد طلب منه الدجالان المشعوذان أن يمتع بصره بأن يقترب خطوة إلى الأمام حتى يرى جمال النموذج وبهاء الألوان. وأشارا إلى النول الخالي من النسيج، وظل الوزير العجوز المسكين يفتح عينيه أوسع فأوسع، ولكنه لم يَـرَ شيئًا؛ لأن النول لم يكن عليه أي نسيج.

كان الوزير يحدث نفسه قائلًا: «يا إلهي! هل أنا غبي؟! أنا لا أظن ذلك، ولا يمكن أن تكتشفه أية روح، وهل أنا غير مناسب لوظيفتي؟ كلا.. إنني لا أستطيع أن أقول إنني لم أر القماش».. وعندئذ قال، وهو يدقق النظر خلال نظارته: «آه، ما أجمل هذا النموذج! وما أروع هذه الألوان! نعم، سوف أبلغ الإمبراطور بما رأيت».

Twitter: @alqareah

قال له النساجان: «حسنًا، يسرُّنا أن نسمع هذا»، وهذا هو ما حدث بالفعل.

بعد ذلك، طلب الدجالان المشعوذان مزيدًا من المال؛ لشراء مزيد من خيوط الحرير والذهب التي تستخدم في النسيج. ودسَّا كل شيء في جيوبهما، بل ظلا يتظاهران بأنهما ينسجان على الأنوال الفارغة كما سبق.

وعلى الفور أرسل الإمبراطور مبعوثًا رسميًّا آخر إلى النساجيْن، وحدث معه نفس ما حدث للوزير العجوز. ونظر ثم نظر، ولكنه لم يشاهد شيئًا سوى الأنوال الفارغة.

قال الدجالان المشعوذان لمبعوث الإمبراطور: «حسنًا، أليس هذا القماش جميلًا؟» ففكر الرجل جيدًا، وقال لنفسه: «حسنًا، لستُ غبيًّا! فلو قلت إنني لا أرى شيئًا، فإن ذلك يعني أنني لست أهلًا لوظيفتي.. لذا لابد أن أحرص على عدم إبداء ذلك». ولهذا أشاد بالقماش الذي لم يره، وأكد لهما أنه مسرور جدًّا من الألوان الجميلة والنموذج الرائع. وبعد ذلك قال للإمبراطور: «نعم، إنه جذاب جدًّا».

وتحدث الناس جميعًا في المدينة عن القماش الرائع، وأراد الإمبراطور أن يرى القماش بنفسه، وهو لا يزال على النول، فذهب في حشد من نخبة مختارة من الرجال، منهم الوزير العجوز والمبعوث الخاص اللذيْن سبق لهما التوجه إلى هناك، إلى حيث يقوم الدجالان المشعوذان الماكران بالنسيج بكل ما أوتيا من قوة، ولكن دون إنتاج أي خيط أو عمل أية غرزة.

وقال الوزير والمبعوث الأمينان: «نعم، أليس ذلك رائعًا حقًّا؟ وهل ترى جلالتكم؟! ما أروع النموذج! وما أبهى الألوان!»، وأشارا إلى الأنوال الفارغة، ظنًّا منهما أن الآخرين سوف يشاهدون القماش بكل تأكيد.

Twitter: @alqareah

ونظر الإمبراطور، فلم ير شيئًا، ولكنه قال لنفسه: «ما هذا؟! إنني لا أرى شيئًا؟! يا للعجب! إنَّ هذا لشيء مخيف، فهل أنا غبي، ولا أستحق أن أكون إمبراطورًا؟! هذا هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لي».. ولذا قال: «آه، يا له من شيء جميل حقًّا! لقد نال إعجابي الشديد وموافقتي». وأومأ برأسه مؤكدًا موافقته وهو يرى الأنوال الخاوية؛ فلا يستطيع أن يقول إنه لا يرى شيئًا. ونظرت حاشيته التي أتت معه بأكملها، وأعادت النظر، ولكنها لم تستطع أن ترى شيئًا، إلا أنهم قالوا نفس ما قاله الإمبراطور: «آه، يا له من شيء جميل حقًّا!» ونصحوا الإمبراطور بأن يرتدي ملابس من هذا القماش الجديد الرائع فورًا، في الموكب الكبير الرائع القادم.

وانطلقت عبارات الاستحسان من فم إلى فم: «إنه رائع.. متميز.. فاخر!» وبدا الحماس والسرور على وجوه الجميع. وأنعم الإمبراطور على كلٍّ من الدجاليْن المشعوذيْن بوسام الفروسية، وخلع عليهما لقب: «النساجان الأرستقراطيان».. وطوال الليلة السابقة للموكب، عمل الدجالان المشعوذان على ضوء ستين شمعة، ورآهما الناس مشغوليْن في الانتهاء من تجهيز الملابس الجديدة للإمبراطور. وتظاهرا بأنهما يسحبان القماش من النول ويقصان في الهواء بمقصاتهما ويخيطان بإبرهما وبالخيط، وأخيرًا قالا: «لقد صارت الملابس جاهزة!».

وحضر الإمبراطور ومعه رجال حاشيته من ذوي المقام الرفيع، ورفع الدجالان المشعوذان أذرعهما في الفضاء كما لو كانا يمسكان شيئًا، وقالا: «انظر، يا مولاي، هذا هو السروال وتلك هي السترة ذات الذيل وهذه هي العباءة!».. وأضافا: «إنها لخفيفة مثل نسيج العنكبوت، وتشعر بأنك لا ترتدي شيئًا، وهذا هو وجه الجمال في هذه الملابس».

Twitter: @alqareah

وقال رجال الحاشية جميعًا: «نعم» ولكنهم لم يروا شيئًا على الإطلاق؛ لأنه ليس هناك أي شيء.

وقال الدجالان المشعوذان: «الآن، إذا أردتَ جلالتك أن تخلع ملابسك، فسوف نساعدك في ارتداء الملابس الجديدة أمام المرآة الكبيرة»، وخلع الإمبراطور جميع ملابسه، وتظاهر الدجالان المشعوذان بأنهما يناولانه الكسوة الجديدة التي يُفترض أنهما نسجاها له، ووضعا أيديهما حول وسطه كما لو كانا يربطان شيئًا- هو الذيل- واستدار الإمبراطور أمام المرآة.

وقال الجميع: «يا للسماء، كم أعجبتك وهي تناسبك! يا له من نموذج ويا لها من ألوان رائعة! وما أروعه من ثوب!».

وقال قائد عام الموكب: «الجميع يَنْتظر جلالتك، يا مولاي، بالمظلة التي يرفعونها فوق جلالتكم في الموكب»، فقال الإمبراطور: «حسنًا، إني جاهز! أليست الملابس لائقة عليَّ؟».

وحينئذٍ استدار أمام المرآة مرة أخرى، كما لو كان ينظر إلى ملابسه المبهرجة.. وتظاهر رجال الحاشية المخصصون لحمل الذيل بأنهم يتحسسون الأرض بأيديهم، كما لو كانوا يمسكون بالذيل، وساروا وقد رفعوا أياديهم إلى أعلى في الهواء، ولم يتجاسروا على أن يظهروا أنهم لا يرون شيئًا.

وحينئذٍ سار الملك في الموكب تحت مظلته الجميلة.

ونادى جميع المارة في الشوارع والمطلين من النوافذ: «يا للسماء! ما أروع ملابس الإمبراطور الجميلة ! وما أجمل الذيل الذي يتدلى من الثوب! وما أبهى الحلة!» ولم يُرِدْ أحد أن يبدي أنه لا يرى شيئًا؛ لأنه بهذا يدل على أنه غير ملائم لوظيفته أو أنه غبي جدًّا.

Twitter: @alqareah

وفجأة قال طفل صغير: «.. لكنه لا يرتدي شيئًا».

فقال أبوه: «يا للسماء، اسمعوا صوت الطفل». وحينئذ دارت كلمات الطفل على ألسنة الجميع، فتشجعوا قائلين: «إنه لا يرتدي شيئًا، هذا ما يقوله طفل صغير، إنه بالفعل لا يرتدي شيئًا».

وأخيرًا صاح الجمهور بأسره: «إنه لا يرتدي شيئًا». فارتعد الإمبراطور؛ لأنه شعر بأن الناس على حق.. وفكر قائلًا: «الآن لا يمكنني التراجع.. لابد أن أمر بالموكب»، وسار يحمل ذاته وهو أكثر زهوًا مما سبق، وحمل رجال الحاشية الذيل الذي ليس له وجود على الإطلاق.

Twitter: @alqareah

الأميرة وحبة البازلاء
1835

كان هناك أمير يريد أن يتزوج أميرة، تتميز بروح وسلوكيات الأميرات؛ ولهذا قام برحلة حول العالم ليبحث عن هذه الأميرة، ولكنه لم يوفق في العثور عليها؛ ولهذا عاد إلى وطنه أخيرًا وهو حزين؛ لأنه لم يعثر على مبتغاه.

وفي إحدى الأمسيات هبت عاصفة هوجاء؛ إذ برق البرق وهدر الرعد وهطلت الأمطار بشدة، وكان الجو مخيفًا حقًّا، وحينئذ سمع الملك طرقًا على باب القصر فتوجه إليه ليفتحه.. فإذا به يجد أمامه أميرة، ولكن يا إلهي! كيف كان منظرها في هذا المطر الغزير والطقس الرديء؟! كان الماء يتصبب من شعرها وملابسها حتى وصل إلى حذائها، ولكنها قالت إنها أميرة حقيقية.

عندما علمت الملكة العجوز بأمر الأميرة التي جاءت إلى القصر، وبالكيفية التي وصلت بها، قالت: «حسنًا، سوف نتدبر الأمر». وذهبت من فورها إلى السرير الذي ستنام عليه الأميرة، ونزعت عنه كل ما فوقه من فراش، ووضعت حبة بازلاء وغطتها بحشية، ثم وضعت فوقها كذلك عشرين لحافًا من الزغب، «وهذا هو السرير الذي أعدته للأميرة لتنام عليه تلك الليلة».

Twitter: @alqareah

وفي الصباح سألها الملك والملكة كيف أمضت ليلتها، فأجابت الأميرة: «آه.. كانت ليلة مؤلمة.. فما كدتُ أغمض عينيَّ طوال الليل، ويعلم الله ماذا كان في هذا السرير، فقد كنت أرقد على شيء صلب أرَّقني طَوال الليل».

فتهلل وجه الملك والملكة فرحًا، وأدركا أنها أميرة حقًّا؛ لأنها رغم العشرين حشية والعشرين لحافًا الموضوعة فوق حبة البازلاء على السرير، أحست بها.. والأميرة الحقيقية فقط هي التي تتمتع بهذا الجلد المرهف رقيق الإحساس.

ولهذا اتخذها الأمير زوجة له؛ لأنه عرف أنها أميرة حقيقية ووضع حبة البازلاء في المتحف، والتي لا تزال موجودة هناك حتى الآن، ومعروضة للمشاهدة. ألا ترى أن هذه القصة حقيقية؟!

Twitter: @alqareah

عروس البحر الصغيرة
1836

هناك بعيدًا في البحر، ترى لون الماء أزرق مثل أوراق زهرة العنبر الجميلة، ورائقًا مثل أصفى أنواع البلّور، ولكنه عميق جـدًّا، بحيث لا يستطيع بصرنا أن يصل إلى نهايته.. وهناك تعيش عرائس البحر.

وفي أعمق بقعة في البحر يقع قصر الملك، جدرانه من المرجان ونوافذه الطويلة المتدرجة من أصفى أنواع الكهرمان، ولكن سقفه من المحارات الرخوية التي تفتح وتقفل مع تيارات المياه.

ظل ملك البحر أرمل لعدة سنوات، وكانت أمه العجوز تدير شئون القصر، وهي امرأة عاقلة تفتخر بنسبها الملكي؛ ولهذا فهي تضع على ذيلها اثنتي عشرة محارة، بينما تضع النبيلات ست محارات فقط، فضلًا عن هذا فهي تحظى بتقدير كبير؛ خاصة وأنها تهتم كثيرًا بحفيداتها الست الأميرات الصغيرات الجميلات. ولكن صغراهن كانت أجملهن.. بشرتها صافية وبراقة كأنها تويجات وردة، عيناها زرقاوان كلون أعماق البحار، ولكنها مثل شقيقاتها.. كان جسدها ينتهي بذيل سمكة.

Twitter: @alqareah

كانت الأميرات يلعبن طوال اليوم في ردهات كبيرة في القصر؛ حيث تنمو الزهور على الجدران. كما كانت توجد حديقة كبيرة، في خارج القصر، بها أشجار حمراء مثل اللهب وزرقاء مثل الليل، وتلمع فيها الفواكه كأنها من ذهب، وكان القاع يحتوي على أصفى الرمال، ولكنه أزرق اللون مثل لهب الكبريت.

كان لكل أميرة صغيرة حوض صغير في الحديقة، تحفر فيه وتزرع فيه ما تشاء. جعلت إحداهن حوض زهورها على شكل حوت، بينما جعلت أخرى حوضها على شكل عروس البحر الصغيرة، أما صغراهن فقد جعلت حوضها مستديرًا كالشمس، وزرعت فيه زهورًا تبدو حمراء مثل قرص الشمس. كانت طفلة عجيبة، هادئة، كثيرة التأمل والتفكير. وبينما كانت شقيقاتها يزيِّنَّ حدائقهن بأشياء غريبة جلبنها من السفن الغارقة، كانت هي تفضل أن تضع تمثالًا جميلًا من المرمر لولد نُحت من صخر أبيض شفاف، وجدته في إحدى السفن الغارقة في قاع البحر. وإلى جانب قاعدة التمثال زَرعت صفصافة في حمرة الورد، نمت بأعجوبة وألقت بأغصانها على التمثال، وتدلت إلى القاع الرملي الأزرق.

ولم يسرَّها شيء قدر سرورها بالاستماع إلى أي شيء يدور حول عالم البشر في العالم العلوي. وكانت الجدة العجوز تحكي عما تعرفه عن السفن والمدن والبشر والحيوانات. ويبدو هذا رائعًا وجميلًا في نظرها؛ فالأزهار على الأرض ذات شذى طيب، ليس له مثيل بين الأزهار في قاع البحر، والغابات خضراء، والأسماك التي تسبح بين الأغصان تبدو كأنها تغني. فما كانت الجدة تذكره عن الأسماك لم تكن غير طيور صغيرة.

Twitter: @alqareah

قالت الجدة: «عندما تبلغن الخامسة عشرة من العمر، سوف يُسمح لَكُنَّ بالذهاب إلى سطح الماء، والجلوس على الصخور في ضوء القمر، والنظر إلى السفن، وهي تسافر فوق سطح الماء، وسوف ترين كذلك الغابات والمدن».

وفي السنة التالية تبلغ الأخت الكبرى الخامسة عشرة، وكل أخت تكبر عامًا عن الأخت التي تليها، ولهذا كان لابد أن تمر خمس سنوات، قبل أن تصعد أصغرهن إلى سطح الماء قادمة من قاع البحر؛ لترى كيف يبدو العالم على سطح الأرض. ووعدت كل من تصعد إلى سطح الماء أخواتها بأن تحكي لهن أعجب ما شاهدت من أشياء، لم تستطع الجدة أن تحكي عنها.

ولم يبلغ الشوق مداه إلا عند الأميرة الصغرى، التي كان يتحتم عليها أن تنتظر خمس سنوات كاملة؛ لترى الحياة على سطح الأرض، وهي المعروفة بالهدوء والتأمل. مرت الأيام، وبلغت الأميرة الكبرى الخامسة عشرة، وسُمح لها بالصعود إلى سطح الماء. وعندما عادت كانت لديها مئات الأشياء التي تحكيها، ولكن أروع شيء حكت عنه هو الاسترخاء في ضوء القمر على الشاطئ الرملي للبحر الهادئ، والنظر إلى المدينة الكبيرة الملاصقة للشاطئ، حيث الاستمتاع بالموسيقى والحركة الصاخبة للمركبات والبشر، والنظر إلى أبراج الكنائس، والاستماع إلى أنغام الأجراس، ولأن الأخت الصغرى لم تصعد إلى سطح الماء من قبل، فقد كانت أكثرهن اشتياقًا لكل هذا.

وفي السنة التالية، يُسمح للأخت الثانية بالصعود إلى سطح الماء والسباحة حيث تشاء. صعدت بينما كانت الشمس تغرب، فبهرها هذا المشهد، فالسماء والسحب تبدو مذهبة، ولن تستطيع أن تصف هذا الجمال ذا اللون القرمزي

Twitter: @alqareah

والبنفسجي، الذي يبدو فوقها، وكان هناك سرب من البجع البري، يطير أسرع من السحاب كستارة بيضاء، تطير فوق الماء متجهة نحو الشمس.. سبحت الطيور في اتجاهها، ولكنها غطست في الماء وغطى الوهج الوردي سطح البحر والسحب.

وفي السنة التالية، صعدت الأخت الثالثة، وكانت أكثرهن جرأة، فسبحت في نهر واسع يصب في البحر، وشاهدت تلالًا خضرًا جميلة تكسوها أشجار العنب، وقصورًا ومزارع تطل من بين الغابات الكبيرة. وسمعت الطيور تغني. وفي أحد الخلجان الصغيرة شاهدت مجموعة من الأطفال الصغار وهم عرايا تمامًا يهرولون نحو الماء؛ ليسبحوا فيه، رغم عدم وجود أذيال لهم.. فأرادت أن تلعب معهم، ولكنهم فروا هاربين خوفًا منها. ثم أتى حيوان صغير أسود اللون، لم تسبق لها رؤيته، هو كلب، أخذ ينبح بشدة في اتجاهها حتى أصابها الفزع، فانطلقت في عرض البحر.

ولم تكن الأخت الرابعة جريئة مثل أخواتها اللاتي سبقنها، فمكثت في عرض البحر المتلاطم الأمواج، وقالت إن هذا هو أجمل شيء. واستطاعت أن تشاهد السفن، ولكن من بُعد، فكانت تبدو كنوارس البحر. وكانت درافيل البحر تدور منقلبة حول نفسها، والحيتان الكبرى تقذف نوافير المياه من مناخرها، حتى بدت كمئات من النوافير حولها.

والآن، جاء دور الأخت الخامسة. كان عيد ميلادها في الشتاء، ولهذا رأت ما لم تره الأخريات؛ إذ كان البحر يبدو هادئًا أخضر اللون، وجبال الجليد الضخمة تعوم حوله في كل مكان، وتلمع مثل الألماس. جلست ذات مرة فوق أضخم جبل جليد، وسافرت السفن العائمة حولها في رهبة. وفي

Twitter: @alqareah

المساء ملأت السحب السماء، وبرق البرق ورعد الرعد، بينما رفع البحر الأسود جبال الجليد الضخمة عاليًا حيث لمعت في ومضات الضوء المبهرة. وطوت جميع السفن أشرعتها في خوف وهلع، بينما جلست هي هادئة فوق جبل الجليد الطافي، تشاهد طبقات البرق المتعرج الزرقاء في البحر.

وفي كل مرة تزور فيها إحدى الأخوات سطح البحر، كانت تغمرها الدهشة لأول وهلة، عندما تشاهد الأشياء الجديدة والعجيبة، ولكنهن الآن بعد أن كبرن وسُمح لهن بالصعود كيفما يُرِدن، وصارت الأمور عادية في أبصارهن، كن يشتقن إلى العودة إلى البيت. وبعد شهر تراءى لهن أن أجمل شيء في الوجود هو قاع البحر حيث يعشن، وأجمل ما فيه هو منزلهن.

وفي كثير من الأمسيات كانت الأخوات الخمس يصعدن إلى سطح البحر، وكل منهن ممسكة بيد الأخرى. وكانت أصواتهن الجميلة أعذب من أصوات نظائرهن من البشر. وحينما توشك العاصفة أن تثور ويظنَّن أن السفينة العائمة عرضة للغرق، كن يقتربن منها ويغنين بأعذب الأصوات لركابها يعرّفنهم بأن قاع البحر ليس موحشًا بالشكل الذي يخشونه، فكم هو قاع جميل!

والآن، أقبل المساء، وصعدت الأخوات الأربع إلى سطح الماء، وقد تشابكت أيديهن، بينما ظلت الأخت الصغرى وحيدة في القصر تبحث عنهن، فقالت لها جدتها: «تعاليْ لأزينك، قبل أن تصعدي إلى أخواتك، فقد علمت أنهن ذهبن إلى سطح الماء». ووضعت الجدة العجوز الملكة الأرملة إكليلًا من الياسمين فوق شعر حفيدتها؛ ولكن كل ورقة من أوراق الزهور كانت نصف لؤلؤة، ثم أضافت ثماني محارات متجاورات بإحكام على ذيل

Twitter: @alqareah

الأميرة؛ لتدل على رفعة شأنها. قالت عروس البحر الصغيرة: «إنها تؤلمني كثيرًا»، فقالت الملكة العجوز: «عليك أن تتحملي قليلًا من المعاناة لكي تبدي جميلة».

كانت الشمس على وشك الغروب، عندما صعدت رأسها إلى سطح الماء، والسحب تلمع مثل الورود وكأنها ذهب.. وفي وسط السماء الوردية لمعت نجمة المساء بوضوح وبهاء. وكان الهواء نقيًّا لطيفًا والبحر ناعم السطح مثل الزجاج. وهناك كانت تقف سفينة كبيرة ذات ثلاثة أشرعة، منها شراع واحد ارتفع فوق ساريته، وجلس البحارة حول الحبال والأشرعة. وحين أظلم المساء، صدحت الموسيقى وسُمِعت الأغاني، وأُوقدت مئات المصابيح ذات الألوان المتعددة.. ويبدو المشهد كأن أعلام جميع الدول ترفرف في الهواء. وسبحت عروس البحر الصغيرة قاصدة نافذة المقصورة، وكلما رفعتها أمواج البحر عاليًا في الهواء، استطاعت أن تشاهد من خلال النوافذ الزجاجية كثيرًا من البشر الذين يرتدون ملابس فاخرة واقفين.. وكان أكثرهم أناقة الأمير الصغير ذو العيون الواسعة الداكنة، الذي يبدو أنه لا يزيد عن ستة عشر عامًا.

كان ذلك اليوم هو عيد ميلاده؛ ولهذا أقيمت له كل هذه المظاهر والاحتفالات.. رقص البحارة على متن السفينة، وعندما أقبل الأمير الصغير انطلقت مئات الصواريخ في الهواء، فأضاءت ما حولها بمثل ضوء النهار؛ ولهذا خافت عروس البحر الصغيرة وغاصت تحت الماء، ولكنها رفعت رأسها ثانية، فخيّل إليها أن نجوم السماء تتساقط حولها؛ لأنها لم تشاهد مثل هذه الألعاب النارية من قبل. كانت السفينة مضاءة بالقدر الذي يسمح

Twitter: @alqareah

برؤية أقل الحبال سمكًا، ناهيك بما عليها من بشر. آه.. يا له من أمير رشيق، يلوّح بيديه ترحيبًا بكل الحضور وهو يضحك ويبتسم، بينما تملأ الموسيقى جو هذه الليلة الرائعة بهجة وسرورًا!

في هذا الوقت المتأخر، لم تستطع عروس البحر الصغيرة أن تحوّل بصرها عن السفينة التي يركبها الأمير الرشيق. وأُطفئت الكثير من المصابيح الملونة، وتوقف إطلاق الصواريخ في الهواء، كما توقف إطلاق المدافع للتحية، ولكن أعماق البحر أخذت تقرقر وتدمدم.. وارتفعت الأمواج وتعاظمت السحب وشوهد البرق يلمع من بعيد. آه! لقد لاحت في الأفق عاصفة رهيبة؛ ولهذا طوى البحارة الأشرعة. واندفعت السفينة بأقصى سرعة في البحر الهائج، وارتفع الماء في موج كالجبال السوداء الهائلة وانصب فوق سواري السفينة، ولكن السفينة غاصت بين الأمواج العاتية؛ لتترك نفسها تصعد فوق قمة المياه العالية، وظنت عروس البحر أن هذه السرعة آمنة على عكس ما يظن البحارة، وتمزقت السفينة وانبعجت تحت وطأة الضربات الثقيلة، وغمرت الأمواج السفينة وانهارت الأشرعة في وسطها، وانقلبت السفينة على جانبها وتدفق الماء إلى مخازنها، ورأت عروس البحر الصغيرة أنهم جميعًا في خطر، وكان عليها أن تتوقى ضربات الأخشاب وقطع الحطام الطافية فوق الماء.

وما هي إلا لحظة حتى أظلمت الدنيا فلم تستطع أن ترى شيئًا، ولكن البرق أضاء ما حوله، فاستطاعت أن تميز كل مَن كان على متن السفينة.. تخبط الجميع وصاروا يصارعون الأمواج من أجل الحياة، وبحثت بصفة خاصة عن الأمير الصغير، فرأته يغرق ويغوص في الأعماق بعد أن تحطمت السفينة. أسعدها ذلك كثيرًا في أول الأمر لأنه قدِم إليها، ولكنها سرعان ما

Twitter: @alqareah

أدركت أن البشر لا يستطيعون العيش في الماء، وأنه لن يصل إلى قصر أبيها في أعماق البحر إلا جثة هامدة.

وحدثتها النفس: «كلا.. لا يمكن أن يموت». وهكذا سبحت بين الكتل والدعامات الخشبية الطافية فوق سطح البحر، ناسيةً أنها قد تهلكها، وغاصت في أعماق البحر، ثم طفت على السطح بين الأمواج حتى عثرت على الأمير الصغير أخيرًا، وهو الذي كان يصارع الموت في البحر العاصف. ضعفت ذراعاه ورجلاه، واغمضَّت عيناه. وكاد يغرق لولا أن أدركته عروس البحر الصغيرة، التي رفعت رأسه عاليًا فوق الماء وتركت الأمواج تحملهما حيثما أرادا.

في الصباح هدأت العاصفة، ولم تبدُ من بقايا العاصفة أية شظية. وأشرقت الشمس حمراء ساطعة من تحت الماء، كما لو كانت تبعث الحياة في وجنات الأمير، ولكن عينيه لا تزالان مغمضتين. فقبَّلت عروس البحر أعلى جبهته الرشيقة، ورفعت عن وجهه شعره المبتل، وظنت أنه يشبه التمثال المرمري المقام في حديقتها الصغيرة، قبَّلته ثانية وتمنت أن يعيش.

وأطلَّت على اليابسة أمامها، فرأت بجوار الساحل غابات خضراء جميلة، ومن بعيد تظهر كنيسة أو دير، لم تعلم عنها شيئًا ولكنها كانت أبنية على أية حال.. وللبحر خليج صغير هادئ وعميق في مواجهة الصخرة العاتية حيث يقذف البحر إليها رمالًا بيضاء ناعمة. وهناك سبحت ومعها الأمير الرشيق فوضعته على الرمال، وتطلعت إليه فرأت رأسه يرتفع مع ارتفاع الشمس في مسارها.

Twitter: @alqareah

دقت الأجراس في البناء الأبيض الكبير، وتسللت عدة فتيات من الباب إلى الحديقة. وهنا سبحت عروس البحر الصغيرة بعيدًا واختبأت خلف صخرة كبيرة برزت من الماء، ثم غطت شعرها وصدرها بزبد البحر حتى لا يرى أحد وجهها الصغير، وظلت تراقب كل من يقترب من الأمير المسكين.

ولم يمضِ وقت طويل حتى أدركته فتاة صغيرة حيث كان يرقد، ويبدو أنها كانت مذعورة لمدة وجيزة فقط، ثم أحضرت بعضًا من الناس، ولاحظت عروس البحر أن الأمير عاد إلى صوابه وابتسم لكل من كان حوله، ولكنه لم يبتسم لها؛ لأنه لا يعلم أنها هي التي أنقذته، فحزنت لذلك. وعندما حملوه عائدين إلى القصر الكبير، غاصت في الماء، وهي غاضبة مُيَمِّمَةً وجهها شطر قصر والدها.

كانت دائمًا صامتة ومتأملة، ولكنها الآن أكثر صمتًا وتأملًا، وسألتها أخواتها عما رأت في أول مرة تصعد فيها إلى سطح البحر، ولكنها لم تحر جوابًا. وفي كثير من الأمسيات كانت تسبح صاعدة إلى سطح الماء حيث فارقت الأمير، ولاحظت أن الفواكه في الحديقة نضجت وحان قطافها، وأن الجليد فوق قمم الجبال ذاب وانحسر، ولكنها لم تشاهد الأمير، فعادت إلى منزلها أشد أسفًا وأكثر حزنًا، ولم تجد راحة نفسية إلا في حديقتها الصغيرة، حيث تلقي بذراعيها حول التمثال المرمري الجميل الذي يشبه الأمير. ولم تكن ترعى زهورها التي نمت حول الممرات حتى أظلمت الحديقة.

لم تتحمل «عروس البحر الصغيرة» مرارة الصمت الطويل، بل أبلغت إحدى أخواتها بما حدث. وعلم الجميع من الأقرباء وقليل من عرائس البحر

Twitter: @alqareah

المقربات بالخبر. وعرفت إحداهن الأمير، ورأت مظاهر الزينة والفرح على السفينة، كما عرفت من أين أتى، وفي أي مكان تقع مملكته.

قالت الأميرات لأختهن الصغرى: «تعاليْ». ووضعت كل منهن ذراعها على كتف شقيقتها وصعدن في صف طويل إلى سطح الماء أمام الموقع الذي يعتقدن أن يكون فيه قصر الأمير.

كان القصر مصنوعًا من نوع لامع من الحجر الأصفر الفاتح، ذا دَرَج كبير، يصل أحدها مباشرة إلى الماء. وله قباب مُذَهَّبَة رائعة فوق السقوف، وتماثيل مرمرية مصفوفة بين أعمدة تحيط بكل المبنى، تبدو كأنها تنعم بالحياة. ومن خلال النوافذ العالية الزجاجية تبدو للناظر أبهاء فخمة تعلَّق فيها ستائر من حرير وطنافس وسجاجيد على جدران كلها محلاة بنقوش كبيرة تبعث السرور في نفس المشاهد.

لقد عرفَتْ الآن أين يعيش، وفي كثير من الأمسيات والليالي كانت تصعد هناك فوق سطح الماء، وكثيرًا ما سبحت بالقرب من موقعه على الأرض حيث لا يجرؤ إنسان على الاقتراب منه. وهناك دخلت في القناة الصغيرة تحت الشرفة المرمرية التي تلقي بظلها على الماء، وجلست تنظر إلى الأمير الصغير الذي يعتقد أنه يجلس وحيدًا في ضوء القمر الصافي.

وفي كثير من الأمسيات، كانت تراه في زورق رائع يطفو فوق الماء على أنغام الموسيقى ورفرفة الأعلام.. وفي كثير من الليالي كانت تسمع الصيادين على ضوء المصابيح، يقصُّون حكايات كثيرة عن الأمير الصغير، الذي سرَّها أن تنقذ حياته عندما كان يوشك على الغرق. وتذكرت كيف قبَّلته بحرارة، وهو لا يعلم شيئًا عن كل هذا ولا يحلم بها ذات يوم.

Twitter: @alqareah

وصارت أكثر إعجابًا بالجنس البشري، وتمنت أكثر وأكثر لو أنها تعيش بين الناس، وظنت أن عالمهم أوسع من العالم الذي تعيش فيه. ويا للعجب! فهم يستطيعون السفر في السفن فوق سطح البحر، وتسلق الجبال العالية فوق السحب، وتمتد أرضهم بالغابات والحقول على مساحات أرحب مما ترى في عالمها. وهناك الكثير الذي ينبغي أن تعرفه، ولكن أخواتها لا يستطعن الإجابة عن أسئلتها. ولهذا لجأت إلى جدتها العجوز التي تعرف الكثير عن العالم العلوي الذي تطلق عليه اسم «الأرض فوق البحر».. سألتها عروس البحر الصغيرة: «إذا لم يغرق الإنسان فهل يعيش إلى الأبد؟! وهل يموت بالطريقة التي نموت بها في البحر؟».

فأجابت الملكة العجوز: «يا للعجب! نعم، فلابد أن يموت الإنسان وعمره أقصر من عمرنا بكثير. نحن نعيش ثلاثمائة عام، وعندما تنتهي أعمارنا هنا، نتحول فقط إلى زبد يطفو فوق سطح الماء، وليست لنا مقابر هنا بين أحبابنا، ولا روح خالدة، فلا حياة لنا بعد الموت.. أما البشر فلهم روح تعيش إلى الأبد، بينما تُوارى أجسادهم في الثرى؛ إذ تصعد أرواحهم عبر الأثير النقي إلى السماء. ومثلما نصعد إلى سطح الماء ونرى أرض البشر، كذلك تصعد أرواح البشر إلى أماكن جميلة مجهولة لا نستطيع أن نراها».

وسألت عروس البحر الصغيرة، وهي حزينة: «لماذا لا نحصل على روح خالدة؟ يسرني أن أعطي ما أملك من سنوات عمري، التي تحسب بالمئات، نظير أن أكون خالدة ولو ليوم واحد، وأن أشارك في هذا العالم السماوي».

Twitter: @alqareah

أجابتها جدتها الملكة العجوز: «لا ينبغي أن تذهبي أو تفكري في ذلك، فنحن هنا أفضل بكثير من عالم البشر العلوي هناك.. وسأموت أنا كذلك وأطفو زبدًا فوق الزهور الجميلة والشمس الحمراء».

فسألت عروس البحر الصغيرة: «أليست هنالك حيلة أحتالها لكي أكتسب روحًا خالدة؟».

فأجابتها الملكة العجوز: «كلا.. بل إن الإنسان إذا أحبك حبًّا جمًّا بحيث تكونين أعز عليه من أبيه وأمه، وإذا ظَلَلْتِ تشغلين ذاكرته وصرتِ على اتصال وثيق به، حتى يدع الراهب يضع يده اليمنى في يدك، وإذا ارتبطتما برباط الإخلاص من الآن وإلى الأبد؛ فحينئذٍ تطفو روحه وتدخل في جسدك وتشاركين عالم الإنسان في السعادة، فيعطيك روحًا بينما يحتفظ هو بروحه كذلك، ولكن هذا لن يحدث، فأجمل شيء هنا في عالم البحر هو ذيل السمكة الذي تتحلين به، سيجدونه شيئًا منفّرًا في العالم الأرضي، فهم لا يعرفون ما هو أفضل إلا تلك الساقين القميئتين اللتين يصفونهما بالجمال».

فتنهدت عروس البحر الصغيرة، وبدا عليها الحزن، عندما نظرت إلى ذيلها الذي يشبه ذيل السمكة.

وقالت لها الملكة العجوز: «دعينا نرضَ بواقعنا ونرقص مرحًا في أعوامنا الثلاثمائة التي نعيشها. وهذا وقت طويل حقًّا، وبعدئذٍ يستريح المرء في آخرته وهو قرير العين.. وفي هذا المساء سنذهب إلى حفل راقص».

والآن، هذا ثراء لا يُرى فوق الأرض، فالحوائط والأسقف في قاعة الرقص الكبيرة مصنوعة من الزجاج الصافي السميك، وعدة مئات من المحارات الرخوة الهائلة ذات الألوان الحمراء الوردية والخضراء كالحشائش،

Twitter: @alqareah

التي أُعِدَّت في صفوف على كلا الجانبين بالمشاعل الزرقاء، أضاءت كل جنبات قاعة الرقص ولمعت على الجدران حتى أضاءت البحر من حولها، وقد لمعت قشورها بلون مخملي، بينما بدا بعضها فضيًّا ومذهبًا. وعبر منتصف قاعة الرقص، يمر جدول عريض ترقص حوله عرائس البحر على أنغام الموسيقى والأغاني التي يترنمون بها. ولا تتوافر لدى البشر أصوات بمثل هذه العذوبة، وكانت أجمل الأصوات تبثها عروس البحر الصغيرة التي صفق لها الجميع.

وفي لحظات وجيزة امتلأ قلبها سرورًا، عندما علمت أن صوتها أجمل صوت على وجه الأرض وفي البحر كذلك. وسرعان ما بدأت تفكر مرة ثانية في العالم الأرضي؛ فلم تنسَ أبدًا ذلك الأمير الصغير، ولكن تملَّكها الحزن لأنها ليست مثله ذات روح خالدة. وحينئذ تسللت خفية خارج قصر أبيها، وبينما كان الجميع ينعمون بالمرح والغناء، جلست هي حزينة في حديقتها الصغيرة، ثم سمعت بوقًا يدوي في أعلى الماء، فقالت لنفسها: «الآن، لعله يبحر فوق سطح الماء هناك، وهو الذي أُحبه أكثر من أبي وأمي، فأظل دائمًا أذكره، وأتمنى أن أضع في يده كل سعادتي في الحياة، وسوف أغامر في سبيله وأضحي بكل شيء؛ كي أنتسب إليه وأتمتع بروح خالدة. سأذهب إلى ساحرة البحر التي كنت دائمًا أخشاها، ولكنها ربما نصحتني وساعدتني».

وخرجت عروس البحر الصغيرة من حديقتها نحو الدوامات العتيقة التي تعيش خلفها الساحرة، ولم تكن ذهبت إليها مسبقًا. وبين هذه الدوامات الطاحنة كان عليها أن تذهب إلى مملكة ساحرة البحر، ولم يكن أمامها سبيل آخر سوى فقاعات الوحل، التي تسميها الساحرة مستنقعها الخطير. وخلف

Twitter: @alqareah

هذا كله يقبع منزلها الذي يتوسط غابات مخيفة؛ حيث الأشجار والشجيرات تشبه الأفاعي، وكل أغصانها أذرع طويلة زلقة ذات أصابع تشبه الدود المتعوج.

ظلت عروس البحر الصغيرة واقفة خارج الغابة، وقد تملكها الخوف وملأها الرعب، وأوشكت أن تدير ظهرها لهذا العالم، ولكنها فكرت في الأمير والروح الخالدة فأدركتها الشجاعة، ولفَّت شعرها الطويل المتهدل حول رأسها حتى لا يقبضها منه الأخطبوط.. وراحت تمرق بين الأخطبوطات البغيضة، حتى وصلت إلى فتحة كبيرة زلقة في الغابة، تتوثب فيها ثعابين الماء الكبيرة. وفي وسط هذه الفتحة شُيِّد منزل من عظام البشر الذين غرقت بهم السفن، وبه تجلس الساحرة تُطعم من فمها ضفدعًا كبيرًا، مثلما يطعم الناس عصفور الكناري قطع السكر من أفواههم.. وكانت تسمِّي ثعابين الماء المخيفة الغليظة كتاكيتها الصغار، وتدعها تتلوى حول أثدائها الإسفنجية.

قالت لها ساحرة البحر: «عرفتُ ما أتيتِ من أجله، وهو شيء من الحماقة أن تُقدمي عليه، إلا أنني ألبي مطلبك الذي يجلب لك الحظ السيئ يا أميرتي العزيزة! تريدين أن تتخلصي من ذيلك وتحصلي على ساقين، تسيرين بهما مثل البشر، حتى يقع الأمير في حبك وتحصلي على روح خالدة».. ثم أضافت قائلة: «لقد أتيتِ في لحظة حرجة، وفي الغد بعد شروق الشمس لا أستطيع أن أساعدك بشيء إلا بعد مرور عام، أقوم فيه بتحضير جرعة دواء تتناولينها قبل شروق الشمس، ثم تسبحين إلى العالم الأرضي وتجلسين على الشاطئ.. وحينئذ سوف ينفصل ذيلك، ويتقلص إلى ما يسميه البشر سيقانًا؛ وهو شيء مؤلم، كما لو كان يشقه سيف، وكل من يراكِ من البشر سيقول إنكِ أجمل طفل

Twitter: @alqareah

بشري رأته عيناه. وسوف تحتفظين بخفة حركتك؛ فلا يستطيع أي إنسان أن يرقص أو يسبح مثلك، ولكن كل خطوة تمشينها ستكون كما لو أنك تسيرين فوق حد سكين حادة، ولهذا سوف تدمى قدماك، فإذا أردت أن تتحملي كل هذه المعاناة فسوف أساعدك».

وأجابت عروس البحر الصغيرة بصوت مرتعش، وهي تفكر في الأمير وفي الروح الخالدة التي تتمناها: «نعم».

وأضافت الساحرة: «ولكن تذكري أنك بمجرد أن تكتسبي شكل الإنسان، لن تعودي ثانية لتكوني عروس البحر، ولن تستطيعي أن تغوصي في الماء لتعودي إلى أخواتك وإلى قصر أبيك. وإذا لم تستحوذي على حب الأمير بحيث تُنسيه أباه وأمه، ولا تبرحين فكره، وتصبحين زوجة له يرعى زواجكما الكاهن، فلن تحرزي روحًا خالدة، وفي أول يوم يمر بعد زواجه من فتاة أخرى، سوف يتحطم قلبك وتتحولين إلى زبد يطفو فوق الماء».

قالت عروس البحر الصغيرة، وقد اعتراها ذبول مميت: «أريد ذلك».

وقالت الساحرة: «ولكنك يجب أن تدفعي إليَّ أجري كذلك، وما أطلبه منك ليس هيّنًا؛ فصوتك أجمل صوت هنا في قاع البحر، وربما تظنين أنك سوف تسحرينه بصوتك، ولكن هذا الصوت ستمنحينني إياه. أريد أفضل شيء تجيدينه ليُمتعني عند الشراب. ويا للعجب! فلابد أن أضع فيه دمي حتى يصير مثل سيف ذي حدين».

قالت عروس البحر: «إذا أخذتِ صوتي، فماذا يتبقى لديَّ؟».

Twitter: @alqareah

أجابت الساحرة: «جسمك الفتان وحركتك الرشيقة وعيناك اللامعتان، وبها جميعًا يمكنك أن تسحري قلب أي إنسان بالطبع. فلتخرجي لسانك الصغير حتى أقطعه، فذلك أجري، وسوف أمنحك جرعة الدواء الناجعة».

وقالت عروس البحر: «فليكن ما يكون».

وضعت الساحرة الإناء الذي تُعدُّ به جرعة الدواء السحرية بحيث تجهزها للاستخدام، وقالت: «النظافة شيء طيب». ثم نظفت الإناء بثعابين الماء بعد عقدها مع بعضها البعض، وقطعت ثديها وجعلت دمها الأسود يسيل في الإناء، وشكَّل البخار أشباحًا عجيبة ترعب وتميت من يراها، وفي كل لحظة كانت الساحرة تضيف شيئًا جديدًا إلى الإناء، حتى إذا نضجت الجرعة تمامًا صارت مثل دموع التماسيح. وأخيرًا صارت الجرعة جاهزة، وكانت مثل الماء الصافي.

قالت الساحرة: «هذه هي الجرعة الناجعة»، ثم قطعت لسان عروس البحر الصغيرة حتى صارت بكماء لا تتكلم ولا تغني.

أضافت الساحرة: «إذا جاءكِ أي أخطبوط يريد أن يمسككِ وأنت في طريق العودة داخل الغابة، ألقِي بقطرة من هذه الجرعة عليه فسوف تنفجر أذرعه وأصابعه وتتفتت إلى ألف قطعة، ولكن عروس البحر الصغيرة لم تكن في حاجة إلى ذلك؛ لأن الأخطبوطات فرَّت في فزع، عندما رأت الجرعة المشعة اللامعة تضيء في يدها.. وسرعان ما مرت في الغابة والمستنقع والدوامات العنيفة.

ورأت قصر أبيها وقد أُطفئت فيه مصابيح قاعة الرقص الكبيرة، فلابد أن يكون الجميع قد ناموا، ولكنها لم تجرؤ على البحث عنهم الآن، بعد أن

Twitter: @alqareah

صارت بكماء، وهي في سبيل فراقهم إلى الأبد، وكانت كمن يتمزق قلبه حزنًا. وانسلَّت إلى الحديقة، وقطفت زهرة من كل حوض من أحواض أخواتها، ووجهت إلى القصر مئات القبلات، ونهضت تصعد إلى سطح البحر.

لم تكن الشمس قد أشرقت عندما رأت قصر الأمير، وصعدت الدَّرَج الرخامي الرائع، وكان القمر ساطعًا لامعًا بوضوح. وتجرعت عروس البحر الصغيرة الجرعة الناجعة الملتهبة، وكانت كأن سيفًا ذا حدين يخترق جسدها الرقيق، فأغمي عليها ورقدت كالموتى.

عندما صعدت الشمس إلى عنان السماء فوق البحر أفاقت وشعرت بألم شديد، ولكن كان الأمير الرشيق يقف أمامها مباشرة. وثبَّت عينيه السوداوين عليها، فحولت نظرها عنه، ورأت أن ذيلها الذي يشبه السمكة زال، واستُبدِل بساقين بيضاوين جميلتين لا تملك أية فتاة مثلهما. وكانت عارية تمامًا، فغطت نفسها بشعرها الطويل، وسألها الأمير عمن تكون وكيف أتت إلى هذا المكان، فنظرت إليه بحنان وحزن بعينيها الزرقاوين الداكنتين؛ لأنها بطبيعة الحال لا تستطيع أن تتكلم. وكانت كل خطوة تخطوها كأنها تخطو فوق مثاقيب حادة أو سكاكين مسنونة كما قالت الساحرة، ولكنها تحملت كل هذا بصبر وجلد. وقفت كالفقاعة بسهولة ويسر إلى جانب الأمير، فتعجب الأمير شأنه شأن أي إنسان آخر من حركتها الرشيقة الدافقة.

وهنا مُنحت ملابس ثمينة من الحرير وأثوابًا من القطن الرقيق، وكانت أجمل مَنْ في القصر جميعًا، ولكنها كانت خرساء لا تستطيع الكلام ولا الغناء. وجاءت فتيات من الجواري الحسان، يرتدين ملابس من الحرير والذهب،

Twitter: @alqareah

أقبلن وغنَّين للأمير ووالديه الملكيْنِ. غنَّت إحداهما بصوت أعذب من أصوات الأخريات فصفق لها الأمير وابتسم. فحزنت عروس البحر الصغيرة؛ لأنها تعرف أنها كانت تفوقها في الغناء، وقالت لنفسها: «آه لو عرف الأمير أنني تنازلت عن صوتي؛ من أجل أن أكون إلى جانبه، وأن أتمتع بروح خالدة!».

والآن.. رقصت الفتيات الجواري رقصًا جميلًا، وأدَّين حركات مبهرة على أنغام الموسيقى الحالمة. وحينئذٍ رفعت عروس البحر الصغيرة ذراعيها البيضاوين، ووقفت على أطراف قدميها وانزلقت عبر أرضية القاعة، ورقصت كما لم يرقص أحد قبلها. وفي كل حركة كان يبدو جمالها أكثر وضوحًا، وتكلمت عيناها بأعمق مما كانت الفتيات الجواري تغني.

وسحرت أعين الناس وخاصة الأمير الذي أسماها لقيطته الصغيرة، ورقصت كثيرًا على الرغم من أنها في كل لحظة تطأ قدماها الأرض تشعر كما لو أنها تسير على سكاكين حادة. وقال الأمير إنه سوف يُبقي عليها إلى جواره مدى الحياة، وسُمح لها بالنوم خارج غرفته على وسادة من المخمل.

وألبسها ملابس الصِّبْية حتى ترافقه على ظهور الخيل، وركبا خلال الغابات طيبة الرائحة حيث مشطت الأغصان الخضراء كاهليها، وغنت لها الطيور الصغيرة خلال أوراق الشجر الناضر. وصعدت مع الأمير الجبال الشاهقة، ورغم أن قدميها الرقيقتين تنزفان دمًا رآه الآخرون، إلا أنها كانت تضحك، وهي تتابع السير معه، حتى رأيا السحب تسري من دونهما مثل أسراب الطيور، التي تسبح في طريقها إلى أراضٍ بعيدة.

Twitter: @alqareah

وعند عودتهما إلى قصر الأمير، أقبل الليل ونام الجميع، ذهبت إلى الدَّرَج الرخامي وبرَّدت قدميها الملتهبتين بالوقوف في ماء البحر البارد، وحينئذٍ فكَّرت فيمن يعيشون دونها في أعماق البحر.

وذات ليلة، أقبلت أخواتها كلٌّ تمسك بذراع الأخرى. وأنشدن أغنية حدادية عندما كن يسبحن فوق الماء فلوحت بيديها إليهن، فتعرفن عليها وأبلغنها كم هن تعيسات بدونها. وبعدئذٍ كن يزرنها كل ليلة، حتى جاءت ليلة رأت فيها جدَّتها العجوز، التي لم تصعد إلى سطح البحر منذ عدة سنوات مضت، كما رأت ملك البحر قد لبس تاجه فوق رأسه. ومدت الأخوات أذرعهن إليها، ولكنهن لم يستطعن الاقتراب من الشاطئ الذي تقف عليه.

وتزايد إعجاب الأمير بها يومًا بعد يوم. وأحبها كما يحب المرء طفلًا عزيزًا عليه، ولكن لم يتبادر إلى ذهنه أن يجعلها ملكة، وتمنت هي أن تصبح زوجته إذا امتد بها العمر، حتى تكتسب الروح الخالدة وإلا لعادت لتصير زبدًا فوق سطح البحر صبيحة زفافه.

وتحدثت عينا عروس البحر الصغيرة، عندما أخذها الأمير من ذراعيها وقبَّلها من جبهتها الجميلة، فنظرت إليه وكأنها تقول له: «ألستَ تحبني أكثر من الجميع؟».

فأجابها الأمير: «بلى.. أحبك طبعًا أكثر؛ لأنك تحملين أطيب قلب، فأنت تشبهين فتاة رأيتها ذات مرة، ولكنني لم أرها بعد ذلك؛ إذ كنتُ في سفينة غرقت، فحملتني الأمواج إلى شاطئ قريب من أحد المعابد، التي يأوي إليها العديد من الفتيات الصالحات. حملتني صغراهن إلى الشاطئ وأنقذتني، ولم أرها سوى مرتين، وهي الوحيدة التي أحبها في هذا العالم. وأنت تشبهينها،

Twitter: @alqareah

وقد شَغَلَت صورتك مكانها في روحي. وهي من أتباع المعبد، وقد ساقتك إليَّ الصدفة الحسنة، ولن نفترق أبدًا».

وفكرت عروس البحر الصغيرة: «يا للهول! فهو لا يعرف أنني أنا التي أنقذته. فقد حملته فوق سطح البحر إلى الغابة التي يقع فيها المعبد، ثم اختفيت تحت الزبد، وانتظرت حتى أرى أي إنسان يأتي إليه. وشاهدتُ الفتاة الجميلة التي يحبها أكثر مني». ثم شهقَتْ بعمق؛ لأنها لا تستطيع الصراخ، وقالت لنفسها: «يقول الأمير إن الفتاة من أتباع المعبد المقدس، ولن تخرج إلى هذا العالم، ولن يلتقيا، ولكنني أظل معه فأراه يوميًّا، وأرعاه وأحبه وأكرس حياتي من أجله».

والآن، لقد دار حديث بين الناس يقول: إن الأمير سوف يتزوج ابنة جاره الملك.. تلك الفتاة الجميلة، وهذا هو الذي حداه لأن يجهز سفينة فاخرة، أشيع أن الأمير سيسافر فيها إلى بلد الملك المجاور، ومن الطبيعي أن يرى هناك ابنته، ولابد أن يصطحب حاشية كبيرة معه.

وقبَّلها من فمها الوردي، وعبثت أصابعه في شعرها الطويل، وأسند رأسه إلى قلبها الذي كان يحلم بالسعادة البشرية والروح الخالدة، ولكن عروس البحر الصغيرة هزت رأسها وضحكت؛ فهي تعرف فكر الأمير أكثر من الآخرين، فقد سبق أن أبلغها: «أنا مضطر إلى الذهاب لرؤية الأميرة الجميلة، التي أصر والداي عليها، ولكنهما لن يستطيعا إجباري على اتخاذها عروسا لي، فأنا لا أحبها، فإذا قُدِّر لي أن أختار عروسًا فأنت المرشحة لذلك يا لقيطتي الصغيرة الصماء ذات العيون المتكلمة؛ فأنت تشبهين فتاة المعبد التي أنقذتني».

Twitter: @alqareah

وبينما هما واقفان على متن السفينة الفاخرة التي تُقلّهما إلى بلد الملك المجاور، قال لها الأمير: «هل تخافين يا طفلتي الصغيرة الصماء من البحر؟». وأبلغها عن العواصف والهدوء والأسماك العجيبة في الأعماق، وما رأى الغطاسون في قاع البحر، فابتسمت لكل ما قص عليها؛ لأنها بطبيعة الحال تعرف عن قاع البحر أكثر من أي شخص آخر.

وفي ليلة قمراء، كان الجميع نيامًا حتى البحّار الذي يدير دفة السفينة، جلست بجوار سور السفينة وحملقت كثيرًا في الماء الصافي، كأنها تريد أن ترى قصر أبيها. وفي الذروة وقفت جدتها العجوز وتاجها الفضي فوق رأسها، ثم صعدت أخواتها إلى سطح الماء، فنظرن إليها نظرات حزينة، ثم قلَّبن أياديهن البيضاء حسرة عليها، ولوَّحت لهن بأيديها وابتسمت كأنها تريد أن تبلغهن أنها سعيدة وأن كل شيء يسير على ما يرام، ولكن أحد بحَّارة السفينة ظهر على السطح فغاصت الأخوات، وظن أن اللون الأبيض الذي رآه ما هو إلا زبد طفا فوق سطح البحر.

وفي اليوم التالي، دخلت السفينة ميناء مملكة الملك المجاور. ودقت جميع نواقيس الكنائس، وانطلقت الأبواق من أبراجها العالية، واصطف الجنود يلوِّحون بأعلامهم، بينما تلمع أسلحة البنادق البيضاء. وأقيمت الولائم، وتعاقبت حفلات الرقص والغناء، ولكن الأميرة لم تظهر بعد؛ فقد قيل إنها تعلمت جميع الفضائل الملكية في معبد قدسي بعيد، وأخيرًا وصلت.

وانتظرت عروس البحر الصغيرة في شوق زائد لترى جمال الأميرة، وتعترف بأنها لم تر قط مخلوقًا أجمل منها؛ فبشرتها ناعمة رقيقة.. من تحت أهدابها الطويلة الداكنة، تبتسم عينان زرقاوان داكنتان.

Twitter: @alqareah

قال الأمير: «إنها أنت.. أنت التي أنقذتني عندما رقدتُ على الشاطئ على وشك الوفاة» ثم تلقَّى عروسه الخجولة بين يديه. وقال لعروس البحر الصغيرة: «آه! إنني سعيد جدًّا، فما كنت أتمناه تحقق أخيرًا، وسوف تسعدين بحظي السعيد؛ لأنك تحبينني أكثر من الجميع». فقبَّلت عروس البحر الصغيرة يديه، ولكنها شعرت بأن قلبها ينفطر، ففي صبيحة زفافه سوف يأتيها الموت، وتتحول إلى زبد يطفو فوق سطح البحر.

دقت أجراس جميع الكنائس، وركب المنادون خيولهم وجاسوا خلال الديار يعلنون الخطبة. واحترقت في جميع المحاريب زيوت عطرية في مصابيح فضية ثمينة. وتأرجحت المباخر في أيدي الرهبان، وتناول العريس بيديه يديْ عروسه، وتلقى كل منهما البركات من بابا الكنيسة. ووقفت عروس البحر وقد ارتدت ملابس من الحرير المطعَّم بالذهب تمسك بذيل العروس، ولكن أذنيها لم تُسْمِعاها موسيقى الاحتفال، ولم تر عيناها الحفل المقدس، وفكرت في صباح يوم وفاتها، وفي كل ما فقدت في هذا العالم.

وفي المساء ذاته، ذهب العريس وعروسه إلى متن السفينة، فانطلقت المدافع بالتحية ورفرفت الأعلام، وفي منتصف ظهر السفينة نُصب سرادق ملكي مخملي ذهبي ذو وسائد ناعمة، أُعد لنوم العريس وعروسه في تلك الليلة الهادئة الباردة، وملأ النسيم الأشرعة، وانزلقت السفينة برقة وسهولة فوق سطح البحر الصافي.

وعندما بدأ الظلام يخيّم، أُضيئت عدة مصابيح ملونة، ورقص البحارة على متن السفينة، الأمر الذي جعل عروس البحر تسترجع ذكرى اليوم الأول الذي صعدت فيه إلى سطح الماء، ورقصت كالعصفور الذي يحلّق في الهواء،

Twitter: @alqareah

فصفق لها الجميع، وانطلقت منهم صيحات الإعجاب؛ فلم يسبق لها أن رقصت بهذه الروعة، وكلما وطأت قدماها الأرض كانت تشعر بأن سكاكين حادة تقطع أقدامها الرقيقة، ولكنها لم تبدِ أي شعور بالألم، وكان الألم الذي يعتصر قلبها أشد قسوة. وعرفت أن هذا المساء هو آخر الأمسيات، التي ترى فيها ذلك الشخص الذي من أجله تركت أسرتها ومنزلها، وضحَّت بصوتها الجميل، وتحملت في سبيله المتاعب اليومية دون أن يدرك ذلك. وتلك هي آخر ليلة تتنسم فيها نفْس الهواء الذي يتنسمه، وترى البحر العميق والسماء ذات النجوم.. كان ينتظرها ليل لا نهاية له ولا أحلام فيه؛ إذ لم تحصل على الروح التي تبتغيها، ويبدو أنها لن تحصل عليها قط.

كانت البهجة والمرح يعمَّان السفينة حتى بعد أن انتصف الليل. وضحكت ورقصت وهي تفكر في الموت في قلبها. وقبَّل الأمير عروسه الجميلة التي عبثت بشعره الداكن، ثم رافقها يدًا بيد إلى السرير الـمُعَدّ في السرادق الجميل.

وران الهدوء والسكينة على السفينة، وظل مدير الدفة في السفينة واقفًا أمام عجلة القيادة. وأسندت عروس البحر يديها إلى سور السفينة، ونظرت إلى الشرق في انتظار الفجر، تترقب أشعة الشمس الأولى التي تعرف أنها ستقتلها، ثم رأت شقيقاتها يسبحن فوق سطح الماء، وكان الشحوب يبدو عليهن، ولم يَبْدُ شعرهن الجميل الطويل طافيًا ولا سابحًا في الهواء، فقد قصصن شعرهن.

قلن لها: «ذهبنا إلى الساحرة نطلب منها مساعدتك وإنقاذك من الموت في هذه الليلة، فأعطتنا سكينًا، وهذه هي. انظري. كم هي حادة!! وعليك

Twitter: @alqareah

أن تغمديها في قلب الأمير قبل شروق الشمس، وعندما يلطخ دم الأمير ساقيك فسوف تتحولان إلى ذيل سمكة، وتعودين مرة ثانية إلى سيرتك الأولى عروسًا للبحر، تغوصين معنا إلى قاع البحر، وتعيشين ثلاثمائة عام قبل أن تصيري إلى العدم، وتتحولي إلى زبد مالح فوق سطح البحر. فهيا سارعي إلى قتله، فإما أن تموتي أنت وإما أن يموت هو قبل طلوع الشمس. لقد حزنت جدتنا العجوز كثيرًا حتى تساقط شعرها، مثلما فقدنا شعورنا بمقص الساحرة. اقتلي الأمير وعودي إلينا. هيا.. هل ترين الشفق الأحمر في الأفق؟ فما هي إلا بضع لحظات حتى تشرق الشمس وتموتي». وانطلقت منهن شهقات عميقة عجيبة، قبل أن يغصن في الماء.

وأزاحت عروس البحر الستارة المخملية من السرادق، ونظرت إلى العروس الجميلة النائمة ورأسها مستند إلى صدر الأمير. ومالت عروس البحر تُقبّل جبهة الأمير، ونظرت إلى السماء التي صار لونها ورديًّا، كما نظرت إلى السكين الحادة وأغمضت عينيها على صورة الأمير، الذي تمتم باسم عروسه وهو يحلم؛ فهي وحدها تشغل باله. ولمعت السكين في يد عروس البحر، فألقت بها بعيدًا بين الأمواج.. ومرة ثانية ألقت بنظرة قاتمة على الأمير، ثم ألقت بنفسها من السفينة وغاصت إلى قاع البحر؛ وشعرت بأن جسدها يتحلل إلى زبد.

والآن، أشرقت الشمس من وراء الأمواج، فسقطت أشعتها اللطيفة على الزَّبَد البارد الميت، ولم تكن عروس البحر قد شعرت بعد بالموت. ورأت الشمس الصافية وطافت حول رأسها مئات من المخلوقات الشفافة الجميلة، واستطاعت من خلالها أن ترى أشرعة السفينة البيضاء والسحب الوردية في

Twitter: @alqareah

السماء. وكانت أصواتها عذبة النغمات ولكنها أثيرية؛ بحيث لا تسمعها آذان البشر ولا تدركها أعينهم؛ فليست لها أجنحة بل تسبح في الهواء لخفة وزنها. وشعرت عروس البحر أن جسدها صار أثيريًا كأجساد المخلوقات الشفافة، فارتفعت في الهواء رويدًا رويدا.

وقالت وصوتها، مثل أصوات المخلوقات الأخرى، يدوي عبر الأثير بحيث لا تستطيع الموسيقى البشرية تقليدها: «إلى أي شيء تحولت؟».

فأجابتها المخلوقات الأخرى: «تحولتِ إلى فتيات الهواء، فعروس البحر ليست لها روح خالدة ولا يمكنها الحصول عليها ما لم تحب إنسانًا؛ فخلودها يرجع إلى قوة غير معلومة، وفتيات الهواء كذلك لا يحصلن على أرواح خالدة، ولكن بالعمل الصالح يمكنهن اكتسابها بأنفسهن. ونحن نطير في البلاد الحارة حيث تقتل الرطوبة والأوبئة البشر، ولكن هناك نهبُّ كالنسمات الباردة، ونبثُّ روائح الأزهار في الهواء، ونبعث النشوة والعلاج. وبعد نضال يدوم ثلاثمائة عام نفعل فيها الخير، يمكننا الحصول على روح خالدة، ونشارك البشر في سعادتهم الدائمة السرمدية.. فيا عروس البحر الصغيرة، لقد ناضلتِ بكل قلبكِ من أجل هذا الهدف، وقاسيتِ وتحملتِ المعاناة، ولهذا فقد رُفِعت إلى عالم الأرواح في الهواء. والآن يمكنك بعملك الصالح أن تُكسِبِي نفسك روحًا خالدة بعد ثلاثمائة عام».

رفعت عروس البحر الصغيرة ذراعيها الشفافتين إلى شمس الله في عليائها، ولأول مرة تذرف الدموع. وفي السفينة عادت الحياة والحركة، فرأت الأمير وعروسه الرقيقة يبحثان عنها، كانا ينظران آسفين إلى الزبد المتبقق، وهما يظنَّان أنها ألقت بنفسها في البحر. وقبَّلت جبين العروس،

Twitter: @alqareah

وهي غير مرئية وابتسمت للأمير، قبل أن تصعد مع أطفال الأثير الآخرين إلى الهواء في السحب الوردية التي تسبح في الهواء.

«وخلال ثلاثمائة عام نطفو هكذا في مُلْك الله!» وهمس أحد الأطفال الأثيريين: «يمكننا أن نأتي إليه مبكرًا. فنسبح في منازل البشر حيث توجد الأطفال، وفي كل يوم نجد طفلًا صالحًا يسعد والديه ويستحق حبهم، ندعو الله أن يقصِّر فترة معاناتنا، ولا يعلم الطفل أننا نسبح في غرفته، وعندما نبتسم فرحين يمر عام من الثلاثمائة. وإذا رأينا طفلًا شقيًّا شرسًا، نبكي بدموع الأسى وكل دمعة تضيف يومًا إلى فترة معاناتنا».

Twitter: @alqareah

البرغوث والأستاذ
1873

أصاب الحزن صاحب البالون؛ لأن بالونه انفجر وسقط بصاحبه فتهشمت عظامه، بعد أن أسقط ولده بالمظلة قبل دقيقتين من الانفجار؛ ولهذا كان الولد سعيد الحظ، إذ لم يصبه أي أذى.

ولكي يعيش.. لجأ إلى البراعة في الخداع وخفة اليد والتحدث الباطني دون تحريك الشفتين. وكان شابًّا وسيمًا، نبتت لحيته وارتدى ملابس حديثة حتى ظنه بعض الناس ابن نبيل. ولما وجدته إحدى السيدات أنيقًا وأُعجبت بمنظره وبخفة يده، تزوجته وصاحبته في رحلاته إلى البلاد والمدن الأجنبية.. هنا أطلق على نفسه لقب «الأستاذ»، فهو ليس أقل من البروفيسور.

كان أمله الدائم أن يقتني بالونًا وأن يرتفع به عاليًا بصحبة زوجته، ولكنهما لم يحصلا بعد على المال اللازم لشرائه.

قال الأستاذ: «سوف يأتي!».

وقالت زوجته: «ليت الأمل يتحقق!».

وعاونته بإخلاص، إذ وقفت خارج الباب تبيع التذاكر قبل أداء العرض، وكان هذا يبعث فيهما رعشة السرور في أوقات البرد. وكانت تساعده كذلك

Twitter: @alqareah

في إحدى ألعابه الخداعية؛ إذ كان يضعها في أحد أدراج المائدة الذي يتسع لها، وكان عليها أن تزحف إلى الدرج الخلفي؛ لكي لا تظهر في الدرج الأمامي للجمهور، وهو نوع من أنواع خداع البصر.

ولكنها ذات مساء- بعد انتهاء العرض- اختفت منه، فلم يجدها في الدرج الأمامي، ولا في الدرج الخلفي ولا في المنزل ولا في أي مكان آخر يراه أو يسمع عنه.. كانت هذه هي خدعتها.. لقد سئمت الحياة وصارت ملولًا من كل شيء. وجراء ذلك، أصابه الهم، فلم يعد يضحك ولا يعرض حركاته حتى انصرف عنه جمهور المتفرجين. تضاءلت إيراداته واتسخت ثيابه، ولم يعد يملك شيئًا سوى برغوث كبير ورثه عن زوجته؛ ولهذا كان شديد الإعجاب به، فقام بتدريبه، وعلَّمه الخدع والأحاجي، كما علمه أن يستعرض عضلاته وأن يطلق المدفع، ولكنه مدفع دقيق.

كان الأستاذ فخورًا بذلك البرغوث، وكان البرغوث فخورًا بذاته، فقد تعلم شيئًا، كما أن شرايينه كانت تحمل دماءً بشرية. وزار أكبر المدن وشاهده الأمراء والأميرات وصفقوا له كثيرًا، وتحدثت عنه الصحف وتناولته الإعلانات.

كان فخورًا ومشهورًا ولكنه عندما يسافر مع الأستاذ في السكة الحديدية، يركب الدرجة الرابعة، فهي تسافر بالسرعة نفسها. وكان بينه وبين الأستاذ عهد غير منطوق بألا يفترقا وألا يتزوجا، فيظل البرغوث أعزب ويظل الأستاذ أرمل، وهذا العهد إضافة لما عاهدا عليه نفسيهما.

قال الأستاذ: «لا ينبغي للمرء أن يستعيد مشاهد أمجاده الكبرى» فقد كان حَكَمًا للطبيعة البشرية، وهذا هو الفن بعينه.

Twitter: @alqareah

وأخيرًا سافر إلى جميع البلاد إلا بلاد القوم المتوحشين؛ ولهذا قرر السفر إلى هذه البلاد. ويعرف الأستاذ أنهم هناك يأكلون البشر المسيحيين، ولكنه ليس مسيحيًّا حقًّا، والبرغوث ليس بشرًا حقًّا؛ ولهذا فكر في المغامرة بالرحلة إلى هناك؛ لأنه سوف يحقق ربحًا جيدًا.

وسافرا على متن سفينة بخارية ثم سفينة شراعية، وعرض البرغوث أحاجيه؛ ولهذا سافرا دون أجر حتى بلغا بلاد القوم المتوحشين.. التي كانت تحكمها أميرة صغيرة، عمرها ثمانية أعوام، ولكنها تحكم على أية حال، مستمدة قوتها من أبيها وأمها وعزيمتها، وكانت جميلة ومحبوبة وشقية.

وعندما عَرض البرغوث عضلاته وأطلق المدفع، وقعت في غرامه من فورها، وقالت: «هو دون سواه!».

وقال والدها: «طفلتي الصغيرة الجميلة الرقيقة، ليتنا نجعل منه شخصًا!».

فقالت بطريقة نابية غير مقبولة: «دع هذا الأمر لي أيها الوالد العجوز!».

ووضعت البرغوث في راحة يدها، وقالت له: «أنت الآن كائن بشري وسوف تحكم معي، ولكنك تعمل وفق إرادتي، وإلا قتلتك وأكلت الأستاذ».

وخُصص للأستاذ بهو كبير يعيش فيه، جدرانه من قصب السكر، يحق له أن يلعقه دون أن يقضمه بأسنانه. ومُنح سريرًا من القماش مربوطًا بين شجرتين لينام فوقه، وكان النوم فيه أشبه شيء بالنوم في البالون، الذي كان يطمع في امتلاكه دائمًا، ولا يفارق خياله.

Twitter: @alqareah

ظل البرغوث قائمًا مع الأميرة، يقف فوق يدها الصغيرة وعلى حلقها الدقيق، وأخذت الأميرة شعرة من رأسها، وقام الأستاذ بربط البرغوث بها من رجله ، ثم ربط البرغوث في قطعة من المرجان لبستها في حلمة أذنها.

وفكرت الأميرة: ما أسعد الوقت الذي تمضيه ويمضيه معها البرغوث كذلك، ولكن الأستاذ لم يكن مطمئنًّا لذلك، رغم أنه كان يسافر ويسعده التنقل من مدينة إلى أخرى، كما تسعده القراءة في الصحف عن حكمته وجلَده في تعليم البرغوث مهامَّ بشرية، وكان يمضي الوقت يومًا بعد يوم في تراخٍ، ما بين السرير القماش المعلق بين شجرتين، والطعام الجيد المكون من بيضِ الطيور الطازج وأعين الفيلة وفخذ الزرافة المشوي.

قالت أم الأميرة: «أشهى الوجبات هي أكتاف الأطفال بالصلصة اللذيذة».

سئم الأستاذ حياته بين آكلي لحوم البشر، وعزم على مغادرة هذه البلاد، ولكن كان عليه أن يصطحب البرغوث معه؛ لأنه هو رائعته الذكية ومورد رزقه.. فكيف يتسنى له أن يخطفه ويحصل عليه؟ فهذا أمر عسير.

قال بعد أن شحذ كل قواه: «عندي فكرة الآن يا أبا الأميرة، اسمح لي أن أفعل شيئًا، فهل أستطيع أن أدرب المواطنين في هذه البلاد على فن تقديم العروض؟ فهذا ما تسميه أكبر البلاد في العالم بالتربية».

قال والد الأميرة: «وماذا يمكنك أن تعلمني؟».

قال الأستاذ: «كبرى مهاراتي، وهي أن تطلق المدفع فترهب العالم بأسره، وتسقط جميع الطيور من السماء لذيذة مشوية، وهذه فرقعة كبيرة!».

قال والد الأميرة: «هيا إلى المدفع!».

Twitter: @alqareah

ولكن البلاد بأكملها لم يكن بها مدفع سوى المدفع، الذي أحضره البرغوث، وهو صغير جدًّا.

قال الأستاذ: «سوف أصب لك مدفعًا أكبر، وعليك أن تعطيني الوسائل، فيجب أن تعطيني قماشًا حريريًّا ناعمًا، وإبرة وخيطًا وحبلًا غليظًا وحبلًا رفيعًا وغطاء واقيًا للبالون، وسوف يتضخم ويخف وزنه ويرتفع، وكل هذا يعطي فرقعة للمدفع».

ومُنح الأستاذ كل ما طلب.

واحتشد الناس جميعًا ليروا المدفع الكبير، رغم أن الأستاذ لم يرسل لهم، قبل أن يكون البالون مستعدًّا للإقلاع.

جلس البرغوث على كف الأميرة وهو يراقب، وإذا بالبالون يمتلئ وينتفخ، ويفقد الأستاذ السيطرة عليه، حتى كان من الصعب الإمساك به.

قال الأستاذ: «يجب أن أُبقي عليه عاليًا حتى يبرد» وجلس في سلة البالون وتعلق تحته. «أنا لا يمكنني توجيهه بمفردي، ولابد من وجود خبير معي ليساعدني، وليس هناك من يقدر على ذلك سوى البرغوث».

قالت الأميرة: «أنا لا أريد السماح بذلك!» ولكنها ما لبثت أن وضعت البرغوث في يد الأستاذ، الذي قال من فوره:

- «فكوا الحبال الغليظة والحبال الرفيعة من قيودها فقد انطلق البالون!».

وظن الناس أنه يقول: «لقد انطلق المدفع!».

وارتفع البالون رويدًا رويدًا حتى طار فوق السحاب وسافر بعيدًا عن بلاد الأقوام المتوحشين، ووقفت الأميرة وأبوها وأمها وكل الناس منتظرين،

Twitter: @alqareah

وما زالوا منتظرين، يعتقدون أنهما سوف يعودان بعد أن يبرد البالون. لقد عادا إلى وطنيهما، وهما يركبان السكة الحديدية ولكن في الدرجة الأولى وليسا في الدرجة الرابعة. ولا يسأل أحد عن كيفية حصولهما على البالون، ولا من أين أتى، فهما من القوم الذين يعيشون في رخاء ويستحقون التقدير.. ذلكما هما البرغوث والأستاذ.

Twitter: @alqareah

الرجل الجليدي
1861

قال الرجل الجليدي: «صرَّ من داخلي صرير لطيف؛ فالبرد محبب إلى نفسي، والريح الباردة تمنحني الحياة، فكيف يتوهج مَنْ ينظر إليَّ بغضب؟!» ويقصد الشمس التي تتأهب للغروب، «ولن تجعلني أغمض عيني، وأستطيع القول إنني أتعلق على شذور».

وله شذرتان مستطيلتان من القرميد تمثلان عينيه، بينما تمثل شوكة الحديقة فمه؛ ولذلك تبدو له أسنان.

وُلد الرجل الجليدي بين هتافات الأولاد وتحيات الأجراس وفرقعة سياط مركبات الجليد.

قال الرجل الجليدي: «أتتني من هناك من زاوية أخرى». وظن أن الشمس ترينا نفسها مرة أخرى. «جعلتها تتوقف عن التوهج، وتستطيع أن تتعلق هناك وتبزغ حتى أرى نفسي. ويا ليتني أعرف كيف أتحرك، فإنني أود أن أتحرك، فإذا استطعت ذلك نزلت لأتزحلق على الثلج كما يفعل الأولاد، ولكنني لا أعرف كيف أجري!».

ونبح كلب الحراسة: «هاو.. هاو»، وكان أجش الصوت.. كان صوته هكذا منذ أن كان كلب البيت، يرقد تحت المدفأة القرميد، «فالشمس سوف

Twitter: @alqareah

تعلّمك فورًا كيف تجري! رأيت ذلك في العام الماضي مثل رجال الجليد السابقين. هاو هاو! حتى ذهب الجميع».

قال الرجل الجليدي: «أنا لا أفهمك يا صديقي، فهل من أحد الآن يعلمني كيف أجري؟» ويقصد بذلك القمر.. «حسنًا، يمكنه أن يجري طبعًا؛ فقد جرى مسبقًا عندما حملقت فيه. وهو الآن يتسلل من جانب آخر».

قال كلب الحراسة: «أنت لا تعرف شيئًا، ولكنك مجرد شيء مصنوع، فالشيء الذي تنظر إليه الآن يُدعى القمر، أما الشيء الذي مضى فهو الشمس. وسوف تعود غدًا. وأستطيع القول إنها ستعلمك كيف تجري إلى المجرى المائي. فسرعان ما يتغير الطقس، وأستطيع أن أبلغك بأن رِجْلي الخلفية تؤلمني، وحينئذ يتغير الطقس».

وقال الرجل الجليدي: «لا أستطيع أن أفهمه، ولكني شعرت بأنه يقول شيئًا مزعجًا؛ إذ يقول إن الشيء الذي توهج ثم اختفى- وهو يسميه الشمس- ليست صديقتي هي الأخرى، فأنا أشعر بها».

ونبح الكلب: «هاو هاو»، وهز ذيله ثلاث مرات، ورقد في بيته، واستغرق في النوم.

وكان هناك تغير حقيقي في الطقس. ففي الصباح الباكر خيمت ضبابة كثيفة صامتة واستقرت فوق الريف بأكمله. وعندما انبلج الصبح بدأت الريح تهب باردة حتى تراشق الجليد، ولكن ما هذا المنظر الذي تشاهده عندما تطلع الشمس؟ فكل الأشجار والشجيرات كانت مغطاة بالصقيع، مثل غابة كاملة من المرجان الأبيض، كما لو كان كل غصن تكومت عليه أكداس من الزهور البيضاء اللامعة. وصارت الأغصان الرقيقة الوفيرة التي

Twitter: @alqareah

لا تراها العين في الصيف من كثرة الأوراق، تقف عارية خاوية، كشريط أبيض لامع، وتحركت مع الهواء تلك الشجرة الباكية ناعمة الجذع، وبدت كأنها تنعم بالحياة المورقة وكأنها في الصيف. وكانت جذابة بشكل لا يصدقه عقل، وعندما بزغت الشمس، فيا للعجب! كم كانت لامعة! بينما لمعت قطع الألماس الكبيرة فوق بساط الأرض المغطى بالجليد. ويخيل إلى الرائي أن عددًا كبيرًا من الشموع تضيء المكان، وتجعله أبيض من الجليد الأبيض.

وقالت فتاة حضرت مع شاب إلى الحديقة، وتوقفا بالقرب من الرجل الجليدي، وهما ينظران إلى الأشجار المتألقة: «ما أعجب هذا المنظر الذي لا يُصدق! فليس في الصيف أبهى من هذا المنظر»، قالتها وعيناها تضويان.

وقال الشاب، وهو يشير إلى الرجل الجليدي: «وليس هناك مثل هذا على الإطلاق، فهو رائع حقًّا!».

وسأل الرجل الجليدي الكلب: «من هما الاثنان؟ فقد كنتَ هنا في الفناء قَبلي بزمن طويل. فهل تعرفهما؟».

فقال كلب الحراسة: «نعم، أعرفهما، بعد كل شيء كانت هي تدللني، وأما هو فأعطاني عَظْمة، وأنا لا أعضهما».

وقال الرجل الجليدي: «ولكن من يُفترض أن يكونا؟».

فقال كلب الحراسة: «حبيييبان. وهما ذاهبان إلى بيت الكلب ليمصمصا العظام سويًّا. هاو هاو».

سأل الرجل الجليدي: «هل هما يتساويان معنا، أنا وأنت، في الأهمية؟».

فقال الكلب: «يا للعجب! إنهما من العائلة. ولابد أن أقول إن هذا هو القليل الذي أعرفه عنهما منذ ولادتهما بالأمس. فأنا واثق مما أقول، فلديَّ

Twitter: @alqareah

العمر والمعرفة، وأعرف كل شخص هنا. وأعرف ذلك اليوم، الذي لم أكن فيه مقيدًا بالسلسلة خارج البيت في البرد.. هاو هاو».

وقال الرجل الجليدي: «البرد محبوب، أبلغني، أبلغني، ولكن لا تجلجل بسلسلتك؛ لأنها تجعلني أتمزق من الداخل».

ونبح الكلب: «هاو هاو، كنت ذات يوم جروًا صغيرًا، يقول الناس إنني كنت رقيقًا وجميلًا، وكنت أرقد فوق كرسي من المخمل داخل البيت، وأرقد في حِجْر كبير الأسرة.. كانوا يقبّلون رأسي، ويمسحون مخالبي بمنديل مطرز. وكانوا يطلقون عليَّ مسمى «الأكثر بهاء وذو الحضن الدافئ».

ولكن عندما كبرت منحوني لمديرة شئون البيت، فنزلت إلى الطابق الأرضي، وكنت أرى منه المكان الذي كنت فيه مدللًا؛ إذ ترى الغرفة التي كنت فيها سيدًا ومديرًا، وهذا ما قالته عني مديرة البيت. وكان ذلك المكان أكثر تواضعًا من الطوابق العليا، ولكنه كان أكثر راحة ومتعة، فلم أكن في موضع التجريح والنقد والزجر مثلما كان يفعل بي الأطفال؛ فالطعام الذي يُقدم لي هنا بنفس جودة الطعام الذي يقدم في الأدوار العليا، وهو متوافر جدًّا، ولي وسادتي الخاصة بي، وهنا موقد من القرميد، وكان أروع شيء في العالم هو ذلك الوقت من السنة؛ إذ كنت أزحف لأرقد تحته حتى أختفي عن الأنظار. آه، ما زلتُ أحلم بالموقد القرميد! هاو هاو».

وسأل الرجل الجليدي: «هل يبدو موقد القرميد جميلًا؟ وهل يبدو مثلي؟».

قال كلب الحراسة: «إنه على النقيض منك، فهو أسود كالفحم، له عنق طويل ذو طبلة من النحاس. يأكل الخشب حتى يطفح اللهب من فمه،

Twitter: @alqareah

وعليك أن تبقى بجواره، قريبًا منه، أو تحته، تلك متعة لا نهائية، ولابد أنك تراه من النافذة من أي موضع تكون فيه».

ونظر الرجل الجليدي، واستطاع أن يتبين شيئًا أسود شديد اللمعان، ذا طبلة من النحاس، لمعت النار من قاعه، وشعر رجل الجليد بشيء عجيب.. شعر بشيء لا يستطيع التعبير عنه، شيء يغشاه ولم يسبق له التعرف عليه من قبل، ولكنه الشيء الذي يعرف كل الناس أنه ليس رجلًا جليديًا.

قال الرجل الجليدي، وقد شعر أنه لابد أن يكون شيئًا ذا إغراء للنساء: «ولماذا تركتَه؟ وكيف تستطيع أن تترك هذا المكان؟».

فقال كلب الحراسة: «أنا مضطر لذلك، فقد ألقوا بي إلى الخارج ووضعوني هنا في سلسلة؛ لأنني عضضت الشاب النبيل في رجله عندما ركل العظمة التي كنت أقضمها، ولكنني منذ ذلك الحين وأنا مربوط هنا بالسلسلة، وفقدت صوتي الصافي، استمع إلى صوتي الذي صار أجشَّ الآن. هاو.. هاو.. وهذه هي نهاية حكايتي».

ولم يعد الرجل الجليدي يستمع، بل راح يحملق مباشرة في الطابق الأرضي الذي تسكنه مديرة شئون البيت، حتى وجد في الردهة موقدًا يقف على أربع أرجل، ويبدو في حجم الرجل الجليدي ذاته.

قال الرجل الجليدي: «إن صريرًا غريبًا يئز في داخلي، ولن أذهب إلى هناك، فهي أمنية مضرة، ينبغي استبعادها، تلك هي كبرى أمنياتي وهي الأمنية الوحيدة، ولن أكون منصفًا إذا لم أحققها.. لابد أن أدخل إليها وأستند إليها، حتى لو أدى الأمر إلى كسر النافذة».

Twitter: @alqareah

فقال كلب الحراسة: «لن تدخل هناك أبدًا، فإذا وصلت إلى الموقد القرميد فسوف تفنى وتفنى».

قال الرجل الجليدي: «أنا في حالة جيدة إذا صِرْتُ إلى فناء، وأظن أنني أنشطر شطرين!».

وظل الرجل الجليدي يحملق طوال اليوم في النافذة. وعند الغروب ظهر الشفق بحمرته في الغرفة بشكل مغرٍ، وانبعث من الموقد القرميد وهج لطيف، لا يمكن أن ينبعث من الشمس أو القمر. فإذا كان الباب مفتوحًا، انطلق اللهب كما هو شأنه دائمًا، وتحول وجه الرجل الجليدي من اللون الأبيض إلى اللون القرمزي، حتى تحول صدره إلى اللون الأحمر.

قال الرجل الجليدي: «أنا لا أتحمل ذلك، كيف تلهـو عندما تخرج لسانها؟».

وطال أمد الليل، ولكن ليس للرجل الجليدي الذي جلس يفكر تفكيرًا طريفًا، ما لبث أن تجمد حتى صر صريرًا مسموعًا.

وفي الساعات المبكرة من الصباح كانت نوافذ الطابق الأرضي قد غطاها الجليد، وغطتها أجمل زهور الثلج التي يشتاق إليها أي رجل جليدي، ولكنها غطت الموقد القرميد، ولهذا لم يستطع أن يرى الموقد القرميد. وتحقق وصر، إذ كان الطقس مناسبًا ليرضى الرجل الجليدي، ولكنه لم يكن مطمئنًا. وينبغي أن يشعر بالسعادة، ولكنه لم يكن سعيدًا، بل شعر بما يعرف بـ«عشق الموقد القرميد».

وقال كلب الحراسة: «هذه وعكة سيئة للرجل الجليدي؛ فقد شعرتُ بمثلها، ولكنني تغلبت عليها. هاو هاو، ونحن الآن على وشك أن يتغير الطقس».

Twitter: @alqareah

وهنا حدث التغير في الطقس؛ إذ بدأ الجليد يذوب، وزاد معدل الذوبان، وتقلص الرجل الجليدي، ولم ينطق بكلمة، ولم يجأر بشكوى.. وذات صباح سقط وبرز منه شيء يشبه عصا الممسحة واقفة في الهواء حيث كان واقفًا، هي التي بَنَى الأولاد حولها الرجل الجليدي.

وقال كلب الحراسة: «الآن، صرت قادرًا على فهم السبب في اشتياقه؛ فالرجل الجليدي كان بداخله عصا من الحديد، وهذا هو ما كان يؤثر فيه، أما الآن فقد انتهى، هاو هاو».. وانتهى الشتاء على الفور كذلك.

ونبح كلب الحراسة: «هاو هاو».. ولكن الفتيات الصغيرات رحن يغنين في الفناء:

أَقبِلْ سـريعًا نبـات العطـور — وكـن طازجًـا زاهيًـا مطمئنًّا
ويـا أَيها الصفصـاف الجميل — علّـق هنالـك خيـر الضفائر
ويـا أيهـا الوقـواق النـزق — غـرد نشـيدًا مـع القنبـرة
ففصـل الربيـع أتانـا سـريعًا — فـي شـهر فبرايـر بالبشـائر
وأطلـق صياحًـا بأعلـى نغـم — يـا أيهـا الوقـواق الرقيـق
ويا شمسـنا أقبلي في الصباح — كعادتـك الدائمـة السـطوع

وبهذا لم يعد أحد يفكر في الرجل الجليدي.

Twitter: @alqareah

فرخ البط الدميم
1844

كان الصيف مبهجًا في إحدى القرى الصغيرة؛ حيث تكدست أكوام التبن في الوادي الأخضر، وحفَّت بالحقول والوديان غابات كثيفة في وسطها بحيرات عميقة. في تلك الأيام المشرقة، كان النسيم عليلًا والسماء صافية؛ فبدت القرية أكثر جمالًا وروعة.

كان قصر مالك الضيعة يقوم بثبات تحت أشعة الشمس الساطعة، ويدور حوله خندق عميق، وتنمو حول الجدران نباتات متسلقة تتدلى على الماء.. كانت كثيفة كالغابة جلست بها بطة في عشها، على وشك أن تفرخ فراخًا صغارًا.. كان البط متيمًا بالسباحة في الخندق المائي.

وأخيرًا، بدأت بيضة تتشقق بعد الأخرى.

تقول فراخ البط الصغيرة: «صو صو». خرج كل صغار البيض إلى الحياة، وأطل برأسه.. وإذا قالت البطة الأم: «كاك كاك»، رددت الصوتَ الفراخُ بأعلى صوت، ونظرت حولها في جميع الاتجاهات تحت أوراق الأشجار الخضراء، ودعتها الأم للنظر حولها كما تشاء، فاللون الأخضر مفيد للنظر.

وصاح الصغار جميعًا: «يا للعجب! ما أوسع الدنيا!» فقد اتسعت الرقعة حولها، بعد أن كانت قاصرة على داخل البيضة.

Twitter: @alqareah

وقالت الأم: «أتظنون أن هذا هو كل العالم؟ فالعالم ممتد حتى قصر مالك الضيعة في الوادي. حسنًا، عليكم أن تبقوا هنا جميعًا، فما زالت أكبر بيضة موجودة هناك. وسوف يطول بها الأمد لفقسها». ثم استقرت ثانية.

وسألتها بطة كبيرة أتت لزيارتها: «كيف تسير الأمور؟».

فأجابت البطة: «لم تتبق إلا بيضة واحدة تستغرق وقتًا طويلًا، ولا تريد أن تفقس».

فقالت البطة الكبيرة: «دعيني أرَ البيضة التي لا تريد أن تفقس، فهل أنتِ واثقة من أنها ليست بيضة ديك رومي؟ دعيني أُلْقِ نظرة على هذه البيضة.. نعم، إنها بيضة فرخ رومي بالتأكيد، دعك منها الآن وعلِّمي فراخكِ الصغار كيف تعوم».

قالت البطة: «آه، ما زلت أريد أن أنتظر مدة أطول؛ فقد مكثتُ راقدة عليها فترة طويلة، وأريد أن أبقى فوقها قليلًا».

فقالت البطة الكبيرة قبل أن تنصرف: «على رِسْلك».

وأخيرًا فقست البيضة الكبيرة.. لقد كان فرخًا كبيرًا ودميمًا.

ونظرت إليه البطة وقالت: «يا له من فرخ كبير مزعج! فلا أحد من الآخرين يشبهه، فهل يكون فرخًا روميًّا.. سرعان ما نتبين حقيقته، فسوف يعوم في الماء، إذا دفعتُه أنا بنفسي إليه».

في اليوم التالي جاء الجو صحوًا، فأشرقت الشمس على الأوراق الخضراء، وتوجهت البطة الأم إلى الخندق المائي، ومعها كل أسرتها. فقفزت إلى الماء، ثم صاحت: «كاك كاك» وقفزت الفراخ كل وراء الآخر، وسرعان ما طفوا وعاموا على ما يرام.. حتى الفرخ الرمادي الدميم.. عام هو الآخر.

Twitter: @alqareah

قالت الأم: «ليس هذا روميًّا، انظر كيف يستخدم رجليه في العوم بدهاء، وكيف يحافظ على توازنه.. هذا هو فرخي، والحقيقة أنه رشيق جدًّا، عندما ينظر المرء إليه، كاك كاك.. سوف أطوف بك العالم وأقدمك إلى فناء البط، وعليك أن تظل ملاصقًا لي؛ حتى لا تطأَكَ أقدام أحد المارة، واحترس من القطة».

عندما وصلا إلى فناء البط، كانت هناك معركة قد نشبت بين عائلتين، كانتا تتقاتلان على رأس ثعبان سمك، ولكن القطة التهمته بطبيعة الحال.

وقالت البطة الأم لفرخها الدميم: «انظر، ذلك هو أسلوب العيش في الدنيا. استخدم رجليك، فلتتخذ خطوات رشيقة ولتحنِ رقبتك أمام هذه البطة الكبيرة؛ فهي أرقى طبقة في هذا المجال؛ لأنه تجري في عروقها الدماء الإسبانية.. انظر إليها تَرَ شريطًا أحمر ملتفًّا حول رجلها، وهو أمر خاص يدل على أسمى درجات الشرف، التي يمكن أن يصبو إليها البط. هيا سر على أطراف أصابعك، فالبطة التي أُحْسِنت تربيتها تخطو بخطى واسعة ورجلاها متباعدتان، كما يسير أبوها وأمها، انطلق الآن، وأحنِ رقبتك وقل: كواك».

وبعد أن فعلا هذا، نظر إليهما كل البط من حولهما، وصاح بصوت عال: «انظر، لقد أضيفت إلينا دفعة فقس أخرى، وكانت فينا الكفاية، يا للعار! كيف يبدو هذا الفرخ! لا نريد التآلف معه».. وعلى حين غرة، طار فرخ من البط، وضرب الفرخ الدميم على عنقه.

وصاحت الأم: «دعوه وشأنه؛ فهو لا يؤذي أحدًا!».

وقال الفرخ الذي ضربه: «إنه ضخم وغريب، ولهذا يجب استبعاده».

فقالت البطة الكبيرة ذات الشريط الأحمر حول رجلها: «فراخ الأم جميعًا رشيقة ما عدا هذا، فلا يبدو سويًّا.. أود لو تعيد الأم تشكيله».

Twitter: @alqareah

قالت البطة الأم: «هذا لا يمكن أن يحدث يا صاحبة العزة. نعم، إنه ليس رشيقًا، ولكن له قدرات فائقة النزعة، فهو يسبح مثل الآخرين، وأستطيع أن أقول إنه أفضل منهم في السباحة، وأعتقد أنه سوف يتحسن في وقت قصير؛ فقد بقي في البيضة فترة طويلة، ولهذا لم يتخذ شكلًا سويًّا».. إلى جانب هذا، فهو ذكر البط، ولهذا فالأمر ليس في غاية الأهمية، وأعتقد أنه سيشب أقوى وأفضل».

وقالت البطة الكبيرة: «ما أجمل الفراخ الأخرى! وأرجو أن تشعروا بأنكم في منزلكم، وإذا وجدتم رأس ثعبان سمك فأحضروه إليَّ».

وهكذا شعر الجميع بالألفة.

ولكن الفرخ المسكين الذي خرج من البيضة أخيرًا ويبدو دميمًا، عضه الآخرون ودفعوه بعنف وسخرية، وكان أضحوكة لكل ما في فناء البط من دواجن.

وهكذا مر اليوم الأول.. فتحول الأمر إلى الأسوأ؛ إذ طاردت الفراخُ الفرخَ المسكين، وصار إخوته وأخواته يكرهونه، حتى قالوا: «ليت القطة تلتهم هذا البائس الدميم». وقالت أمه: «ليتك تغرب عن وجهي»، وضربه البط ونقره الدجاج، وركلته الفتاة التي تطعمهم بأرجلها.

حينئذ جرى الفرخ الدميم وطار ووقف على السور، فخافت الطيور الصغيرة منه.. أغمض عينيه وراح يجري حتى وصل إلى المستنقع الكبير حيث يعيش البط البري، وكان منهكًا وغاضبًا؛ حيث رقد طوال الليل.

في الصباح طارت الطيور البرية، ونظرت إلى صديقها الجديد، وقالت له: «من أي نوع من البط أنت؟» فاستدار من جانب إلى آخر وحياهم أفضل تحية.

Twitter: @alqareah

وقال البط الوحشي: «ما أقبحك! ولكن لا يضرنا ذلك مادمتَ لا تتزوج من فصيلتنا».

يا لهذا المسكين! لم يكن يفكر في الزواج، فكل ما يسعى إليه هو أن يُسمَح له بالبقاء في المستنقع، وأن يشرب جرعة ماء منه.

وهنـاك رقد يومين كاملين، حين ورد إليه اثنـان من ذكور الإوز الوحشي لا يضعان بيضًا وكانا متغطرسين، فقالا له: «أيها الرفيق، انظر، رغم أنك دميم.. فإنك تروق لنا. وهل تريد أن تكون من الطيور العابرة؟ ففي مستنقع مجاور لنا، تعيش إوزات برية رقيقة وجميلة كلهن لم يتزوجن بعد، ويصحن: «كواك»، وأنت في وضع تصير فيه سعيدًا في مستقبلك رغم قبحك».

ودوَّت طلقتان: «طاخ طاخ» فوق ذَكَرَيْ الإوز البريَّين فسقطا في المستنقع وتلطخ الماء بلون الدم الأحمر. «طاخ طاخ» دوَّت ثانيةً طلقات بنادق الصيادين، فطارت أسراب من الإوز الوحشي من الشجيرات في المستنقع، حيث كان الصيد عظيمًا للصيادين الراقدين في المستنقع، وكان بعضهم مختفيًا بين أغصان الأشجار التي تتدلى على الماء.. وارتفع الدخان الأزرق من فوهات البنادق وتسلل بين الأشجار الداكنة وحلَّق فوق الماء.. وفي الوحل أقبلت كلاب الصيد، وانتشر البوص والشجيرات في كل جانب.

ارتعدت فرائص الفرخ المسكين، الذي أدار رأسه ليضعها تحت جناحه، وفي اللحظة نفسها وجَدَ نفسه وجهًا لوجه أمام كلب كبير مفزع، تدلى لسانه من فمه ولمعت عيناه بالفزع، وفتح فكيه واتجه نحو الفرخ، وكشر عن أنيابه الحادة، ثم انطلق إلى الماء دون أن يصيبه بأذى.. فشهق الفرخ قائلًا: «آه، بحق السماء! إنني لدميم إلى الدرجة التي أحجم فيها الكلب عن أن يعضني».

Twitter: @alqareah

ورقد ساكنًا في موقعه، بينما سمع أصوات طلقات متتاليات تدوي في الشجيرات والمستنقع.

في ساعة متأخرة من النهار، هدأت المنطقة، ولكنَّ فرخ البط المسكين لم يستطع النهوض.. وانتظر عدة ساعات قبل أن ينظر حوله، ثم سارع في الخروج من المستنقع، وهرول فوق الحقول والوديان، حتى هبت ريح عاصفة تعذَّر معها السير.

وباقتراب المساء، أتى إلى منزل صغير متواضع آيل للسقوط، وهبت ريح صرصر عاتية حول الفرخ، فاضطر إلى الجلوس على ذيله خشية أن تجرفه الريح. ولاحظ الفرخ أن باب المنزل مُوارَب من إحدى مفصلاته، فانزلق داخلًا من هذا الشق.

في البيت، كانت امرأة عجوز تعيش مع قطها ودجاجتها.. ويُدعى قطها «سَنّي» ويستطيع أن يقوّس ظهره ويخرخر في نشوة وسعادة، ولكنه يقذف من عينيه الشرر إذا أساء إليه أحد. أما الدجاجة.. فكانت ذات رجلين دقيقتين؛ ولهذا سميت «كيكي ذات الرجلين القصيرتين». وكانت المرأة العجوز تحبها كثيرًا كأنها ابنتها.

في الصباح، رأى القط الفرخ الدميم فخرخر، ورأته الدجاجة فقرقرت، ورأته المرأة العجوز فقالت: «ما هذا؟! يا للعجب! إنه لصيد ثمين، والآن سوف نحصل على بيض البط إذا لم يكن هذا ذكرًا.. فلنحاول».

ظل الفرخ الدميم مقبولًا في المنزل تحت الاختبار لمدة ثلاثة أسابيع دون أن يضع بيضًا؛ فسألته الدجاجة:

- «هل تبيض؟».

Twitter: @alqareah

فأجاب الفرخ الدميم: «لا».

فقالت الدجاجة: «إذًا، لا تتفوه بأية كلمة!».

وسأله القط: «هل تستطيع أن تقوِّس ظهرك، وأن تخرخر، وأن تقذف من عينيك الشرر؟».

فأجاب الفرخ الدميم: «لا».

فقال القط: «حسنًا، عليك أن تحتفظ برأيك لنفسك، ولا تنطق عندما يتحدث العقلاء».

فجلس فرخ البط في ركن من الأركان في حالة معنوية سيئة، وبدأ يفكر في الهواء الطلق والشمس الساطعة. ونمت في نفسه الرغبة في الطفو فوق الماء، ولم يستطع كتمان أمره، بل راح يفشي سره إلى الدجاجة.

فسألته الدجاجة: «ماذا تعاني؟ لستَ مشغولًا بشيء، وهذا هو السبب في ظهورك بهذا المظْهر. ضع البيض مثل الدجاجة، أو خرخر مثل القط، ينتهِ كل شيء».

فقال فرخ البط: «.. ولكنني أحب أن أعوم فوق الماء، وأن أدعه يغمر رأسي، وأن أغطس إلى القاع».

وقالت الدجاجة: «نعم، أستطيع أن أرحب بما تقول، لقد أصابك الجنون».

قال فرخ البط: «أنت لم تفهميني».

قالت الدجاجة: «حسنًا، إذا لم أفهمك أنا والقط وربة البيت، فمن ذا الذي يفهمك إذن؟! الحقيقة أنك لن تكون أعقل من القط ولا المرأة العجوز.. لا تتظاهر بالذكاء يا ولدي، واشكر خالقك على كل طيب أصابك. ألم تدخل

Twitter: @alqareah

بيتًا دافئًا، وتنعم بحضور حلقة علم تتعلم منها شيئًا؟ ولكنك أبله، وليس في صحبتك أية متعة.. صدقني عندما أقول لك قولا مهما كان جافًّا فهو صادق؛ لأن هذا في صالحك.. فلتبدأ الآن بوضع البيض ولتتعلَّم الخرخرة، وإطلاق شرارات من عيونك».

فقال الفرخ: «أظن أنني ذاهب إلى العالم الفسيح».

وقالت الدجاجة: «نعم، عليك أن تفعل ذلك».

ولهذا خرج فرخ البط وعام فوق الماء وغطس إلى القاع، ولكن جميع الحيوانات تجنبته لقبحه.

وأقبل الخريف، فتلونت أوراق الغابة باللونين الذهبي والبني، وبدت السماء باردة، وتلبدت بالغيوم الثقيلة المحملة بالبـرَد والثلج. ووقف غراب فوق السور وصرخ: «قاق قاق»، وقد ظن أنه في سبيله إلى التجمد، بينما كان فرخ البط المسكين في حالة سيئة.

وذات مساء، غربت الشمس بكل بهائها وخَرج من الشجيرات سرب كبير من الطيور الجميلة، لم ير الفرخ مثلها في الجمال.. كانت ناصعة البياض ذات رقاب مطاطة، إذ كانت بجعات بسطت أجنحتها العريضة الرائعة في الهواء عند سماعها صيحة عجيبة، وطارت من السهول الباردة إلى بلاد أكثر دفئًا محلقةً فوق البحار.. وحلقت عاليًا عاليًا، حتى تولَّد عند فرخ البط الصغير شعور غريب، فدار حول نفسه دورات في الماء كالعجلة، وقد مط رقبته عاليًا في الهواء، وأطلق من ورائهم صرخة عجيبة أفزعت الجميع حتى نفسه. آه، إنه لم ينسَ هذه الطيور الجميلة السعيدة، ولما غابت عن بصره غاص إلى القاع، وعندما عاد إلى السطح تبين أنه وقف وحيدًا، ولم يعرف

Twitter: @alqareah

مسمى هذه الطيور ولا إلى أين تطير، ولكنه كان متيماً بها بقدر غير مسبوق.. كان كل ما يتمناه لنفسه تمناه لهم، وكان سيسرُّه كثيرًا أن يسمح له البط بالبقاء بينهم، وهو الطائر الدميم المسكين.

وجاء البرد قارسًا، فكان على فرخ البط أن يظل عائمًا حتى لا يتجمد، ولكن كلما جاءت ليلة ضاق الثقب، الذي انقشع عنه الجليد، والذي يعوم فيه رويدًا رويدًا. ولما قُفل أخيرًا الثقب رقد الفرخ ساكنًا وتجمد في الجليد.

في الصباح الباكر أتى أحد الفلاحين، فرأى الفرخ متجمدًا، ففتح ثقبًا في الجليد بحذائه الخشبي، وأخرج الفرخ وحمله إلى زوجته في المنزل.. وهكذا عاد إلى الحياة.

عندما أراد الأطفال أن يلعبوا معه، فظن الفرخ أنهم يريدون أن يؤذوه؛ فطار، من شدة فزعه، فوق وعاء اللبن فانسكب وأغرق الغرفة، فصرخت المرأة ولوَّحت بذراعيها.. ثم طار فوق قِدر الزبد، وهبط فوق برميل الدقيق وخرج منه، يا للهول! كيف يكون منظره الآن؟! صرخت المرأة وضربته بماسك الفحم، وتلاطم الأطفال مع بعضهم البعض، وهم يحاولون الإمساك به، ولكنهم ضحكوا وصاحوا. ومن حسن الحظ أن الباب كان مفتوحًا، فهرب فرخ البط، ودخل بين الشجيرات؛ حيث كانت السماء تمطر جليدًا من جديد، ورقد هناك مندهشًا.

خلال الشتاء القارس، ظل الفرخ الصغير راقدًا بين الشجيرات في المستنقعات، حتى بدأت الشمس تسطع بالدفء من جديد، وغنَّت القنابر للربيع الجميل.. وعلى حين غرة رفع الفرخ جناحيه، وضربهما بشدة لم يسبق

Twitter: @alqareah

لها مثيل حتى حملاه إلى مكان قصيّ.. وقبل أن يعرف اسم المكان، وجد نفسه في حديقة كبيرة ازدهرت فيها أشجار التفاح، وعبقت فيها رائحة السوسن.. آه، ما أجمل هذا الموقع في الربيع المزهر! ومن الغوطة جاءت ثلاث بجعات جميلات، نفشت ريشها وعامت بخفة فوق الماء.. وعندما ميز فرخُ البط هذه الطيورَ الرائعة انتابته نوبة عجيبة من الكآبة.

قال الفرخ الصغير لنفسه: «سأطير نحو هذه الطيور الملكية، وسوف تنقرني حتى الموت لأنني دميم، ولكنني سأقترب منها، ولا يهمني الأمر؛ فالأفضل عندي أن أموت بعضّاتهم من أن أموت بعضات البط أو الدجاج، أو تلتقطني الفتاة التي ترعى فناء الطيور، أو أعاني من متاعب الشتاء». وطار حتى عام فوق الماء واقترب من البجعات الرائعات، فلما رأينه سارعن إليه وخفقت أجنحتهن.

قال لهن الكائن المسكين، بعد أن حنى رأسه فوق الماء في انتظار الموت: «اقتلنني!» فماذا رأى في الماء الصافي؟ نظر تحته إلى صورته في الماء، فلم يرَ الطائر الرمادي الداكن الدميم، المقزز، بل رأى نفسه بجعة جميلة.

فإذا ولد في فناء البط، فهذا لا يعني إلا أنه كان راقدًا في بيضة بجعة.

وشعر بالسعادة التامة بعد المتاعب والشقاء التي مر بها، وهو الآن يقدّر السعادة والجمال اللذين أتيا لتحيته.. والتفّت حوله البجعات الثلاث ونقرنه بمناقيرهن.

وأتى إلى الحديقة بعض الصبية، وراحوا يلقون الخبز والحبوب في الماء، وقال أصغرهم: «هنا.. جاءَ طير جديد»، وصاح بقية الصبية بابتهاج: «نعم، لقد أتى طائر آخر». وصفقوا بمرح ورقصوا، ثم هرولوا إلى آبائهم

Twitter: @alqareah

وأمهاتهم، بعد أن ألقوا بالخبز والكعك في الماء، وقالوا: «إن أجمل هذه الطيور هو الجديد؛ فهو صغير وجميل».. وحنت البجعات الثلاث الكبار رؤوسها تأييدًا لما قالوا.

وحينئذ شعر بالخجل الشديد ووضع رأسه تحت جناحه، وهو لا يعلم لماذا فعل ذلك. لقد كانت السعادة تغمره ولكن دون زهو أو افتخار؛ لأن القلب الطيب ليس فخورًا. وفكَّر كم كان مضطهدًا ومنتقدًا، وهو الآن يسمع من كل فرد أنه أجمل الطيور وأبهاها. وحنت السوسنات أغصانها على الماء وسطعت الشمس دافئة لامعة، ثم هز ريشه ورفع عنقه النحيل، وقال من أعماق قلبه: «لم أكن أحلم بهذه السعادة، عندما كنت فرخ البط الدميم!».

Twitter: @alqareah

قطـرة المـاء
1848

من المؤكد أنك تعرف العدسة المكبرة، فهي تكبّر كل شيء مائة مرة عن حجمه الأصلي. وعندما تقرّبها من عينك، وتنظر خلالها إلى قطرة ماء تأتي بها من إحدى البرك، ترى فيها أكثر من ألف مخلوق عجيب، لا تراها في الماء بالعين المجردة، وهي تشبه كثيرًا أحد أطباق الفنجان مملوءًا بالجمبري يتلوى ويقفز حول بعضه البعض، ويدفع بعضُها البعضَ الآخر إلى القاع وإلى الأجناب، وتبدو عليها جميعًا السعادة والرضا بما هي فيه.

ذات يوم، كان هنالك رجل عجوز يدعى «فائق الحركة»؛ لأنه سريع الحركة الجانبية والعلوية والسفلية، وكان دائمًا يريد أن يرى أفضل الأشياء؛ فإذا لم يستطع ذلك استخدم السحر.

وتراه الآن جالسًا يمسك بيديه عدسته المكبرة، ويضعها على عينيه، وينظر خلالها إلى قطرة ماء، أتى بها من بركة أمطار في إحدى الحفر. يا للهول! إن الآلاف من المخلوقات الدقيقة تقفز حولها، يدعس كل منها الآخر ويقضم بعضها البعض.

وقال العجوز فائق الحركة: «يا للعجب! ما أبغض ما أرى! ألا تستطيع هذه المخلوقات أن تعيش في أمن وسلام؛ بحيث يدرك كل منها عمله؟»، ثم أخذ يفكر ويفكر دون جدوى. وهكذا بدأ يستخدم السحر، فقال: «لابد من إعطائها لونًا يميزها جيدًا للأبصار»، ثم سكب شيئًا يشبه قطرة صغيرة

Twitter: @alqareah

من النبيذ الأحمر فوق قطرة الماء، ولكنها كانت من دم الساحرة، وهي أفضل الأنواع وتساوي شلنين.. وبهذا تحولت أجساد جميع المخلوقات العجيبة إلى اللون الوردي الأحمر، وبدت كمدينة كاملة يقطنها قوم عرايا متوحشون.

وجاء قزم خرافي جبار ليس له اسم، وهذا هو الشيء العجيب فيه، وسأله قائلًا: «ماذا تفعل؟».

فأجابه العجوز فائق الحركة: «حسنًا، عليك أن تخمِّن ماذا أفعل؟! وسوف أقدم لك هدية مما أرى».

ونظر القزم الخرافي الجبار الذي ليس له اسم، خلال العدسة المكبرة، فرآها حقًّا أشبه شيء بمدينة كاملة، يجري فيها كل الناس عرايا بدون ملابس. إنَّ هذا لشيء مخيف، وأكثر ما يخيفه هو هؤلاء الذين يتدافعون ويُسقط بعضهم بعضًا ويسحب بعضهم بعضًا ويقرص بعضهم بعضًا، ومَنْ كان في القاع صعد إلى القمة ومن كان في القمة هبط إلى القاع. «انظر، انظر فرجله أطول من رجلي، يا للهول! عليهم اللعنة، أحدهم توجد بقعة حمراء خلف أذنه يبدو أنها تؤذيه، ولكنه تحمَّل أذاها. وقد أفسحوا له الطريق حتى سحبوه، وأكلوه بسبب البقعة الحمراء. وآخر يجلس ساكنًا كأنه فتاة صغيرة، لا ترغب في شيء سوى الأمن والسلام، ولكنها اقتربت فالتفَّت البقية حولها وجذبتها والتهمتها».

قال القزم الخرافي الجبار: «إنه لشيء فائق التسلية».

وسأله العجوز فائق الحركة: «نعم، وفيمَ تفكر؟ هل تستطيع أن تصفه؟».

فقال القزم الخرافي الجبار: «يا للعجب! ما أسهل القول!».

إنها كوبنهاجن بطبيعة الحال، أو أية مدينة أخرى كبيرة.. إنهم جميعًا متشابهون بالتأكيد، فهي مدينة كبيرة.

وقال العجوز فائق الحركة: «إنها قطرة ماء من حفرة».

Twitter: @alqareah

البستاني والنبيل والنبيلة
1871

يقع القصر الريفي القديم على بعد أربعة أو خمسة أميال من العاصمة، بحوائطه السميكة وأبراجه العالية ومشغولاته الحديدية، التي تعلو الأسوار.

يسكنه في وقت الصيف فقط نبيل ونبيلة، ينتميان إلى النبالة الرفيعة. وهذا القصر هو أفضل وأحب القصور التي يمتلكانها، وقد نُحت على الحجر في أعلى البوابة وسام بزة الأسلحة الذي حظيت به الأسرة، والذي تلتف حوله الورود الجميلة والدرع والقطاعات الداخلية. وأمام القصر تمتد سجادة من الحشائش، كما تنمو حول صوبة البيت الحراري أشجار التوت الأحمر وزهور الربيع وكثير من الزهور النادرة.

يخدم حدائق النبيل والنبيلة بستاني ماهر اسمه «لارسين»، يحب عمله في حديقة الزهور وبستان الفواكه وحديقة المطبخ، وخلف هذه الحدائق، توجد شجرتان قديمتان ضخمتان، وهما في معظم الأحيان عاريتان من الأوراق، ومن السهل أن تتصور أن إحدى النوّات أو زخات المطر قد رشتهما بأكوام من الروث، ولكن كل كومة عبارة عن عش طائر.

ومنذ العصور الممعنة في القدم، وأسراب الرخ والغربان هما النوعان اللذان يمثلان مدينة عامرة بالطيور تعتبر رفيعة النسب، وهي أقدم العناصر

Twitter: @alqareah

الباقية في قصر أسرة النبلاء والنبيلات الحقيقيين في هذه الضيعة، لا تعير الجنس البشري أي اهتمام من تحتها، ولكنها تتعايش سلميًّا مع الطيور الأدنى منها مرتبة حتى ولو كانت مدججة بالبنادق هنا وهناك.

وكثيرًا ما ألح البستاني على النبيل والنبيلة بقطع الأشجار العتيقة، التي تشوه المنظر، حتى إذا قُطعت، خلا الجو من صراخ هذه الطيور التي ترحل إلى أي مكان آخر، ولكن النبيل والنبيلة لا يريدان التخلص من الأشجار ولا الطيور؛ فهي أشياء لا يمكن للضيعة الاستغناء عنها؛ لأنها تعيش هنا منذ الأيام الغابرة.

فقال النبيل والنبيلة: «بعد كل هذا، فإن الأشجار ميراث الطيور. دعها تَعِشْ هنا أيها الطيب «لارسين»»، ثم أضافا: «أليس مجال عملك هذا كبيرًا عليك يا «لارسين»؟ حديقة الأزهار بأكملها، وصوبة البيت الحراري، وبستان الفواكه، وحديقة المطبخ؟»،

كان «لارسين» يرعى هذه الحدائق والبساتين ويعتني بها ويزرعها بمهارة وعزيمة، ويعترف بذلك كل من النبيل والنبيلة، ولكنهما لا يترددان في إبلاغه بأنهما كثيرًا ما يتناولان فواكه، ويشاهدان أزهارًا عند زيارتهما للأصدقاء أفضل مما تثمره حدائقهما، وهذا يحزن البستاني الذي يريد أن يكون إنتاجه أفضل إنتاج.

ذات يوم، أرسل النبيل والنبيلة إلى البستاني وأبلغاه بهدوء وتعالٍ بأنهما كانا يزوران- بالأمس- إحدى الأسر الصديقة، وقد تناولا عندها أصنافًا لذيذة من أنواع التفاح والكمثرى، لدرجة أنهما وبقية الضيوف أبدوا إعجابهم بها. ومن المؤكد أن تلك الفواكه لم تكن محلية، ولكن يمكن أن تكون فسائلها

Twitter: @alqareah

مستوردة، وازدهرت هنا إذ سمح الطقس بذلك. وعرف الجميع أنها كانت مشتراة من بائع الفواكه الأول في المدينة، وسافر البستاني ليبحث عن مصدر ذلك التفاح وتلك الكمثرى؛ لكي يطلب منها شتلة يزرعها.. وكان يعرف تاجر الفواكه جيدًا، ولهذا التاجر بالذات باع البستاني الفائض من الفاكهة، التي ينتجها البستان لصالح النبيل والنبيلة.

ذهب البستاني إلى المدينة ليسأل تاجر الفاكهة عن الجهة التي جلب منها التفاح والكمثرى التي نالت إعجاب الجميع، فقال له بائع الفاكهة: «إنها من حديقتك!» وعرض عليه كلا من التفاح والكمثرى التي تعرَّف عليها البستاني.

يا للعجب! ما أسعد البستاني الذي عاد مسرعًا إلى النبيل والنبيلة، وأبلغهما بأن كلا من التفاح والكمثرى كان من بستانهما!

لم يصدق النبيل والنبيلة الخبر على الإطلاق، وقالا: «لا يمكن يا «لارسين» هل تستطيع أن تأتي بشهادة خطية من تاجر الفاكهة؟».

كان هذا الأمر ممكنًا، إذ أحضر «لارسين» شهادة مكتوبة وعرضها عليهما، فقال النبيل والنبيلة: «هذا أمر غير عادي!».

وفي كل يوم، منذ ذلك الحين، كانت تقدَّم على مائدة النبيل والنبيلة مقادير من ذلك التفاح وتلك الكمثرى الفاخرة. وكانت ترسل سلال وبراميل من هذه الفواكه إلى الأصدقاء في المدينة، وأبعد من ذلك حتى في الخارج، وكان ذلك يدخل عليهما السعادة، ولكنهما كانا يضيفان بعد كل هذا أن هناك صنفين ملحوظين للإثمار الجيد لأشجار الفاكهة، وهذا ما عاد بالخير على كل مكان في المزرعة.

Twitter: @alqareah

مضى وقت تناول فيه النبيل والنبيلة العشاء في القصر الملكي، وكانت المائدة حافلة بالشمام.. وفي اليوم التالي، قال النبيل والنبيلة للبستاني: «يا «لارسين» يا أيها الماهر، لابد أن تذهب إلى بستاني القصر الملكي، وأن تحصل لنا على بذور الشمام التي لا تُقدر بثمن!».

وقال البستاني، وقد غمرته السعادة: «ولكن بستانيّ القصر الملكي أخذ منا تلك البذور!».

وأجاب النبيل والنبيلة: «.. وحينئذ اكتشف ذلك الرجل طريقة لتطوير الفاكهة إلى أعلى مستوى؛ فكل شمامة كانت رائعة».

قال البستاني: «وحينئذ يا سيدتي ويا سيدي لي أن أكون فخورًا؛ ففي هذه السنة لم يحالف الحظ بستانيّ القصر الملكي في إنتاج الشمام، وعندما شاهد شمامنا مزدهرًا وذاق طعمه، أمر بإرسال ثلاث ثمرات إلى القصر الملكي».

فقال النبيل والنبيلة: «يا «لارسين» دع عنك الفكرة التي تدَّعيها بأن الشمام أتى من بستاننا!».

فقال البستاني: «سأؤكد لك ذلك يا سيدي!» وذهب إلى بستانيّ القصر الملكي، وحصل منه على نص مكتوب بأن الشمام الذي قُدم على المائدة الملكية كان من قصر النبيل.

كانت هذه مفاجأة حقيقية للنبيل والنبيلة، اللذيْن لم يكتما سر هذه الحكاية؛ فعرضا الشهادة على الجميع، وهي تنص حقًا على أن بذور الشمام كانت قد أُرسلت من قصرهما منذ زمن بعيد، كما أُرسلت شتلات التفاح والكمثرى كذلك من قبل.

Twitter: @alqareah

وتلقيا رسائل تفيد بأن البذور أنتجت ثمارًا ممتازة، وأنها سُميت باسم القصر الريفي للنبيل والنبيلة، وأن هذا الاسم صار الآن معروفًا باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية، وهذا لم يحدث لهما من قبل.

وقال النبيل والنبيلة: «عسى البستاني ألا يكون قد أصابه الغرور بنفسه! لقد بذل كل جهده ليصنع لنفسه اسمًا بصفته أفضل بستاني في البلاد، يحاول كل عام أن ينتج صنفًا متميزًا من جميع أصناف البساتين، وهذا ما حدث. وكثيرًا ما ذكره الآخرون بأن أصناف الفاكهة الأولى التي قدمها وهي التفاح والكمثرى كانت الأفضل حقًّا. ومن المؤكد أن الشمام كان جيدًا جدًّا ، ولكنه بعد كل هذا كان صنفًا مختلفًا تمامًا».

وكثيرا ما وجد النبيل والنبيلة راحة في قولهما: «لم تأتِ هذه السنة بثمار طيبة يا «لارسين!»»، وكانا سعيدين بقولهما: «لم تأتِ هذه السنة بثمار طيبة».

وأحضر البستاني مرة أو مرتين في الأسبوع زهورًا طازجة في غرفة الجلوس، وكان دائمًا ينسقها بذوق رفيع، كما كانت الألوان تبدو ناصعة، عندما يصفُّها بجوار بعضها البعض.

قال النبيل والنبيلة: «ذوقك جميل يا «لارسين»، وهذه موهبة من عند الله وليست من عندك».

وذات يوم أحضر البستاني آنية كبيرة من البللور، كان قد وضع فيها غصنًا من الياسمين امتد ساقه طويلًا في الماء، ومن فوقه وضع زهرة زرقاء مدهشة، يبلغ حجمها حجم دوَّار الشمس.

صاح النبيل والنبيلة: «هل هذه هي زهرة اللوتس الهندستانية؟»، إذ لم يسبق لهما رؤية مثل هذه الزهرة من قبل، وفي أثناء النهار وُضعت في أشعة

Twitter: @alqareah

الشمس، وفي الليل وُضعت في ضوء منعكس. وكل من رآها يجدها جميلة بشكل ملحوظ ونادر، والحقيقة أن صاحبة السمو سيدة البلاد الأميرة قالت ذلك، وكانت حكيمة وطيبة القلب.

وشرُف النبيل والنبيلة بإهدائها هذه الزهرة، ورافقت الأميرة حتى القصر.

والآن.. نزل النبيل والنبيلة إلى الحديقة؛ ليقطفا زهرة مثل تلك المهداة إلى الأميرة إن بقي في الحديقة غيرها، ولكنهما لم يجدا شيئًا، فاستدعيا البستاني وسألاه عن المكان، الذي حصل منه على زهرة اللوتس الزرقاء هذه.

فقالا له: «لقد فتشنا عن مثلها فلم نجد شيئًا.. ذهبنا إلى صوبة البيت الحراري، وبحثنا في كل حديقة الزهور».

قال البستاني: «لا، ليست هناك. إنها زهرة متواضعة من حديقة المطبخ! ولكن ما أجملها! أليس كذلك؟ فهي تشبه الصبار الأزرق، ولكنها زهرة الخرشوف».

قال النبيل والنبيلة: «كان ينبغي عليك أن تبلغنا بذلك على الفور.. فنحن مقتنعان بأنها زهرة أجنبية نادرة. وأنت سَخِرت منا في أعين الأميرة الشابة، فقد رأت الزهرة هنا ووجدت أنها جميلة، ولم تميزها وهي بارعة في علم النبات. ولكن هذا العلم ليس له شأن بالخضراوات، فماذا بالله عليك كنت تفكر فيه يا«لارسين» يا طيب القلب؟ أن تضع مثل هذه الزهرة في غرفة الجلوس؟ هذا ما يجعلنا موضع السخرية!».

وأُلقيت هذه الزهرة الرائعة التي قُطفت من حديقة المطبخ خارج غرفة جلوس النبيل والنبيلة، حيث إنها لم تكن لائقة لها.. نعم، اعتذر النبيل والنبيلة للأميرة، وأبلغاها بأن الزهرة كانت من حديقة الخضراوات، وأن البستاني وضع في ذاكرته أن يعرضها؛ ولهذا السبب قمنا بتوبيخه بشدة.

Twitter: @alqareah

قالت الأميرة: «ليس هذا من العدالة، بل هو عار، يا للعجب! لقد فتَّح أعيننا على زهرة رائعة، لم تكن تخطر لنا على بال بالمرة. وعرض علينا الجمال والجاذبية اللذين لم يكونا يبدوان لنا، وفي كل يوم يزهر فيه الخرشوف.. يحضر لي بستاني القصر زهرة منه، أضعها في غرفة جلوسي».

وحدث ذلك بالفعل.

وأبلغ النبيل والنبيلة البستاني بأن يحضر لهما زهرة الخرشوف، وقالا له: «الحق يقال إنها لجميلة رفيعة الذوق بشكل غير عادي!»، ثم أثنيا على البستاني.

قال النبيل والنبيلة: «إن «لارسين» يحب الثناء، فهو طفل مدلل!».

وفي الخريف هبَّت عاصفة مخيفة.. بدأت في الليل، وكانت من العنف؛ بحيث اقتلعت عدة أشجار ضخمة من جذورها على حوافّ الغابة. ومما يؤسف له في نظر النبيل والنبيلة، بينما يُسعد البستاني، أن الشجرتين الكبيرتين اللتين تضمان أعشاش الطيور سقطتا. وسُمعت أثناء العاصفة صرخات الرخاخ والغربان تعلو على صوت العاصفة، وكانت تضرب زجاج النوافذ بأجنحتها كما قال الخدم في القصر الريفي.

وقال النبيل والنبيلة: «حسنًا، لعلك سعيد الآن يا «لارسين»! فالعاصفة أسقطت الأشجار، والطيور هاجرت إلى الغابة. ولم يبقَ حتى النزر اليسير من بقايا الأيام الخالية، فقد ذهب كل أثر وكل علامة، ونحن حزينان!».

ولم يحر البستاني جوابًا، ولكنه كان يفكر فيما كان يدور بخاطره منذ وقت طويل، وهو أفضل الطرق لاستغلال الرقعة المشمسة الرائعة، التي لم تكن متاحة له من قبل، وسوف تكون مفخرة للحديقة، ومبعث سرور للنبيل والنبيلة.

Twitter: @alqareah

قام «لارسين» بتربية أيكة من النباتات البرية والمحلية، كان قد جلبها من الحقل والغابة.. وما لم يستطع أي بستاني آخر أن يفكر في زراعته، قام البستاني بزراعته بوفرة، بما يناسب نوع التربة، كيفما يتطلب كل صنف، وكان يرعاها بإخلاص ومحبة حتى نمت جميعها نموًّا رائعًا.. وبدت شجرة التوت التي جلبها من «جاتلاند»، والورد بأشكاله وألوانه، مثل: شجر السرو الإيطالي، وشوكة المسيح عليه السلام ذات الأشواك، وجميعها ذات منظر جميل، وكثير من مختلف أنواع الأشجار ريشية الورق الخضراء، وبعض الأشجار التي تشبه فسائل النخيل، وغيرها تبدو كما لو كانت أصولًا للنباتات الرقيقة الجميلة المعروفة بشعر البنات. وهنا تقف الشجرة المخملية المهملة التي تشتهر بجمالها، وعندما تكون ناضرة تستطيع أن تزيِّن صحبة الزهور. كما تحلِّق عاليًا شجرة التين الضخمة ذات الزهور الصفراء أو البيضاء، وقد أُعيدت زراعتها بعد نقلها من الوادي. وهنا تقف زهور، مثل: الياسمين وزهور الربيع، وزهور أخرى من فصيلة الياسمين العطري البري، وأعشاب الغابة ذات الأوراق الثلاثة الخضراء الصالحة للطعام.. كل هذه الأصناف كانت تسر الناظرين.

وفي الواجهة، تنمو صفوف من الكمثرى الصغيرة، محمولة على أسلاك من الصلب، وهي معرضة للشمس وتلقى الرعاية الكافية، وسرعان ما حملت ثمارًا كبيرة ذات عصارة لذيذة.

وبدلًا من الشجرتين غير المورقتين، نُصبت سارية علم الدنمارك الذي راح يرفرف، وبالقرب منه نُصب عامود آخر يلتف حوله نبات متسلق ذو رائحة طيبة وزهور ناعمة مخروطية الشكل. وفي الشتاء، كانت تُعلق عليه

Twitter: @alqareah

حزمة من الشعير حتى تأكل منه الطيور، وهي سعيدة في موسم عيد الميلاد المجيد.

قال النبيل والنبيلة: «صار «لارسين» الأمين عاطفيًّا مع تقدمه في العمر، ولكنه مخلص ووفي لنا!».

وفي مطلع العام الجديد، ظهرت في إحدى الدوريات المصورة صورة القصر الريفي القديم. ويستطيع القارئ أن يرى فيها سارية العلم وحزمة الشعير المعلقة فوقه في موسم عيد الميلاد السعيد.. وأشارت الصحيفة إلى فكرة جميلة، مفادها أن تلك التقاليد القديمة يحافظ عليها أصحاب المقام الرفيع مُلَّاك هذا القصر من هذه العائلة العريقة.

وقال النبيل والنبيلة: «إن كل ما يفعله «لارسين» يستحق أن تُقرع له الطبول، يا له من رجل سعيد! ويا للعجب! فنحن فخورون بوجوده معنا!».

ولكنهما- في حقيقة الأمر- ليسا فخوريْن بالمرة؛ فهما يشعران بأنهما السيد والسيدة. وكانا يستطيعان أن يوجها ملاحظات لـ«لارسين»، ولكنهما لم يفعلا؛ فهما من الأشخاص الطيبين، وهناك الكثير من أمثالهما الطيبين، الأمر الذي يرضي كل من هم على شاكلة «لارسين».

.. حسنًا، تلك هي حكاية «البستاني والنبيل والنبيلة».

والآن هل أمكنك أن تعيها جيدًا!.. إذ لم يحدث ذلك، قم بقراءة القصة مرة أخرى.

Twitter: @alqareah

ملكة الجليد
(مغامرة في سبع حكايات)

★ ★ ★

الحكاية الأولى
عن المرآة وشذورها
1845

انظر هناك.. الآن سوف نبدأ. وعندما نأتي إلى نهاية الحكاية، سنعرف أكثر مما نعرف الآن، بسبب الطُّعم الشرير؛ إذ كان واحدًا من أسوأ ما يكون، كان شيطانًا. فذات يوم كان في حالة انسجام تام؛ لأنه صنع مرآة ذات خاصية؛ أنه إذا انعكس عليها أي شيء جيد وجميل صار لا شيء، أما إذا انعكس عليها أي شيء تافه وقبيح، أصبح أسوأ مما كان عليه. فأجمل المناظر الريفية تبدو فيها مثل السبانخ المطهية، بينما يبدو أفضل الناس قميئًا يقف على رأسه وليس له بطن، ويصير وجهه مشوهًا بحيث لا يمكن تمييزه.. قال الشيطان: «إنها لتسلية عظيمة».

والآن، إذا كان لشخص فكر إيماني طيب، ظهر في المرآة عبوسا، وضحك الشيطان الغرور على هذا الاختراع الغريب. وكلُّ من ذهب إلى مدرسة الغرور - التي يديرها الشيطان- نشر الخبر أن ثمة معجزة قد حدثت: ففي الحكاية الأولى، يرى كيف يبدو العالم وكل البشر في الحقيقة. فإذا دار بالمرآة،

Twitter: @alqareah

لم يجد أرضًا ولا شخصًا إلا وقد شوهته. وأراد الآن أن يطير إلى السماء ذاتها، ليسخر من الملائكة والإله، والحقيقة أنه كلما طار عاليًا بالمرآة، اتسعت دائرة العبوس الساخرة، وتعذر عليه الإمساك بالمرآة. وطار أعلى وأعلى حتى اقترب من الملائكة والإله، وحينئذ اهتزت المرآة بشدة في نوبة العبوس الساخرة، حتى هوت من أيديهم وسقطت على الأرض، فتحطمت إلى مئات البلايين- بل يزيد- من الشذور الدقيقة، فأحدثت أضرارًا أكثر خطرًا مما سبق؛ لأن بعض الشذور كانت تزيد حجمًا عن حبة الرمل، فانتشرت في أنحاء العالم.. فإذا استقرت في عين شخص، ظلت كامنة حتى يرى كل شيء خاطئًا أو يرى مساوئ الأشياء وعيوبها. ودخلت بعض شذور المرآة الدقيقة إلى قلوب بعض الناس، فحولت القلب إلى كتلة من الجليد. أما بعض الشذور الكبيرة من المرآة فقد استخدمها البعض زجاجًا للنوافذ، ولكن من المرغوب فيه ألا ينظر أحد إلى أصدقائه، من خلال زجاج النوافذ هذا. وصارت بعض الشذرات الأخرى نظارات، يتعذر على مَنْ يستخدمها أن يرى جيدًا أو يتصرف تصرفًا حسنًا. وضحك الشيطان ملء شدقيه حتى انفجر جانباه، ثم هاج وصار لونه قرنفليًا. دعونا الآن نَرَ ماذا حدث.

الحكاية الثانية

ولد صغير وبنت صغيرة

في إحدى المدن الكبرى، يوجد كثير من المنازل والناس الذين لا يتمتعون بمساحة واسعة، تكفي لاقتناء حديقة صغيرة؛ لذا لجأ البعض إلى اقتناء زهور في الأوعية. كان في هذه المدينة طفلان مسكينان، ولد وبنت، لهما حديقة صغيرة، تكبر نوعًا عن وعاء الزهور، ولم يكونا شقيقين، ولكنهما

Twitter: @alqareah

كانا معجبين ببعضهما البعض كما لو كانا حبيبين. وتسكن أسرتاهما بجوار بعضهما البعض في غرفتين، فوق سطح منزلين، سقفاهما متجاوران، ولكل غرفة نافذة بها ألواح زجاجية تواجه إحداهما الأخرى.. فإذا قفز أحد الطفلين من النافذة، وصل إلى النافذة الأخرى.

وفي خارج كل غرفة احتفظ أبواهما بصندوق خشبي كبير، زرعا فيه أعشابًا يستخدمانها، بالإضافة إلى شجرة ورد صغيرة، تنمو بنضرة في كل صندوق. وقد لجأ الأبوان في كل غرفة إلى فكرة وضع الصندوقين بجوار نوافذ الغرفتين؛ حتى يبدو للناظر من الزجاج أن هناك حوضين من الزهور. ولما كان الصندوقان عاليين، علم الطفلان أنهما لا يستطيعان تسلقهما، ولكنهما كثيرًا ما يسمح لهما بالخروج والجلوس على مقعديهما الصغيرين تحت شجرتي الورد، حيث يلعبان كيفما يشاءان.

فإذا أقبل الشتاء تبددت هذه السعادة.. فالنافذتان متجمدتان تمامًا، حيث تعيَّن على الطفلين أن ينظرا إلى بعضهما خلال ثقوب في جليد النوافذ صنعاها بتسخين عملات معدنية على مواقد القرميد، ووضعِها على زجاج النوافذ المتجمد، ومن خلالها يرى أحدهما الآخر. ومن خلف كل ثقب تطل عينان رقيقتان للولد الصغير والبنت الصغيرة.. كان الولد يدعي «كيي» والبنت تدعى «جيردا».

في الصيف، يستطيع أحدهما أن يصل إلى الآخر بقفزة من النافذة، بينما في الشتاء، كان يتعين عليهما نزول بضع درجات من السلم، ثم صعود بضع درجات من السلم الآخر حيث ينجرف الجليد.

قالت الجدة العجوز: «النحل الأبيض يحلّق في مجموعات».

Twitter: @alqareah

وسألها الولد الصغير: «هل لهم ملكة كذلك؟».

قالت الجدة العجوز: «نعم، لهم ملكة، تطير حيث يطير الحشد في أكبر كثافة، وهي أكبرهم حجمًا، ولا تظل قابعة على الأرض، بل تصعد في طيرانها حتى السحب الداكنة. وفي كثير من ليالي الشتاء تطير في شوارع المدينة، وتنظر إلى النوافذ بشغف، وكأن بها زهورًا رغم تجمدها بالجليد».

قال الطفلان بعد أن تبينا أنها الحقيقة: «نعم، لقد رأينا ذلك».

وسألت البنت الصغيرة: «هل تستطيع ملكة الجليد أن تأتي إلى هنا؟»

قال الولد: «دعيها تدخل، فسوف أضعها على الموقد الساخن كي تتدفأ».

ولكن الجدة مسحت بيدها شعره، وقصت عليهما حكايات أخرى.

في المساء، بعد أن عاد «كيي» الصغير إلى منزله، وخلع نصف ملابسه، وقف فوق الكرسي المجاور للنافذة، ونظر من خلال الثقب الصغير. كانت قطع قليلة من الجليد تتساقط، وظلت أكبر قطعة منها راقدة على حافة أحد صناديق الزهور، ونمت قطعة الجليد وتضخمت حتى صارت امرأة كاملة، تدثرت بأرق شاش أبيض، يبدو كما لو كان مصنوعًا من الملايين من قطع جليدية تشبه النجوم.. كانت جميلة وكبيرة، ولكنها من جليد لامع براق، حتى دبت فيها الحياة، ولمعت عيناها كما تلمع النجوم، ولكن ليس فيهما سلام ولا راحة. وأومأت برأسها إلى النافذة وأشارت بيدها، فارتعد الولد الصغير وقفز من فوق الكرسي، ثم بدا له أن طائرًا ضخمًا طار أمام النافذة.

Twitter: @alqareah

في اليوم التالي بدأ الدفء يَعُم مع ذوبان الجليد حتى أقبل الربيع.. سطعت الشمس وظهرت النباتات على سطح الأرض، وبنت الطيور أعشاشها، وفُتحت النوافذ، وعاد الأطفال الصغار إلى الجلوس في حدائقهم الصغيرة.

وفي هذا الصيف، أزهرت الورود بغزارة، وحفظت البنت الصغيرة ابتهالات دينية وردت فيها الورود، التي ذكَّرتها بالورود التي تقتنيها، فأنشدتها للولد الصغير، الذي رددها معها:

«ورودٌ تنمو في الوادي والطفلَ القدسيَّ أنادي»

وقبَّل الطفلان الورود وسارا معًا، يدًا بيد، يتطلعان إلى شمس الله الساطعة.. ما أبهج أيام الصيف هذه! وما أعجب أن نكون بجوار أشجار الورد الطبيعية، التي لا تريد أن تكف عن بث البراعم!

جلس «كيي» و«جيردا» يطالعان كتابا مصورًا عن الحيوانات والنباتات.. وحين دقت أجراس برج الكنيسة الكبيرة الساعة الخامسة، قال «كيي»: «آه، لقد أصابني شيء في قلبي، ودخل في عيني شيء ما!».

وطوَّقته البنت الصغيرة بذراعيها حين أغمض ثم فتح عينيه، وقالت: «لا أرى فيهما شيئًا».

قال الولد: «أظن أنها راقت». ولكنها لم ترُق، بل دخلتها شذرة من شذور الزجاج الخبيث، الذي قفز من المرآة السحرية، الذي يحوّل كل شيء جميل وكَبير ينعكس عليه إلى بغيض وصغير، بينما يظل الشرير الخبيث على حاله، ويبدو كل خطأ في الشيء واضحًا مجسمًا في الحال. مسكين أنت يا «كيي».. لقد أصابه جزيء في قلبه، سيحيله قريبًا إلى كتلة من الجليد. ولن يشعر بضرره الآن، إلا أنه موجود على أية حال.

Twitter: @alqareah

وسألها: «لماذا تبكين؟ فأنت تبدين قبيحة جدًّا». وبكى فجأة وقال: «أعوذ بالله، لا أرى في نفسي شيئًا خطأ، وهذه الوردة أكلها الدود.. انظري إلى تلك الوردة، هي الأخرى عودها معوج، والحقيقة أن حزمة الورود هذه قبيحة المنظر، فهي تبدو مثل الصناديق التي تنمو فيها»، ثم ركل الصندوق بقدمه بشدة، ونزع منه الوردتين.

وصاحت البنت الصغيرة: «كيي ماذا تفعل؟» وعندما رآها منزعجة نزع وردة أخرى بشدة، وابتعد عن «جيردا» الصغيرة مارًّا خلال نافذته.

وعندما جاءت «جيردا» مرة أخرى، ومعها كتاب مصور، قال لها إنه يناسب الأطفال، وإذا قصَّت عليه جدته حكايات، اعترضها دائمًا قائلًا: «ولكن...». فإذا سنحت له الفرصة سار وراءها، وقلَّدها في الحديث تمامًا حتى يُضحك الناسَ من حوله.. واستطاع أخيرًا أن يقلد صوت ومشية كل من يسير في الشارع. وعرف «كيي» كيف يقلد غرائبهم وعيوبهم، حتى قال عنه الناس: «من المؤكد أن هذا الولد له رأس عبقري!» ولكن قطعة الزجاج التي دخلت في عينه، والأخرى التي استقرت في قلبه هما المسئولتان عن كل هذا، وهما السبب كذلك في إغاظة «جيردا» الصغيرة التي امتلأ قلبها بحبه.

واختلفت مداعباته تمامًا عما سبق؛ إذ صارت أكثر تعقلًا؛ ففي أحد أيام الشتاء، تكدست أكوام من الجليد في كومة كبيرة، فأخذ زجاجة كبيرة ساخنة بطرف معطفه الأزرق، وجعل أكوام الجليد تسقط فوقها.

وقال لـ«جيردا»: «انظري الآن في الزجاجة، لقد صارت كل كومة جليدية أكبر مما كانت عليه، وبدت كأنها زهرة بديعة أو نجمة ذات عشرة أركان، تسر الناظرين»، ثم أضاف قائلًا: «انظري كيف صارت مبهجة؟

Twitter: @alqareah

فهي أكثر إثارة من الزهور الطبيعية، وليس بها عيب واحد؛ فهي دقيقة جدًّا طالما لم تذب».

وبعد قليل، ظهر «كيي» وفي يده قفاز كبير، وعلى ظهره زلاجة، وصاح في أذنيْ «جيردا»: «لقد سمح لي أبواي بأن أذهب للتزحلق في الميدان الكبير، الذي يلعب فيه الآخرون»، ثم انطلق.

وفي الميدان، غالبًا ما يربط أكثر الأولاد جرأة زلاجاتهم في عربة الفلاح المنزلقة؛ حتى يقطعوا مسافة كبيرة معها، وهذا الأمر يبعث فيهم المرح. وبينما كانوا يلعبون، أقبلت مركبة تزلج تجرها الحيوانات، ذات لون أبيض، ويجلس بداخلها نفر متدثر بفراء أبيض، ويضع على رأسه قلنسوة من الفراء الأبيض. دارت المركبة دورتين في الميدان، وتمكن «كيي» من ربط زلاجته الصغيرة بسرعة في المركبة وسار معها.. تحركت الزلاجة أسرع وأسرع مباشرة في الشارع التالي، واستدار قائد المركبة برأسه، فرأى «كيي» وأومأ برأسه إيماءة لطيفة، وكأنهما يعرفان بعضهما بعضا. وأراد «كيي» أن يفك زلاجته من المركبة، ولكن القائد أومأ إليه ثانية حتى بقي «كيي»، ثم قاد القائد مركبته مباشرة خارج بوابة المدينة، وبدأ الجليد يتساقط بكثافة، لم يستطع معها الولد الصغير أن يرى يديه أمامه وهو يتحرك. حاول «كيي» فك الحبل من المركبة دون جدوى، وتحركت مركبته سريعًا وانطلقت مثل الريح، وصرخ صرخة مدوية لم يسمعها أحد، وتكدست أكوام الجليد، واندفعت فوقها مركبة الانزلاق، وبين حين وآخر، صارت تقفز كما لو كانت تطير فوق الحفر والأسوار، وتملكه الفزع كثيرًا حتى تمنى أن يصلّي ويدعو الله بالنجاة، ولكنه لم يتذكر إلا جدول الضرب الكبير.

Twitter: @alqareah

صارت أكوام الجليد أكبر وأكبر، وأخيرًا ظهرت كأنها دجاجات كبيرة بيضاء، وفجأة قفزت جانبًا. وتوقفت مركبة التزلج الكبيرة، ووقف مَنْ كان يقودها، وقد غطى الجليد معطفه وقبعته، وكانت امرأة طويلة وهيفاء تلمع بالبياض، هي ملكة الجليد.

قالت المرأة: «تقدمنا كثيرًا، ولكن ألستَ تتجمد؟ ازحف إلى معطفي المصنوع من جلد الدب».. وحينئذ جلس بجوارها في المركبة، ولفَّ نفسه بفرائها، وكان أشبه شيء بمن يغوص في كومة من الجليد.

وسألته بعد أن قبَّلته في جبينه: «هل ما زلت متجمدًا؟» آه.. كانت القبلة أبرد من الثلج، سرت مباشرة إلى قلبه الذي صار نصف كتلة من الجليد. وشعر بأنه يموت، ولكن للحظة وجيزة، لم يعد يشعر بعدها بالبرد حوله.

وحينئذ تذكر زلاجته فصاح: «زلاجتي.. لا تنسيْ زلاجتي!»، وكانت مربوطة في إحدى الدجاجات البيضاء، التي طارت بها وهي على ظهرها، ثُم قبَّلت ملكةُ الجليد «كيي» مرة ثانية، حتى نسي «جيردا» الصغيرة وجدَّته وكل من بمنزله.

قالت له ملكة الجليد: «الآن، لن تحصل على قبلات بعد، وإلا قبَّلتك حتى الموت»، فنظر «كيي» إليها وكانت رائعة الجمال، تتمتع بالحكمة وبهاء الطلعة بشكل لا يتصوره أحد، ولم تعد تبدو كأنها من الجليد؛ حيث بدت في ذلك الوقت كأنها تجلس خارج النافذة وتلوّح له. وبدت كاملة في نظره، ولم يعد يخشاها. وأبلغها أنه يعرف الحسابات الذهنية حتى الكسور، ويعرف مساحات الأقطار بمربَّع الأميال وكم عدد سكانها.. وكانت تبتسم له دائمًا، وبدا أن كل ما يعرفه يبدو ضئيلًا، ونظر إلى أعلى ليرى السماء الفسيحة.

Twitter: @alqareah

وطارت معه عاليًا فوق السحب الداكنة.. طارا فوق الغابات والبحيرات، فوق البحار واليابسة، وصفَّرت انفجارات الجليد من تحتهما وعوت الذئاب ولمع الجليد. ومن فوقهما، صرخت الغربان الغاضبة وبدا القمر كبيرًا ولامعًا، ونظر «كيي» إليه طوال ليالي الشتاء الطويلة.. وفي النهار رقد تحت أقدام ملكة الجليد.

الحكاية الثالثة

حديقة زهور المرأة الضليعة في الشعوذة

ولكن كيف كان حال «جيردا» الصغيرة، عندما علمت أن «كيي» لم يعد ثانية؟ وأين ذهب بعد كل هذا؟ لا أحد يعرف، ولا أحد يستطيع أن يتنبأ بشيء؛ فقد قال الأولاد إنهم رأوه يربط زلاجته في مركبة التزلج الكبيرة الجميلة، التي مرت بالشارع وخرجت من بوابة المدينة. ولا أحد يعرف أين ذهب، وانهمرت الدموع من عينيْ «جيردا» الصغيرة، وصارت تبكي كثيرًا. ثم قالوا إنه مات غريقًا في النهر المجاور للمدينة. آه، يا لها من أيام شتاء قاحلة!

والآن أقبل الربيع بشمسه الدافئة.

قالت «جيردا» الصغيرة: «يا للحسرة! لقد مات كيي».

وقالت أشعة الشمس: «لا أظن ذلك».

قالت «جيردا» للعصافير: «لقد مات «كيي» ولن يعود».

فأجابت العصافير: «لا نظن ذلك» وأخيرًا ظنت «جيردا» الصغيرة أيضًا أن «كيي» لم يمت.

ذات صباح باكر قالت: «سوف ألبس حذائي الأحمر الجديد، وهو الذي لم يره «كيي»، وأذهب إلى النهر وأسأله عنه كذلك».

Twitter: @alqareah

كان الوقت مبكرًا، فقبّلت جدتها العجوز التي كانت نائمة، ولبست حذاءها الأحمر، وسارت وحيدة من بوابة المدينة إلى النهر.

وسألت النهر: «هل حقًّا أخذتَ رفيق طفولتي الصغيرة؟ سوف أعطيك حذائي الأحمر، هديةً، إذا أعدته إليّ ثانية».

وبدا لها أن الأمواج الكبيرة أومأت إليها بغرابة.. وحينئذ خلعت حذاءها الأحمر، أعز ما تمتلك وألقت به في النهر، فسقط بالقرب من الشاطئ، فحملته الأمواج وردَّته إلى الشاطئ. ويبدو أن النهر لا يريد أن يحرمها من أعز شيء لديها.. وظنت أنها لم تقذف الحذاء بعيدًا بالقدر الكافي؛ ولهذا تسللت إلى زورق بين الشجيرات في الأدغال، وذهبت به إلى أبعد مكان تقذف منه الحذاء، ولكن الزورق لم يكن مربوطًا جيدًا، فتحرك بها بعيدًا عن الأرض. وعندما لاحظت ذلك، حاولت الخروج منه، ولكنها ما إن وصلت إلى خلفية الزورق، حتى انزلق بسرعة بعيدًا عن الشاطئ.

وارتعدت فرائص «جيردا» الصغيرة وراحت تصرخ، ولكن دون أن يسمع صراخها أحد إلا العصافير، التي لم تستطع أن تحملها إلى اليابسة. وكل ما فعلته العصافير أن طارت، وهي تغني على امتداد الشاطئ، وكأنها تهدئ من روعها، قائلة: «نحن هنا.. نحن هنا».. وطفا الزورق وسار مع تيار النهر. وجلست «جيردا» الصغيرة هادئة في جوربها، بعد أن عام حذاؤها الأحمر خلفها؛ لأنه لم يستطع أن يلحق بالزورق الذي اكتسب سرعة التيار.

كان منظر كلا الشاطئين جميلًا، ففيه الزهور الجميلة والأشجار العتيقة والأغنام والأبقار، دون أن ترى شخصًا واحدًا.

Twitter: @alqareah

وقالت «جيردا» الصغيرة لنفسها: «ربما يحملني النهر إلى «كيي» الصغير». وطمأنها هذا الظن قليلًا، فوقفت تحملق في الشواطئ الخضراء النضرة عدة ساعات، حتى أتت إلى بستان كرز كبير، فيه منزل عجيب نوافذه حمراء وزرقاء وسقفه مغطى بالقش، وفي الخارج يقف جنديان خشبيان، يحملان البنادق المصوبة إلى كل مَنْ يقترب مِنَ الشاطئ في النهر.

فنادتهما «جيردا» الصغيرة حيث ظنت أنهما أحياء، ولكن أحدًا لم يجب بطبيعة الحال، فاقتربت منهما لأن الزورق انجرف نحو الشاطئ.

وصاحت «جيردا» بصوت عالٍ، حتى خرجت من البيت امرأة عجوز جدًّا تستند إلى عكاز معقوف. وكانت تضع على رأسها قبعة كبيرة واقية من الشمس، مزينة برسوم لزهور جميلة. قالت المرأة العجوز: «أيتها الطفلة المسكينة، كيف أتيت في هذا النهر القوي العظيم، وسافرتِ بعيدًا إلى هذا العالم الفسيح؟»، وحينئذ نزلت السيدة العجوز إلى الماء وشبكت الزورق بعكازها المعقوف، وجذبته إلى الأرض، وأخرجت منه «جيردا» الصغيرة.

وسعدت «جيردا» بوصولها إلى اليابسة، ولكنها خافت من السيدة العجوز العجيبة.. قالت لها العجوز: «خبريني، مَنْ أنت؟ وكيف أتيت إلى هنا؟».

وقصت «جيردا» عليها كل شيء، وعندما سألتها عما إذا كانت رأت «كيي» الصغير.. أخبرتها العجوز أنها لم تره، ولكنه ربما يكون بعيدًا هناك، فلا تحزني، بل عليك أن تتذوقي كرزي وتتمتعي بزهوري، ثم أخذت «جيردا» من يدها ودخلتا البيت الصغير وأغلقت الباب.

كانت النوافذ عالية وزجاجها ملونًا بالألوان الأحمر والأزرق والأصفر.. وسطع ضوء النهار بكل الألوان بشكل عجيب، وحملت المائدة أطيب الثمار

Twitter: @alqareah

من الكرز، فأكلَت «جيردا» ما طاب لها أن تأكل، ثم مشطت العجوز شعرها بمشط ذهبي، وضفرت شعرها الأصفر، ولمع بجمال حول وجهها الصغير الجميل، الذي يشبه الوردة في استدارته.

وقالت العجوز: «كم كنت مشتاقة لبنت صغيرة جميلة مثلك! ولسوف ترين كيف نكون صديقتين». وعندما كانت تمشط شعر «جيردا» الصغيرة، نسيت «جيردا» رفيق طفولتها الصغير «كيي». ولأن المرأة العجوز ضليعة في السحر، ولم تكن ساحرة شريرة، فقد أبدت شيئًا قليلًا من السحر من أجل متعتها فقط.. وها هي الآن تريد الاحتفاظ بـ«جيردا» الصغيرة. ولهذا ذهبت إلى الحديقة وضمَّت بعكازها المعقوف كل أشجار الورد، التي كانت ناضرة جميلة الأزهار، فسقطت وغاصت في الأرض السوداء، ولا يعرف أحد عن مصيرها شيئًا.. وخشيت العجوز أن تظن «جيردا» أنها ستلقى مصير أشجار الورد، وتتذكر مصير «كيي» الصغير، فتفر هاربة.

والآن، قادت «جيردا» إلى حديقة الزهور. يا للعجب! كم كانت رائحتها طيبة ومميزة! وقفزت «جيردا» فرحًا ولعبت حتى غربت الشمس خلف أشجار الكرز الطويلة.. وهيأت لها الساحرة سريرًا وثيرا ذا فراش من حرير، مزينًا بزهور البنفسج، فنامت فيه، وصارت تحلم بما تحلم به الملكات في يوم زفافهن.

وفي اليوم التالي، لعبت ثانية بالأزهار تحت أشعة الشمس الدافئة حتى مرت عدة أيام.. وعرفت «جيردا» كل الزهور، ورغم كثرتها بدا لها أن زهرة غائبة. ولكن أية زهرة تلك التي لم تكن تعرفها؟ وفي ذات يوم جلست تنظر إلى قبعة الشمس الخاصة بالسيدة العجوز، ذات الزهور المرسومة عليها، وكانت أجمل

Twitter: @alqareah

هذه الزهور وردة، نسيت العجوز أن تنزعها من قبعتها، عندما غطست الزهور الأخرى في الأرض، وتلك هي طريقة النسيان لمن غاب وعيه.

قالت «جيردا»: «ماذا؟ هل توجد أية ورود هنا؟» ثم جرت بين أحواض الزهور باحثة ومنقبة، ولكن دموعها الثخينة الحارة سقطت في البقعة، التي غاصت فيها شجرة الورد. وما كادت الدموع تبلل الأرض، حتى برزت فجأة تلك الشجرة التي سبق أن غاصت حافلة بالزهور؛ فاحتضنتها «جيردا» بذراعيها وقبّلت الورود، وتذكرت الورود الجميلة التي كانت بمنزلها، كما تذكرت «كيي» الصغير.

وقالت البنت الصغيرة: «آه! كيف تأخرت؟ يا للعجب!» وسألت الورود. « لقد كنت أبحث عن «كيي».. ألا تعرفين أين ذهب؟ ألا تظنين أيتها الورود أنه مات ولن يعود؟».

فقالت الورود: «إنه حي يرزق ولم يمت.. وللتأكيد، لقد كنا في باطن الأرض حيث يوجد الأموات، ولم نـرَ «كيي» هناك».

وقالت «جيردا» الصغيرة: «شكرًا لكم» وذهبت إلى الزهور الأخرى ونظرت إلى كئوسها وسألتها: «ألا تعرفن أين «كيي» الصغير؟».

ولكن كانت كل زهرة تقف تحت أشعة الشمس، تحلم بحكايات الحوريات معها وبتاريخها، وعلمت «جيردا» الصغيرة من كثير منها أنه لا أحد يعرف عن «كيي» شيئًا.

والآن، ماذا قالت زهرة حنك السبع؟(*)

(*) زهرة حنك السبع: هي زهرة الزنبقة النمرية.

Twitter: @alqareah

قالت: «هل تسمعين دقات الطبل؟ استمعي إلى النشيد الجنائزي للمرأة، وصيحات الرهبان؛ إذ تقف زوجة الهندوسي أمام المحرقة حيث يلتهمها اللهب هي وزوجها الميت، ولكن زوجة الهندوسي تفكر فيمن بقي حيًّا هنا في الميدان.. ذلك الشخص الذي أتت عيناه، اللتان تحترقان أقرب إلى قلبها من النار، التي تحرق جسدها.. فهل تموت حرارة القلب في لهب المحرقة؟».

وقالت «جيردا» الصغيرة: «أنا لا أفهم هذا بالمرة».

فقالت زهرة حنك السبع: «تلك هي قصتي».

وماذا يقول اللبلاب؟

قال: «يتعلق بذيل الجبل الضيق قصر باروني قديم، تنمو فيه أشجار قصيرة مزهرة بكثافة حول الجدران الحمراء العريقة.. ولا تتدلى وردة من غصن أنضر منها. وليست هناك زهرة لتفاحة تحملها الرياح أكثر منها رشاقةً، وما أبهى ثوبها الطويل وهو يصدر حفيفًا! لسوف يحضر بعد كل هذا».

وسألته «جيردا» الصغيرة: «أتعني به «كيي»؟».

فأجابها اللبلاب: «إنني أتحدث عن قصتي وحلمي فقط».

وماذا قالت قطرة الجليد؟

قالت: «عُلِّقت لوحة طويلة بالحبال بين الأشجار وصارت أرجوحة.. تتأرجح عليها طفلتان صغيرتان ترتديان ثيابًا بيضاء كالثلج، ويقف بجوار الأرجوحة أخوهن الذي يكبرهن.. يلف حبلًا حول ذراعه ليمسكه، بينما يقبض بإحدى يديه زبدية صغيرة، وفي يده الأخرى أنبوب من الصلصال، ينفخ فيه فيطلق فقاعات، وما زالت الأرجوحة تتأرجح والفقاعات تحلِّق في الجو بألوان بديعة متغيرة. كما وقف الكلب الصغير على رجليه الخلفيتين بخفة

Twitter: @alqareah

مثل الفقاعات، وأراد أن يمتطي الأرجوحة، التي أطاحت به، وصار ينبح بغضب بينما الفقاعات تنفجر.. وكانت أغنيتي هي: «أرجوحة تأرجحت.. ورغوة تطايرت».

فقالت «جيردا»: «ربما كان كل ما قلت جميلًا، رغم أنك تذكره بامتعاض.. ولكنك لم تقل شيئًا عن «كيي». فماذا تقول النباتات العطرية؟».

تقول: «كانت هناك ثلاث أخوات جميلات رقيقات كالنسيم، ترتدي أولاهن ثوبًا طويلًا أحمر، وترتدي الثانية ثوبًا أزرق طويلًا، وترتدي الثالثة ثوبًا أبيض طويلًا.. تشابكت أيديهن، وهن يرقصن على شاطئ البحيرة الهادئة تحت ضوء القمر اللامع.. لم يكنَّ جنيات ولكن كنَّ من البشر، وانبعثت رائحة طيبة، اختفت على إثرها الفتيات في الغابة. زادت شدة الرائحة العطرية، فهناك ثلاثة توابيت، ترقد فيها الفتيات الثلاث الجميلات، وانزلقت التوابيت من الغابة الكثيفة عبر البحيرة. وطارت اليراعات تضوي كأنها شمعات تحلق فوقهن.. فهل كانت الفتيات الراقصات نائمات أم ميتات؟ تقول رائحة الزهور إنهن جثث، وتدوّي أصوات الأجراس للأموات».

قالت «جيردا» الصغيرة: «جعلتني بائسة، فرائحتك العطرية قوية جعلتني أفكر في الفتيات الراحلات. يا للسماء! فهل «كيي» الصغير ميت حقًّا؟ الورود في الحديقة تنفي ذلك».

دقت أجراس النباتات العطرية، وقالت: «دينج دونج، نحن لا ندق على «كيي» الصغير؛ لأننا لا نعرفه.. نحن نردد تراتيلنا التي نعرفها فقط».

وذهبت «جيردا»، بعدها، إلى الزهرة البرية الصفراء، التي برزت من الأوراق الخضراء اللامعة، وقالت لها: «أنتِ شمس صغيرة لامعة، خبّريني إذا عرفتِ شيئًا.. أين أجد رفيق طفولتي؟».

Twitter: @alqareah

ولمعت الزهرة البرية الصفراء بأناقة ونظرت إلى «جيردا»؛ فأي نشيد ترتله الزهرة البرية الصفراء بالصدفة، لن يكون عن «كيي».

قالت الزهرة البرية الصفراء: «في أول يوم من أيام الربيع سطعت شمس الله دافئة في فناء صغير.. تسللت الأشعة إلى الحائط الأبيض المجاور، الذي تنبت بجواره أول زهور صفراء، تلمع كالذهب تحت أشعة الشمس الدافئة. وكانت جدتي العجوز تجلس في مقعدها، بينما حضرَتِ الحفيدة الجميلة المسكينة، التي تخدمها إلى المنزل لزيارتها، فَقَبَّلت جدتها، فوجدت الذهب على شفتيها والذهب على الأرض والذهب حولها في الصباح.. انظري! هذه هي كل قصتي».

شهقت «جيردا» وقالت: «جدتي العجوز المسكينة، نعم، ربما كانت تحزن عليَّ مثلما حزنت على «كيي» الصغير.. ولكنني سأعود إلى منزلي وأحضر معي «كيي» الصغير. فلا فائدة من سؤال الأزهار التي لا تعرف سوى أناشيدها ولن تخبرني بشيء»، ثم رفعت ثوبها قليلًا حتى تستطيع أن تجري أسرع، ولكن زهرة النرجس ربتت على ساقها وهي تقفز من فوقها. فتوقفت ونظرت إلى الزهرة الطويلة وسألتها: «هل تعرفين شيئًا بالمصادفة؟» ومالت عليها. فماذا قالت لها؟

قالت النرجسة: «أنا أرى نفسي، أنا أرى نفسي، آه.. آه.. ما أطيب رائحتي! انظري.. أنا أرى ذاتي، أنا أرى ذاتي!».

وقالت «جيردا»: «أنا لا أهتم بهذا. فليس فيه شيء يفيدني». ثم هرولت إلى طرف الحديقة.

Twitter: @alqareah

كانت البوابة مغلقة، ولكن «جيردا» الصغيرة حركت الترباس الحديدي الصَّدِئ جانبًا حتى انفك وفتحت البوابة، وحينئذ جرت حافية القدمين إلى العالم الفسيح.. وأخيرًا أدركها التعب ولم تستطع الجري بعد، فجلست على حجر كبير. وعندما نظرت حولها رأت الصيف في نهايته، وأتت إلى آخر الخريف، ولا يمكن أن ترى هذا على الإطلاق في الحديقة الجميلة؛ حيث الشمس دائمًا ساطعة، والزهور تزهر في كل موسم.

قالت «جيردا» الصغيرة: «يا إلهي! كيف أتوقف؟! يا للعجب! إنه الخريف.. لا يمكن أن أستريح»، ثم نهضت لتواصل السير.

آه! كم أصاب قدميها من ألم ومن تعب، والدنيا من حولها تبدو باردة وغاضبة. وكان الماء يتساقط من أوراق أشجار الصفصاف الصفراء، ولم تكن تحمل الثمار إلا الأشجار ذات الزهور البيضاء، ولكن ثمرها مر يلسع اللسان. آه، كم يبدو العالم الفسيح كئيبًا وخاويًا!

الحكاية الرابعة

الأمــير والأمــيرة

آن لـ«جيردا» أن تستريح.. وحينئذ وثب غراب ضخم وحطَّ على كومة من الجليد تقع أمام الحجر الذي جلست عليه. وظل لمدة طويلة واقفًا ينظر إليها ويهز رأسه استنكارًا، ثم قال: «قاق.. قاق.. جودا.. جودا..» ولم يستطع أن ينطق بأكثر من هذا.. وكان يقصد بذلك «جيردا» الصغيرة، ويسألها إلى أين تذهبين وحيدة في هذا العالم الفسيح؟! وفهمت «جيردا» كلمة «وحيدة» جيدًا، وأدركت تمامًا ماذا تعني؛ ولهذا أبلغت الغراب بقصتها كاملة وسألته عما إذا كان شاهد «كيي».

Twitter: @alqareah

وأومأ الغراب برأسه متأملًا، وقائلًا: «ربما.. ربما». وصاحت الطفلة الصغيرة: «ماذا؟ أتظنه ذلك؟».. واحتضنت الغراب وضمته بشدة، وكادت تقتله، وقبَّلته.

فقال الغراب: «تعقَّلي.. تعقَّلي.. أعتقد أنه «كيي» الصغير، ولكنه ربما نسيك الآن وهو مع الأميرة».

وقالت «جيردا»: «هل هو يعيش مع الأميرة؟».

فأجاب الغراب: «نعم، اسمعي! من الصعب عليَّ أن أتحدث لغتك.. فإذا كنت تجيدين الحديث كالغربان، فسأحكي لك أفضل»، ثم استطرد قائلًا: «في المملكة التي نحن فيها الآن تسكن أميرة عاقلة بشكل غير مألوف.. وعندما قرأت جميع الصحف التي تصدر في العالم، نسيت كل شيء؛ لأنها عاقلة. وفي اليوم التالي كانت تجلس على العرش، ويقال إنها لم تلقَ هناء بعدئذ. وبدأت تهمهم بأغنية تقول: لماذا لا أُزَف؟».

قالت الأميرة: «اسمع، هناك شيء ما»، وحينئذ أرادت أن تتزوج، وأرادت زوجًا جاهزًا بالرد على أي سؤال يوجه إليه، لا يشترط فيه المظهر الرفيع؛ فجمعت نساء حاشيتها، وعندما سمعن أمنيتها سرَّهن ما سمعن منها.

أكمل الغراب قائلًا: «صدرت الصحف.. وبها حاشية من القلوب واسم الأميرة بالأحرف الأولى.. تقرأ فيها بنفسك إن أي شاب حسن المظهر له مطلق الحرية في الحضور إلى القصر والتحدث مع الأميرة.. فمَنْ تحدث بهذه الطريقة التي يشعر فيها بالألفة، وتحدث أفضل من الآخرين، كان هو الذي تتخذه الأميرة زوجًا لها. حسنًا.. حسنًا! صدقيني، فهي حقيقة مثل وجودي

Twitter: @alqareah

هنا، كان الجميع يتحدثون جيدًا وهم في الشوارع، فإذا ما دخلوا بوابة القصر، ورأوا الحراس في أزيائهم الفضية والخدم في ملابسهم الذهبية مصطفين حتى الدَّرج، والقـاعات الفسيحة مضاءة بالإضاءة المبهرة، أصابهم الذهول.. وإذا ما وقفوا أمام العرش الذي تجلس فيه الأميرة لا يستطيعون أن يقولوا شيئًا إلا الكلمة الأخيرة التي تقولها، كما لو كانوا مخدَّرين بالسعوط الذي ابتلعوه، أو دخلوا في نوبات من الإغماء؛ حتى يعودوا إلى الشارع، حيث يستطيعون الحديث.

كان هناك طابور طويل على طول الطريق من بوابة المدينة حتى القصر. وكنت بالداخل عندما رأيتهم بنفسي.. وحين أدركهم الجوع والعطش وهم في القصر، لم يحصلوا منه إلا على كوب من الماء الفاتر».

قالت «جيردا»: «ولكن أين كان «كيي» الصغير؟ ومتى حضر؟ وهل كان مع هذه المجموعات؟».

فأجاب الغراب: «مهلًا.. أعطني بعض الوقت، سوف نأتي إليه الآن.. كان ذلك في اليوم الثالث، حين دخل القصر شخص دون حصان ولا مركبة، واثق الخطوة يمشي ملكًا.. تلمع عيناه مثل عينيك، وشعره طويل، ولكنه رث الثياب».

فصاحت «جيردا» وهي في قمة السعادة: «إنه «كيي» آه، لقد وجدته». وصفقت بيديها.

وقال الغراب: «كان يحمل حقيبة صغيرة على ظهره».

فقالت «جيردا»: «لا، إنها ربما تكون زلاجته، فقد ذهب بزلاجته».

وقال الغراب: «هذا محتمل، فلم أتبينه بدقة، ولكنني علمت من حبيبتي الأليفة أنه دخل بوابة القصر، ولم يجزع قلبه البتة عندما شاهد الحراس في

Twitter: @alqareah

أزيائهم الفضية والحشم في ملابسهم الذهبية، بل قال لهم بعد أن أومأ برأسه: «لا يليق بي أن أنتظر على الدرج، بل ينبغي أن أدخل».. كان حذاؤه يصر صريرًا عاليًا، ولكنه لا يزال يسير دون خوف».

قالت «جيردا»: «من المؤكد أن هذا هو «كيي»، فأنا أعرف أنه كان يلبس حذاء جديدًا، وسمعته وهو يصرُّ في ردهة جدتي».

قال الغراب: «حسنًا، كان حذاؤه يصر، ولكن لم يثبط همته شيء، حتى ذهب مباشرة إلى الأميرة، التي جلست على لؤلؤة، يماثل حجمها حجم عجلة الغزل.. وكانت الوصيفات ووصيفاتهن ورجال الحاشية وخدمهم وخدم خدمهم يصطفون على كلا الجانبين.. وكل من اقترب من الباب كان عالي القدر رفيع الشأن. وكان الولد خادم الخدم الذي كان يمشي في خف داخل الردهة، لا يكاد المرء يراه، وكان شامخًا في وقوفه إلى الباب».

قالت «جيردا»: «إنه لشيء رهيب، وهل فاز «كيي» بالأميرة؟».

قال الغراب: «لولا أنني غراب، لفزت بالأميرة رغم أنني خاطب في الحقيقة.. ومن المفروض أنه تكلم جيدًا كما أتكلم أنا بلغة الغربان؛ إذ عرفت ذلك من حبيبتي الأليفة.. لقد كان شجاعًا وغير هياب، لم يحضر للخطبة، بل حضر للاستماع إلى حكمة الأميرة، فرأى ذلك جيدًا، فوجدته هو الآخر جيدًا».

قالت «جيردا»: «طبعًا، ذلك هو «كيي»، كان عاقلًا يستطيع أن يحسب العمليات الرياضية بالكسور، آه، ليتك تصحبني إلى القصر».

قال الغراب: «حسنًا، فما أسهل القول! ولكن كيف يكون ذلك؟ سوف أحدّث حبيبتي في هذا الأمر. ولو أنني يجب أن أبلغك أن طفلة صغيرة مثلك، لن يُسمح لها بالدخول بالطريقة العادية».

Twitter: @alqareah

قالت جيردا: «آه، نعم، نويت ذلك، فبمجرد أن يسمع «كيي» بوجودي هنا.. فسوف يأتي مباشرة لإحضاري».

قال الغراب وهو يهز رأسه، قبل أن يطير: «انتظريني على درجات السلم هناك».. وحلَّق بعيدًا في الفضاء.

لم يعد الغراب ثانية قبل المساء المتأخر، حين قال: «واق واق، لقد طلبَت مني حبيبتي أن أبلغك بحبها.. وهذا هو رغيف صغير لكِ، أخذْتُه من المطبخ الذي يوجدُ به خبز كثير، فربما كنتِ جائعة، ولا يمكن أن تدخلي القصر. لماذا؟ لأنك حافية عارية القدمين؛ فلن يسمح لك الحارس الفضي والخدم ذوو الزي الذهبي بذلك، ولكن لا تبكي؛ فحبيبتي تعرف سلَّمًا خلفيًّا صغيرًا يؤدي إلى غرفة النوم الملكية، وتعرف أين يوجد المفتاح».

ودخلا الحديقة ومرَّا بممر كبير، قاد الغراب خلاله «جيردا» الصغيرة إلى باب خلفي مُوارَب.

آه، كم كان قلب «جيردا» الصغيرة ينبض بالخوف والشوق! كانت تريد أن تعرف ما إذا كان «كيي» الصغير هناك، أم لا. والحقيقة، أنها تفترض أنه - بطبيعة الحال - سوف تسره رؤيتها، ويتمنى أن يسمع كم عانت من طول الطريق الذي قطعته من أجله، وأن يعلم أن كل من تركهم بالمنزل قلق عليه، عندما غادر ولم يعد.. آه، كم كانت خائفة وسعيدة!

هما الآن على درجات السلم، وكان فوق الدولاب مصباح صغير مشتعل.. ووقف الغراب الأليف في منتصف الطريق يدير رأسه في كل اتجاه، ويرمق «جيردا»، التي أخذت تحيي الطريق بانحناءة الاحترام التي تعلَّمتها من جدتها.

Twitter: @alqareah

قال الغراب الأليف: «حدثتني عنك خطيبتي حديثًا طيبًا يا فتاتي الصغيرة؛ إذ قالت إنكِ طيبة جدًّا، فإذا أخذت المصباح.. سأقودك في الطريق، وسنأتي إلى هنا حيث يطير الغراب، فلن نقابل أحدًا».

وقالت «جيردا»: «يبدو لي أن شخصًا يتعقبنا». ومرق شيء بجوارها، كما لو كان ظلًّا على طول الحائط، وخيلًا ذات أرجل نحيلة تطايرت أعرافها، وسُيَّاسًا ورجالًا وسيداتٍ يمتطون الخيل.. فقال الغراب الأليف: «تلك أحلام.. أتت لتقتنص الأفكار الملكية، وهذا شيء جميل؛ لأنك تستطيعين رؤيتهم في السرير. وإذا استحسنوك دلَّ ذلك على أنك تحملين قلبًا طيبًا».

دخلا الآن القاعة الأولى ذات الحوائط المغطاة بالقماش الناعم الأحمر الوردي والزهور الصناعية. وكانت الأحلام تمرق بجوارهما، ولكن لم تتمكن «جيردا» من النظر إلى الركاب الملكيين، فقد كان كل حائط يفوق ما سبقه في البهاء بما يثير الدهشة، وهما الآن في غرفة النوم.. سقفها يشبه النخلة الهائلة ذات الخوص الزجاجي الثمين. وفي الوسط عُلِّق سريران يشبهان السوسن على قوائم من الذهب، كان أحدهما أبيض ترقد فيه الأميرة، بينما الآخر أحمر تبحث فيه «جيردا» عن «كيي» الصغير. ونحَّت جانبًا أحد التويجات فشاهدت قفا رقبة بنيَّة.. آه، ذلك هو «كيي»! وصاحت باسمه بصوت عالٍ ورفعت المصباح تجاهه.. فاندفعت الأحلام على ظهور الخيل في الغرفة ثانية، واستيقظ وأدار رأسه.. فلم يكن «كيي» الصغير، ولكنه كان شابًّا أنيقًا. وأطلت الأميرة من السرير السوسني الأبيض، وسألت عما إذا كان هناك خطأ حدث.. وحينئذ بكت «جيردا» الصغيرة، وأخبرتها بقصتها كاملة وما فعله الغراب من أجلها.

Twitter: @alqareah

قال الأمير والأميرة: «يا لك من كائن صغير مسكين!» وامتدحا صنيع الغراب، وقالا له إنهما ليسا غاضبين منه ولم يكررا المديح، ولكنه يستحق المكافأة.

ونهض الأمير من سريره ودعا «جيردا» للنوم فيه، ولم يفعل شيئًا غير ذلك؛ فعقدت يديها الصغيرتين، وفكرت: «يا لهم من أناس طيبين وحيوانات طيبة!» وأغمضت عينيها واستسلمت بارتياح لسلطان الكرى. وعادت إليها جميع الأحلام تطير كالملائكة، يجرُّون وراءهم مزلجة جلس عليها «كيي»، الذي أومأ برأسه.. وكانت هذه أحلامًا تبددت بمجرد استيقاظها.

وفي اليوم التالي كانت «جيردا» ترتدي الحرير والمخمل من قمة رأسها حتى أخمص قدميها.. وقد دعيت للبقاء في القصر في رخاء، ولكن كل ما طلبت كانت مركبة صغيرة، يجرها حصان وزوج من الأحذية الطويلة الدقيقة، ثم تقودها وتنطلق بها في العالم الفسيح لتبحث عن «كيي».

ومُنحت حذاء طويلًا وقفازًا، وارتدت أبهى الملابس، وعندما كانت جاهزة للانطلاق.. حضرت مركبة جديدة من الذهب الخالص، وقفت أمام الباب. ولمع شعار النبالة للأمير والأميرة لمعان النجم، وجلس سائق المركبة ورجال الحاشية من المشاة وحراس المقدمة وحراس المؤخرة والأجناب، وهم يرتدون التيجان الذهبية. وساعدها كلٌّ من الأمير والأميرة على دخول المركبة وتمنيا لها حظًّا سعيدًا. ورافقها في رحلتها غراب الغابات (الذي تزوج أخيرًا) في مسافة الاثني عشر ميلًا الأولى؛ إذ جلس بجوارها، بينما وقف الغراب الآخر على البوابة يخفق بأجنحته، ولم يرافقهما في رحلتهما؛ نظرًا لإصابته بالصداع بسبب منصبه الدائم وكثرة الطعام. وفي داخل

Twitter: @alqareah

المركبة صُفَّت أنواع البسكويت المالح والمسكر، وعلى المقعد وُضِعَت الفواكه وشطائر الزنجبيل.

وصاح الأمير والأميرة: «وداعا، وإلى اللقاء».. وبكت «جيردا» الصغيرة وبكى الغراب، وهكذا مرت الأميال الأولى في الرحلة، ثم ودعها الغراب كذلك، وكان وداعه أقسى عليها من أي وداع آخر.

طار الغراب وحط فوق شجرة، وظلت أجنحته تخفق طالما ظلت المركبة، التي لمعت مثل ضوء الشمس تحت بصره.

الحكاية الخامسة

اللصـة الصـغيرة

مروا خلال الغابة المظلمة، ولكن المركبة لمعت كاللهب، وكانت تغري أعين اللصوص.. ولم يستطيعوا أن يقاوموا إغراءها.

صاح اللصوص: «إنها من الذهب.. إنها من الذهب». واندفعوا خارجين وأمسكوا بالخيل، وقتلوا حراس الأجناب والمؤخرة، وقائد المركبة والمشاة، ثم سحبوا «جيردا» الصغيرة خارج المركبة.

قالت اللصة الحيزبون: «إنها سمينة، إنها جميلة، جاءت سمنتها من تناول حبَّات البندق.. وهي في سمنتها مثل الحَمَل الصغير السمين. آه، ما أشهى طعمها!». وكانت الحيزبون ذات لحية طويلة كثيفة وحواجب كثة تدلت فوق عينيها، وسحبت سكينها التي لمعت في رعب.

Twitter: @alqareah

قالت الحيزبون في اللحظة نفسها، وقد عضتها من أذنها طفلتُها الصغيرة التي حملتها على ظهرها، وكانت شقية بشكل مثير للمرح: «أي أيتها الطفلة الشقية البغيضة!» ولم يتيسر لها الوقت لتذبح «جيردا».

قالت اللصة الصغيرة: «سوف تلعب معي، وتعطيني القفاز، وتلبسني ثوبها الأنيق، وتنام معي في السرير». ثم عضَّت الحيزبونَ ثانية، فقفزت في الهواء واستدارت حول نفسها، فضحك جميع اللصوص، وقالوا: «انظروا كيف ترقص مع صغيرتها».

فقالت اللصة الصغيرة، التي تصر على أن تسلك طريقها لكونها ضليعة في السلب والنهب وقوة الإرادة: «أريد أن أركب المركبة».. وجلست هي و«جيردا» بداخلها، وانطلقتا بها إلى الغوطة والأحراش في عمق الغابة. وكانت اللصة الصغيرة في حجم «جيردا»، ولكنها أقوى منها، ذات أكتاف عريضة وبشرة داكنة، وعيناها سوداوان تمامًا يبدو فيهما الحزن.. ولفَّت ذراعها حول وسط «جيردا» الصغيرة وقالت: «لن يذبحوك طالما لم أغضب منك.. أتوقع أن تكوني أميرة».

وأجابتها «جيردا» الصغيرة بالنفي، وأبلغتها بكل ما حدث، وأنها شديدة التعلق بـ«كيي» الصغير، ونظرت إليها اللصة الصغيرة بوقار تام وأومأت برأسها قليلًا، وقالت: «لن يقتلوك حتى لو غضبت منك، فحينئذ أقوم أنا بقتلك».. وهنالك كفكفت دموع «جيردا» الصغيرة، ثم أدخلت كلتا يديها في القفاز الناعم الدافئ.

والآن، توقفت المركبة، في وسط فناء قصر أحد اللصوص، وقد تشرَّخ من أعلاه إلى أسفله، وتطير الغربان من بين الشقوق، وقفزت كلاب شرسة ضخمة في الهواء، ولكنها لم تنبح، حيث إن ذلك محظور عليها أن تفعله.

Twitter: @alqareah

وفي القاعة الكبيرة القيِّمة المليئة بالسخام، أُوقِدت نار كبيرة فوق الأرضية الحجرية، وتسلل الدخان من تحت السقف، باحثًا عن طريق إلى الخارج. وكان الحساء يغلي في برميل هائل، بينما الأرانب تلتف حول البرميل.

قالت اللصة الصغيرة: «سوف تنامين هذه الليلة معي ومع كل حيواناتي المدللة، التي تناولت شيئًا من الطعام والشراب، قبل أن تتوجه إلى الركن الذي وُضع فيه القش والسجاد لتنام». وفوق رأسيهما، وقفت حوالي مائة حمامة على عصي وأغصان، ويبدو أنها جميعًا نائمة، ولكنها التفتت إلى الطفلتين، عندما دخلتا.

قالت اللصة الصغيرة، وهي تمسك بسرعة بإحدى الحمامات القريبة من أرجلها وتهزها حتى تخفق بجناحيها: «إنها جميعًا ملكي، قبِّليها!» وقذفتها في وجه «جيردا»، ومضت تشير إلى عدد من القضبان، التي وُضعت أمام ثقب في أعلى الجدار، وتقول: «هذان الاثنان هما أشرار الغابة، وهما يهربان فورًا إذا لم يُغلق الباب بإحكام. وهنا يقف حبيبي القديم حيوان الرنة»، ثم جذبت الرنة من قرونها، وكانت مربوطة بطوق نحاسي لامع حول رقبتها، وقالت: «نحن دائمًا نبقي عليها هنا، وإلا فرت هاربة منا، ففي كل مساء أخزها في رقبتها بسكيني الحادة التي تخشاها»، ثم نزعت اللصة الصغيرة سكينًا طويلًا من الجدار وطعنت به الرنة في العنق، فرفس الحيوان المسكين برجليه، بينما ضحكت اللصة الصغيرة، وهي تجذب «جيردا» إلى السرير بجوارها.

وسألتها «جيردا»: «هل تريدين أن تأخذي السكين معك، عندما تذهبين إلى النوم؟».. ونظرت إليها نظرة قلق.

فأجابت اللصة الصغيرة: «أنا دائمًا أنام بالسكين، فلا يدرك المرء ما قد يحدث، ولكن خبريني الآن بما سبق أن قلت عن «كيي» الصغير، ولماذا

Twitter: @alqareah

خرجتِ إلى هذا العالم الفسيح؟» وعندما أخبرتها «جيردا» منذ البداية، كانت حمامات الغابة تهدر في القفص، بينما كانت الأخرى نائمة. لفَّت اللصة الصغيرة يدها حول عنق «جيردا»، وأمسكت بالسكين في يدها الأخرى، ثم نامت حتى سُمع صوت نومها. ولكن «جيردا» لم يغمض لها جفن، فهي لا تعرف عن أمر حياتها أو موتها شيئًا.. وجلس اللصوص حول النار يغنون ويشربون، بينما دارت الحيزبون دورة في الهواء.. آهٍ، يا له من مشهد مرعب تشهده الطفلة الصغيرة!

وحينئذ هدرت حمامتان بريتان، وقالتا: «كوكو، لقد رأينا «كيي» الصغير.. كانت تحمل زلاجته دجاجةٌ بيضاء، بينما كان يجلس هو في عربة ملكة الجليد، التي انطلقت على ارتفاع منخفض فوق الغابة، عندما كنا في عشنا.. وانقضَّت علينا شراذم، فقتلت الجميع ما عدا نحن الاثنين، كوكو».

فصاحت «جيردا»: «ماذا تقولان؟ وأين ذهبت ملكة الجليد؟ هل تعرفان شيئًا عن ذلك؟».

أجابت الحمامتان: «ربما كانت في رحلتها إلى «لابلاند»؛ حيث يوجد الجليد والثلوج.. وعليكِ أن تسألي الرنة التي تقف مربوطة هناك بالحبل».

فقالت الرنة: «ذلك المكان يحتوي على الثلج والجليد، وفيه يمكنك القفز بحرية في الوديان الواسعة المضيئة.. وهناك تنصب ملكة الجليد خيمتها في الصيف، ولكن قصرها الدائم يوجد بالقرب من القطب الشمالي في جزيرة تدعى سبيتز بيرجن».

وشهقت «جيردا»، وهي تقول: «آه، «كيي»، «كيي» الصغير!».

وقالت اللصة الصغيرة: «نامي الآن في هدوء، وإلا طعنتك بالسكين في بطنك!».

Twitter: @alqareah

في الصباح، أبلغتها «جيردا» بكل شيء قالته الحمامات البرية، ونظرت اللصة الصغيرة باهتمام تام، ثم أومأت برأسها، وقالت: «لا تجزعي.. لا تجزعي!» ثم سألت الرنة: «هل تعرفين لابلاند؟»، فأجاب الحيوان وعيناه ترقصان في رأسه: «من ذا الذي يعرفها أكثر مني؟! فهناك ولدتُ وتربيتُ، ومرحتُ فوق المروج الجليدية».

قالت اللصة الصغيرة لـ«جيردا»: «اسمعي! تعلمين أن كل رجالنا في الخارج، ولكن أمي ما زالت باقية هنا، وبعد فترة من الصباح سوف تشرب قليلًا من الزجاجة الكبيرة، ثم تصعد الدرَج لتنال سِنةً من النوم.. وحينئذ سوف أصنع شيئًا لك». وقفزت من السرير وتعلقت برقبة أمها وجذبت شاربها بقوة، وقالت: «يا عنزتي الحبيبة، صباح الخير»، وخمشت أمُّها أنفَها فتحول إلى اللونين الأحمر والأزرق.. ولكن بعاطفة صافية.

والآن، بعد أن شربت أمها من قارورتها وذهبت لتنام، ذهبت اللصة الصغيرة إلى الرنة وقالت لها: «سوف أطلق سراحك وأساعدك في الخروج للتوجه إلى «لابلاند»، وما عليكِ إلا أن تحملي هذه الطفلة الصغيرة إلى قصر ملكة الجليد، حيث يوجد رفيق طفولتها. وأستطيع أن أقول إنك سمعت ما قالت؛ إذ كانت تتحدث بصوت مرتفع، بينما كنتِ تتنصتين».

قفزت الرنة من شدة الفرح.. ورفعت اللصةُ الصغيرة «جيردا» ووضعتها فوق ظهرها، وكانت حصيفة إذ ربطتها جيدًا، بعد أن زودتها بوسادة صغيرة تجلس عليها، وقالت: «لا تبتئسي فهاك هو حذاؤك الطويل المصنوع من الفراء؛ لأن البرد قادم. وسوف أحتفظ بقفازك لأنه جميل! ولن تتجمدي، فهذا هو قفاز أمي الكبير فسوف يغطي يديك حتى المرفقين، البسيه».

وبكت «جيردا» من شدة الفرح.

Twitter: @alqareah

قالت اللصة الصغيرة: «لا أطيق صوتك الباكي، يجب أن يرتسم السرور على وجهك، خذي هذين الرغيفين، وقطعة من اللحم حتى لا تجوعي!» وربطتهما في مؤخرة الرنة، وفتحت الباب، واستدعت كل الكلاب الكبيرة، ثم قطعت حبل الرنة بسكينها، وأوصت الرنة قائلة: «انطلقي، واحرصي على راحة الطفلة الصغيرة!».

وبسطت «جيردا» يديها بالقفاز إلى اللصة الصغيرة ولوَّحت بالوداع، وانطلقت الرنة فوق الأشجار وفضلات الزراعة، وخلال الغابات الكثيفة وفوق المستنقعات والسهول الواسعة الخالية من الأشجار بأسرع ما يمكن، بينما كانت الذئاب تعوي والغربان تنعق.. وأتى من السماء صوت يدوِّي: «روووووم رووووم»، وتلبدت السماء باللون الأحمر.

قالت الرنة: «تلك هي أضواء الشمال العريقة، انظري كيف تلمع!» وحينئذ صارت تجري أسرع وأسرع في الليل وفي النهار.. وتناولت «جيردا» الرغيفين واللحم، حتى وصلا إلى «لابلاند».

الحكاية السادسة

الزوجة اللابيَّة والزوجة الفنلندية

توقفا عند منزل صغير بائس؛ إذ سقط السقف على الأرض، وانخفض الباب، لدرجة أن الأسرة تزحف على بطونها، في طريق دخولها فيه أو خروجها منه. ولم يكن بالمنزل سوى زوجة لابيَّة عجوز، وقفت تقلي السمك على مصباح نفط، مثل مصابيح السكك الحديدية. وأبلغتها الرنة قصة «جيردا» كاملة، بعد أن حكت حكايتها أولًا؛ لأنها تظن أنها في غاية الأهمية، وأصابت «جيردا» قشعريرة منعتها من الكلام.

Twitter: @alqareah

قالت الزوجة اللابيَّة: «يا للهول! أيتها المسكينتان، لقد قطعتما شوطًا طويلًا من الطريق، وعليكما أن تقطعا مئات الأميال للوصول إلى «فينمارك»، حيث تعيش ملكة الجليد في الريف، وتوقد ضوءًا أزرق في كل مساء. وسوف أكتب بعض الكلمات على قطعة من السمك الجاف «البكلاه»؛ لأني لا أملك ورقًا؛ وأمنحها لكما لتقدماها إلى الزوجة الفنلندية هناك؛ لأنها تستطيع أن تدلكما على الوجهة الصحيحة أكثر مني».

والآن، بعد أن نالت «جيردا» قسطًا من الدفء وشيئًا من الطعام والشراب.. وبعد أن كتبت الزوجة اللابيَّة بضع كلمات على قطعة من السمك المجفف، أبلغت «جيردا» أن تحافظ عليها، ولفَّتها في عنق الرنة التي انطلقت بها، بين أضواء الشمال الزرقاء الجميلة، حتى وصلتا إلى الزوجة الفنلندية وطرقا مدخنتها؛ لأنه لم يكن لها باب.

كان الطقس هناك حارًّا؛ ولذلك .. كانت الزوجة الفنلندية تسير شبه عارية تمامًا، وكانت صغيرة الحجم وذات بشرة سمراء. وخلعت على الفور ملابس «جيردا» الصغيرة، كما خلعت القفاز، وإلا شعرت بالحرارة، ووضعت قطعة من الثلج على رأس الرنة، ثم قرأت المكتوب على السمكة المجففة.. قرأته ثلاث مرات حتى حفظته عن ظهر قلب، ووضعت السمكة في قِدر الطعام؛ لأنها صالحة للتناول؛ فلم تكن تضيع شيئًا هباءً.

والآن، قصَّت الرنة قصتها، ثم أتبعتها بقصة «جيردا»، وأغمضت الزوجة الفنلندية عينيها، ولكنها لم تقل شيئًا.

وقالت لها الرنة: «يا لك من حكيمة لأنني أعرف أنك قادرة على طي جميع رياح العالم بخيط واحد.. فعندما يفك الربان عقدة، يحصل على ريح طيبة،

Twitter: @alqareah

وعندما يفك العقدة الثانية، تهب ريح مواتية، وعندما يفك العقدتين الثالثة والرابعة تأتيه عاصفة تقتلع أشجار الغابة، فليتك تعطين الطفلة الصغيرة القدرة التي تماثل قوة اثني عشر رجلًا؛ حتى تتغلب على ملكة الجليد».

قالت الزوجة الفنلندية: «قوة اثني عشر رجلًا! الحقيقة أن ذلك يستغرق وقتًا طويلًا»، ثم ذهبت إلى أحد الرفوف، وأخذت جلدًا كبيرًا ملفوفًا، وفكته، وكتبت حروفًا عجيبة عليه، وقرأته حتى تصبب الماء من جبهتها.

ولكن الرنة توسلت للمرة الثانية إلى الزوجة الفنلندية من أجل «جيردا» الصغيرة، التي نظرت بعينين دامعتين، متوسلتين إلى هذه الزوجة، التي أغمضت عينيها وسحبت الرنة إلى ركن القاعة؛ حيث همست في أذنيها، وهي تضع ثلجًا جديدًا على رأسها.

قالت: «يعيش «كيي» الصغير بكل تأكيد سعيدًا هانئًا مع ملكة الجليد، ويعتقد أن مكانه هناك هو أفضل مكان في العالم؛ لأنه يحمل شذرة من الزجاج في قلبه وذرة رقيقة من الزجاج في عينه. ويجب إخراجهما أولًا، وإلا فلن يصبح رجلًا، وسوف تحتفظ به ملكة الجليد في حوزتها».

وقالت الرنة: «ألا تستطيعين أن تمنحي «جيردا» الصغيرة شيئًا يعطيها القوة للتغلب على كل ذلك؟».

فقالت الزوجة الفنلندية: «لا أستطيع أن أمنحها قوة أكثر مما تملك.. ألا ترين كم هي قوية؟ ألا ترين كيف يخدمها البشر والحيوانات، وكيف أتت إلى العالم حافية القدمين؟ إن قوتها في قلبها؛ لأنها طفلة بريئة وجميلة؛ فإذا لم تستطع بذاتها أن تصل إلى ملكة الجليد، وتخرج الزجاج من «كيي» الصغير.. فليست لنا حيلة في ذلك، وتبعد حديقة ملكة الجليد عنا حوالي

Twitter: @alqareah

عشرة أميال. ويمكنك أن تحملي الطفلة الصغيرة إلى هناك، وتضعيها بجوار الشجرة الكبيرة، ذات التوت الأحمر التي تقف في الجليد. لا تضيعي الوقت في الثرثرة، ثم عودي إلى هنا».. ثم رفعت الزوجة الفنلندية «جيردا» الصغيرة إلى متن الرنة، التي انطلقت بها بأقصى سرعة.

وصاحت «جيردا» الصغيرة: «آه، لم آخذ حذائي الطويل! ولم آخذ قفازي»، وشعرت بذلك عندما قرصها البرد، ولكن الرنة لم تتوقف؛ إذ صارت تجري حتى وصلت إلى الشجرة الكبيرة ذات التوت الأحمر، حيث وضعت «جيردا» الصغيرة وقبّلتها من فمها، وانحدرت دموع غزيرة على خدود الحيوان، ثم عادت بأقصى سرعة. وهناك وقفت «جيردا» الصغيرة حافية دون حذاء أو قفاز في وسط «فينمارك» الموحشة الباردة.

جرت «جيردا» بأسرع ما يمكن، وحينئذ أتى فوج من كتل الثلج المتساقط، جرت على الأرض، وكلما اقتربت بدت أكبر. وربما تذكرت «جيردا» كم بدت هذه الكتل الجليدية كبيرة وغريبة في تلك المرة، التي شاهدتها خلال الزجاج الملتهب، ولكنها تبدو هنا أكبر حجمًا وأكثر رعبًا؛ لأنها حية؛ فهي جرس المقدمة لملكة الجليد.

أدت «جيردا» الصغيرة الصلاة وابتهلت إلى الله، وكان البرد شديدًا لدرجة أنها كانت ترى أنفاسها؛ إذ كانت تنبعث من فيها كالدخان.. وتكثف زفيرها أكثر فأكثر، حتى أخذ أشكالًا للملائكة البيضاء الصغيرة، التي تكبر وتكبر كلما اقتربت من الأرض، وكانت كلها تلبس خوذًا على رؤوسها، وتحمل في أيديها الرماح والدروع.. ظهر الكثير منها، وعندما انتهت «جيردا» من صلاتها، ربتت الملائكة على قدميها ويديها، فلم تعد تشعر بالبرد كثيرًا، وسارت بسرعة إلى قصر ملكة الجليد.

Twitter: @alqareah

والآن، علينا أن نعرف أولًا كيف حال «كيي»؛ فمن المؤكد أنه لم يعد يتذكر «جيردا» الصغيرة، التي كانت تقف خارج القصر.

الحكاية السابعة
ماذا حدث في قصر ملكة الجليد؟
وماذا حدث بعد ذلك؟

كانت جدران القصر مغطاة بالجليد المتساقط، بينما كانت النوافذ والأبواب تئن من الرياح الصرصر العاتية، كما كان بالقصر أكثر من مائة قاعة طبقًا لما يأتي به الجليد المنجرف، يمتد أكبرها إلى عدة أميال، وكلها مضاءة بالأضواء الشمالية المكثفة، وكانت كبيرة وخاوية وباردة ومتلألئة، لم يكن بها أي شيء مبهج. ولمعت أضواء الشمال محددة المعالم التي يمكن إحصاؤها عندما تكون شديدة الإضاءة أو خافتة الإضاءة. وفي وسط هذه القاعة القاحلة متناهية الكبر والمغطاة بالجليد، يوجد بحر متجمد، تحطم إلى ألف شذرة، كل منها تساوي ما جاورتها وكأنها عمل فني، وفي وسطه تجلس ملكة الجليد عندما تكون بالقصر، وهي تقول إنها تجلس على مرآة الحكمة.

كان بجوارها «كيي» الصغير، أزرق اللون من البرد، حتى أن لونه يميل إلى السواد، ولم يكن يدري بذلك؛ لأنها كانت تقبِّله فتمسح عنه الرجفة، وكان قلبه كتلة من الثلج. وكان يجد وراءه شذرات الثلج الحادة المسطحة، التي رتبها كي يصنع منها ما أسماه «اللغز الصيني»، كما صنع نماذج عجيبة هي «لغز ثلوج الحكمة». كان النموذج ممتازًا، وفي نظره ذا أهمية بالغة، ويرجع ذلك إلى ذرة الزجاج التي استقرت في عينيه، ورتب جميع الحروف ليصنع كلمة مكتوبة، ولكنه لم يستطع أن يرتبها ليصنع كلمة «الخلود». وقالت ملكة الجليد: «إذا استطعت أن تصنع هذا النموذج لي، فسوف تصير سيدًا لنفسك،

Twitter: @alqareah

وسوف أمنحك هذية هي العالم بأسره وزلاجتان»، ولكنه لم يستطع صنع ذلك.

قالت ملكة الجليد: «سوف أنطلق الآن إلى الأقطار الدافئة، وأريد أن ألقي نظرة على «القدور السوداء» تلك هي البراكين «إيتنا»(*) و«ڤيزوف»(**) كما يسمونها، وسوف أبيّض قليلًا من سوادهما، وهو شيء مألوف، وهذا العمل يفيد بساتين الليمون والعنب». ثم طارت ملكة الجليد، فجلس «كيي» وحيدًا في تلك القاعة الكبيرة الخاوية الثلجية الممتدة عدة أميال، ونظر إلى قطع الثلج، وجلس جامدًا ساكنًا حتى يخيل إلى الناظر أنه تجمد حتى الموت.

حينئذ أقبلت «جيردا» الصغيرة على القصر من باب الريح الصرصر العاتية، بعد أن أدت صلاة المساء، حتى هدأت الرياح كما لو كانت تتأهب للنوم، ودخلت «جيردا» القاعة الكبيرة الخاوية الباردة.. ورأت «كيي» واستطاعت أن تميزه، وطوقته بذراعيها وضمته إليها بشدة، وصاحت: ««كيي»، حبيبي الصغير، أخيرًا وجدتك»، ولكنه جلس صامتًا جامدًا من البرد. بكت «جيردا» بدموع حارة، سقطت على صدره، وبللت قلبه فأذابت كتلة الثلج، وبددت شذرة المرآة الصغيرة، التي كانت مستقرة فيه.. نظر إليها وأنشد الابتهال:

«ورودٌ تنمـو في الـوادي والطفلَ القدسيَّ أنادي»

انفجر «كيي» في البكاء وسالت دموعه، حتى انزلقت معها ذرة المرآة من عينيه، فعرفها وصاح بابتهاج شديد: ««جيردا»، حبيبتي «جيردا» الصغيرة،

(*) إيتنا: جبل بركاني شرقيّ صقلية، يبلغ ارتفاعه 3.320 مترًا. (ويبستر – المترجم).

(**) ڤيزوف: بركان نشط في إيطاليا. (معجم بلدان العالم – المترجم).

Twitter: @alqareah

أين كنتِ طوال هذا الوقت؟ وأين كنت أنا؟» ونظر حوله وقال: «ما أبرد هذا المكان! وما أضخمه! وما أوحشه!» وتعلق بـ«جيردا» التي ضحكت وصاحت من شدة الفرح.. إنه لمشهد رائع أن نرى قطع الثلج ترقص في مرح في جميع الاتجاهات.. وعندما كلت من الرقص، رقدت ورتبت نفسها في نموذج الحروف؛ حيث طلبت منه ملكة الجليد أن يصفَّها، حتى يصبح سيدًا لمصيره وتمنحه العالم بأسره مع زوج من الزلاجات.

وقبَّلت «جيردا» خدَّيه اللذين توردا، ثم قبَّلت عينيه اللتين لمعتا مثل عينيها، وقبَّلت يديه وقدميه حتى صار قويًّا معافًى. ولتأتِ ملكة الجليد إذا أرادت الحضور.. على الرحب والسعة؛ فوثيقة عتقه وتحريره مكتوبة بثبات بقطع الثلج اللامعة.

وتجوَّلا يدًا بيد في القصر الكبير، وتحدثا عن الجدة والورود اليانعة فوق سطوح المنازل، وحيثما سارا تهدأ الريح وتسطع الشمس. وعندما وصلا إلى الشجرة ذات التوت الأحمر، كانت الرنة واقفة في انتظارهما، وكانت معها رنة أخرى.. حملت الرنتان «كيي» و «جيردا» إلى الزوجة الفنلندية أولًا، حيث نالا قسطًا من الدفء، وأُبلغا بطريقهما في رحلة العودة إلى منازلهما، ثم إلى الزوجة اللابيَّة، التي خاطت لهما ثيابًا جديدة وأصلحت لهما مركبتهما الزلاجة.

وصارت الرنتان تقفزان على طول الطريق، حتى أوصلتاهما إلى حدود الدولة، حيث انبثقت من الأرض أول نباتات خضراء، ثم غادرا الرنة والزوجة اللابيَّة.

وقال الجميع: «وداعًا!».

Twitter: @alqareah

بدأت العصافير الصغيرة الأولى تغرد، ونبتت في الغابة البراعم الخضراء، وفي خارج الغابة رأيا شابة تمتطي صهوة جواد رائع، وتضع على رأسها قبعة حمراء لامعة، وقد تمنطقت بعدة مسدسات، وكانت من قبل تركب مركبة ذهبية يجرها حصان رائع.. وكانت هذه هي اللصة الصغيرة، التي ملَّت من البقاء بالمنزل، وأرادت الذهاب أولًا في اتجاه الشمال، ومنه تتوجه إلى حيث تشاء.

عرفت اللصة الصغيرة «جيردا» على الفور، كما عرفتها «جيردا»، وكانتا مسرورتين.. وقالت لـ«كيي» الصغير: «إنك لطيف إذ تمشي الهوينى، وأريد أن أعرف ما إذا كنتَ تستحق أن تجوب الأرض واحدة من أجل البحث عنك».

وربتت «جيردا» على خدِّها وسألتها عن الأمير والأميرة.

فقالت اللصة الصغيرة: «لقد رحلا إلى بلاد غريبة».

وسألتها «جيردا» الصغيرة: «وماذا تعلمين عن الغراب؟!».

فأجابت: «مات الغراب، وصارت حبيبته الأليفة أرملة، وتسير وقد لفَّت حول رجلها قليلًا من غزل الصوف، وهي تشكو بمرارة، ولكن خبريني الآن ماذا فعلتِ بعد وداعنا ؟ وكيف التقيته؟».

وأبلغها كل من «جيردا» و «كيي» بما حدث.. فقالت اللصة الصغيرة، وهي تمسك بأيديهما: «إن بعد العسر يسرًا وابتهاجًا»، ووعدتهما بالزيارة بعد أن يصلا سالمين إلى مدينتهما.

ثم استأنفت مسيرتها في العالم الفسيح، بينما سار كل من «جيردا» و «كيي» يدًا بيد. هذا الربيع جميل بزهوره وخضرته، ودقت أجراس الكنيسة وتعرفا

Twitter: @alqareah

على الأبراج العالية والمدينة الضخمة، فهي المدينة التي عاشا فيها، ثم ذهبا إلى باب الجدة، وصعدا الدرج حيث الغرفة، التي وجدا فيها كل شيء على ما كان عليه من قبل. ودقت الساعة: «تيك.. توك» ودارت عقاربها.. وعندما مرَّا بالباب شعرا بأنهما صارا كبارًا، فالورود مرت بالميزاب ودخلت من خلال النافذة المفتوحة. وهناك وجدا مقاعد الأطفال الصغار، وجلس كل من «كيي» و«جيردا» في مقعده، وقد تشابكت أيديهما، ونسيا البرد والفخامة القاحلة لقصر ملكة الجليد. وجلست الجدة تحت شمس الله الساطعة بأشعتها الصافية، وهي تقرأ **الإنجيل** بصوت عالٍ: «لن تدخل مملكة السماء، ما لم تصبح مثل الأطفال الصغار».

وحملق كل من «كيي» و«جيردا» في عيون الآخر، وأدركا على الفور الدعاء القديم:

«ورودٌ تنمو في الوادي والطفلَ القدسيَّ نادي»

وجلسا سويًّا وقد كبرا، ولكن ما زال قلباهما قلبيْ طفلين.. وحل الصيف الجميل بدفئه.

Twitter: @alqareah

الشلن الفضي

1862

ذات يوم كان هناك شلن، صدر من دار سك النقود، كان لامعًا بشدة.. قفز عاليًا ورن رنينًا، وقال: «وافرحتاه! لقد صرت الآن حرًّا في العالم الفسيح»، وانطلق بالفعل في العالم الفيسح.

أمسكه الطفل بيده الناعمة الدافئة؛ وقبض عليه البخيل بيده الضنينة الباردة؛ وأحاله الرجل العجوز إلى عمل صالح، فكثيرًا ما أنفقه في قضاء حاجته؛ بينما دحرجه الشاب السفيه استخفافًا بقيمته.

كان الشلن مصنوعًا من الفضة، تحفُّهُ طبقة رقيقة من النحاس، وقد مرت عليه سنة كاملة في هذا العالم؛ أي في البلد الذي سُك فيه. ولكن ذات يوم بدأ ينطلق في أسفاره الخارجية؛ وكان آخر عملة وطنية في حافظة نقود سيده المسافر.. ولم يكن حامله يدرك أن الشلن ظل باقيًا في حوزته، دون أن يدري حتى عثر عليه بمحض الصدفة.

وقال: «يا للعجب! لقد بقي معي من العملات الوطنية هذا الشلن، حسن! سوف يقضي الرحلة معي».

وقعقع الشلن، وهو يقفز مرحًا، عندما قذف به الرجل، وهو يعيده إلى حافظة نقوده؛ لأنه بهذا يرقد بين رفاقه من العملات الغريبة الأخرى، التي

Twitter: @alqareah

دخلت الحافظة وخرجت منها لتفسح المجال لعملات تالية؛ ولكن الشلن الوطني ظل باقيًا في الحافظة؛ الأمر الذي جعله متميزًا فيها.

ومضت عدة أسابيع، ولا يزال الشلن مسافرًا بعيدًا في العالم، دون أن يعرف بالضبط موقعه، رغم أنه علم من العملات الأخرى أنها كانت فرنسية وإيطالية.. قالت إحدى العملات إنها كانت في مدينة كذا ومدينة كذا، وقالت أخرى إنها وصلت إلى بقعة كذا وبقعة كذا؛ ولكن الشلن لم يستطع أن يتوصل إلى أية فكرة من كل هذا.. فمن يدفن رأسه في حقيبة لا يرى شيئًا، وكذلك كانت حالة الشلن. ولكن ذات يوم، بينما كان قابعًا في الحافظة، لاحظ أن الحافظة لم تكن مغلقة، ولهذا زحف إلى الفتحة ليطل منها على ما حوله. وما كان ينبغي له أن يفعل هذا، ولكن الفُضول دفعه إلى ذلك، وكثير من الناس يدفع ثمن ذلك.. انزلق الشلن إلى جيب الساعة؛ وعندما أخرج الرجل حافظة نقوده في الليل، ظل الشلن باقيًا في الجيب، وأُودع مع الملابس في الممر.. وهناك سقط على الأرض، دون أن يراه أو يسمعه أحد.

وفي صباح اليوم التالي، أُحضرت الملابس إلى الغرفة فارتداها الرجل، واستأنف رحلته، بينما تخلَّف الشلن. ووُجد الشلن، ودخل الخدمة مرة ثانية، ودار مع ثلاث عملات أخرى.

وفكر الشلن قائلًا لنفسه: «الشيء المبهج أن يتفحص المرء ما حوله في العالم، وأن يبدأ في التعرف على القوم الغرباء والعادات الغريبة».

وهنا بدأ تاريخ الشلن، كما ذكره بنفسه.

قال الشلن: «أبعدوه عني! فهو رديء، لا فائدة منه، قيلت هذه العبارات عني.. وقد علمت أن رنيني جيد، وكذلك كانت سباكتي. ومن المؤكد أن

Twitter: @alqareah

الناس خاطئون، ولم يكونوا يقصدونني! ولكن، نعم، ربما كانوا يقصدونني.. فقد كنت مَن يقولون عنه: «إنه رديء - وليس جيدًا». وقال الرجل الذي تلقَّاني: «لابد أن أتخلص من هذا الرفيق في الظلام».. كانوا يتداولونني في الظلام، ويسيئون تداولي بالنهار. وكانت صيحاتهم عني: «رديء - ليس جيدًا، ولابد أن نسارع إلى التخلص منه».

«وارتعدت فرائصي بين أصابع كل من يتلقاني، عندما كانوا يتداولونني سرًّا بصفتي إحدى عملات البلاد».

«يالي من شلن بائس! ما فائدة مكوناتي من الفضة؟ وما قيمتي المالية؟ وما طريقة سكي، إذا نظروا إليَّ على أنني لا أساوي شيئًا؟ وفي نظر العالم لا يستحق المرء قيمة إلا بمقدار ما يختارها العالم. ومن المزعج حقا أن يضمر المرء سوءًا وأن يسلك طرقًا شريرة، بينما أنا بريء حقا، وأشعر بالامتعاض؛ لأنهم يتهمونني بأنني مذنب».

«وكلما أظهروني أرتعد خوفا من العيون التي تنظر إليَّ؛ لأنني أعلم أنهم يرفضونني ويقذفونني على المائدة وكأنني نصاب أو دجَّال. وذات مرة وقعتُ في يد إحدى النساء الفقيرات، تقاضتني لقاء عمل يوم شاق، ولم تستطع التخلص مني على الإطلاق.. فلا أحد يقبلني، وسببت قلقًا شديدًا للمرأة العجوز.. وقالت السيدة: «يتعين عليَّ أن أخدع أحد الأفراد بهذا الشلن؛ لأنني لا أستطيع بحسن النوايا أن أحتفظ بهذا الشلن المزيف؛ فالخباز الغني سوف يأخذه؛ لأنه يستطيع أن يتحمل الخسارة. ولكن في النهاية سوف أكون مخطئة إذا فعلت ذلك».. وقلت: لا بد أنني أثقل على ضمير هذه السيدة كذلك.. وهل أنا حقًّا تغيرت كثيرًا في عمري المديد؟»».

Twitter: @alqareah

«وتوجهت السيدة إلى الخباز الغني؛ ولكنه علم كذلك أي نوع من الشلنات أتى إليه، فردني بعنف إلى المرأة التي لم تتلقَّ خبزًا بدلا مني. وشعرتُ بالكآبة عندما ظننتُ أنني تسببت في محن للآخرين، بينما كنت في أيام صباي فخورًا بمعرفة قيمتي وبسلامة سباكتي في دار سك النقود. وصرت بائسا مثل أي شلن مسكين لا يقبله أحد؛ ولكن المرأة عادت بي إلى منزلها ونظرت إليَّ نظرة حميمية، بوجه طلق، وقالت: «كلَّا، لن أخدع أحدًا بك.. سوف أثقبك حتى يرى كل الناس أنك شيء مزيف. ولكن يبدو لي أنك ربما تكون شلنا محظوظا.. لسوف أثقب الشلن وأمرر خيطا في ثقبه، وأعلقه حول رقبة الابن الصغير لجارنا مجلبة للحظ».

«وهكذا ثقبتني. ومن المؤكد أن إحداث ثقب بي عمل لا يليق، ولكنَّ كثيرًا من الأعمال يصبح مقبولًا إذا صلحت النوايا.. مر الخيط من الثقب وصرتُ نوعًا من القلائد، وعُلقت حول رقبة الطفل الصغير؛ ورمقني الطفل بابتسامة عذبة، ثم قبَّلني، ونمت ليلتها على صدر الطفل البريء».

«وعندما أقبل الصباح تناولتني أم الطفل بين أصابعها، ونظرَتْ إليَّ ودارت بمخيلتها أفكار عني، واستطعتُ أن أشعر بذلك تماما، ثم أحضرَتْ مقصًّا وقطعت الخيط».

وقالت: «يالك من شلن محظوظ! وسوف نرى ذلك على الفور». ووضعتني في الخل، فتحولت إلى اللون الأخضر. وحينئذ سدَّت الثقب، وحملتني في شفق المساء إلى بائع اليانصيب، تشتري تذكرة يانصيب لعل الحظ يحالفها.

Twitter: @alqareah

«يا لبؤسي وشقائي! شعرت بوخز يلسعني وكأنني أتمزق إربا. وعلمت أنني ينبغي أن أُتهم بالزيف، وأنني سوف أُقذف بعيدا، أمام حشد من الشلنات والعملات الأخرى التي ترقد، وعليها الصور والكتابة المنقوشة على سطحها وهي فخورة بها. ولكنني تجنبت تلك الفضيحة؛ لأن الكثيرين ممن كانوا في غرفة بائع اليانصيب كانوا مشغولين بأعمال كثيرة، ونزلتُ أخشخش في الصندوق بين العملات الأخرى. أما إذا كانت التذكرة التي تلقتها السيدة في مقابلي رابحة أم لا، فلم أكن أعلم عن ذلك شيئًا؛ ولكنني علمت في الصباح الباكر من اليوم التالي أنهم استطاعوا أن يميزوني كشلن رديء؛ وأنني أوزَّع بالخداع مرة تلو الأخرى. وهذا أمر يعز على المرء تحمّله إذا كان على خلق طيب، وهو ما أعيه تمامًا».

«مضى عام ويوم.. وأنا أتجول من منزل إلى منزل ومن يد إلى أخرى، وأتلقَّى الإساءة دائما ويستنكرني الجميع، فلا أحد يثق فيَّ؛ ففقدت ثقتي بالعالم وبنفسي كذلك.. كان وقتًا ثقيلًا. وحضر ذات يوم مسافر غريب نبيل المحتد، وتلقاني بكل ارتياح على أنني عملة محلية متداولة؛ ولكنه عندما أراد أن ينفقني سمعت صيحة صاخبة: «كلا – إنه مزيف!».

راح الرجل يدقق النظر إليَّ، ثم ابتسم فجأة ابتسامة عريضة، لم أر مثل هذا التعبير المبهج، من قبل، على أي وجه نظر إليَّ، ثم قال: «تلقيته على أنه عملة صالحة.. ياللعجب! ما هذا؟ إن هو إلا شلن نزيه من عملات بلادنا، وقد ثقبوا فيه ثقبًا ويسمونه مزيفًا. والآن، هذا ظرف عجيب.. سوف أعود به إلى وطني».

Twitter: @alqareah

«توهَّجت من الفرح، وسَرَت فيَّ رعشة عندما سمعت في نفسي أنني شلن صالح نزيه؛ وأنا الآن أعود إلى وطني، حيث يعرفني الجميع ويؤكدون أنني من الفضة الخالصة وأنني صحيح السك.. وأوشكت أن أطلق ومضات الفرح العميق، ولكن إطلاق الوميض ليس من طبيعتي، بل هي من خصائص الصلب وليس الفضة».

«وتم تغليفي بورقة نظيفة بيضاء حتى لا أختلط بالعملات الأخرى.. وفي المناسبات والاحتفالات يتقابل الرفاق والمواطنون، وينظرون إليَّ، ويطيب لهم الحديث عني فيقولون إنني كنت مشوِّقًا لهم؛ ومن مظاهر الروعة أن يحيا المرء، دون أن ينطق بكلمة واحدة».

«وأخيرا عُدت إلى وطني؛ وانتهت جميع متاعبي، وعاد إليَّ الفرح؛ لأنني مصنوع من الفضة النقية وعليَّ طابع السك السليم ولا أتحمل المنغصات، على الرغم من أن بي ثقبًا مثل ثقب العملة الزائفة؛ وليس ذلك مهمًّا ما دامت مادتي ليست زائفة.. ولابد أن ينتظر المرء للنهاية، فسوف يُقيَّم بالعدل والقسطاس؛ وتلك هي عقيدتي».

وهذا ما قاله الشلن..

Twitter: @alqareah

في فناء البط

1861

قدمت البطة من البرتغال، وسميت بـ«البرتغالية»، ووضعت البيض ثم ذُبحت وقُدّمت في العشاء، وكل ما خرج من البيض من أفراخ كان يسمى بـ«البرتغالي»، وهو مسمى يعني شيئًا ما. والآن، تبقّى واحد من هذه الفصيلة كلها في فناء البط، وهو الفناء الذي تشاركه فيه الكتاكيت، ويبدي فيه الديك غطرسة لا نهائية.

قالت البطة البرتغالية: «إن ذلك الصياح العنيف يغضبني! لكنه أنيق. وهذا شيء لا ينكره أحد رغم أنه ليس ذكر البط. وينبغي أن يضبط نفسه، وضبط النفس فن.. تبدو عليه التربية الحسنة، التي تبديها العصافير المغردة التي تقف على الشجرة الاستوائية في الحديقة المجاورة. فما أبدع تغريدها! سوف أسميه «البرتغال» ؛ فإذا كان لي عصفور مغرد صغير منها فسوف أتبناه، فهو طيب ومحبوب؛ فالحب والطيبة يملآن دمي البرتغالي».

وفي اللحظة نفسها التي كانت تتكلم فيها، أتى عصفور مغرد صغير، وهبط مباشرة من على السقف.. وكانت القطة تلاحقه، ولكنه استطاع الهروب بجناحه المكسور حتى سقط في فناء البط.

Twitter: @alqareah

قالت البطة البرتغالية: «إن هذا الوغد يشبه القط؛ إذ أعرفه منذ كانت لديَّ بطات صغار، فهذا المخلوق قُدّر له أن يحيا ويمشي فوق أسطح المنازل، وأظن أن ذلك لا يحدث في البرتغال».

أشفقت البطة البرتغالية على هذا العصفور المغرد الصغير، كما أن البطات الأخريات اللاتي لم يكن برتغاليات أشفقن عليه كذلك، قلن: «يا له من كائن صغير مسكين! إننا لم نكن بأنفسنا مغنين حقًّا، ولكنّا نحمل بداخلنا لوحات للأصوات أو ما أشبه ذلك؛ فنحن نحس به، ولو لم نتحدث عنه».

ذهبت البطة البرتغالية إلى حوض الشرب ورفرفت بجناحها في الماء، حتى كادت أن تُغرق العصفور المغرد الصغير في طوفان من الرشاش، رغم أنها أحسنت القصد، وقالت: «هذا عمل صالح؛ فليحذُ الآخرون حذوه».

قال العصفور المغرد الصغير، وهو مكسور الجناح، ولكنه فهم جيدًا المقصود بهذا الطوفان من الرذاذ: «بيب، إنك لرقيقة الشعور يا سيدتي»، وأصر على ألا يزيد في الحديث.

فقالت البطة البرتغالية: «أنا لا أعير هذا الحنان شيئًا من تفكيري، ولكنني أعرف جيدًا كيف أحب جميع الرفاق من المخلوقات ما عدا القطة.. وأفعل ذلك دون أن يطلبه مني أحد، فأنا من جنس أجنبي، كما تعرفون من مشيتي وإشاراتي وثيابي ذات الريش. وديك البط مواطن مثلي، ولكنه لا تجري فيه دماء مثل دمي، ورغم ذلك لا أبدي نحوه غطرسة! فإذا فهمكم الآخرون هنا، فإني أستطيع القول بأن ذلك قد حدث بفضلي».

قالت بطة صغيرة عادية، ولكنها ذكية: «إنها مثل نبات الرجلة صعبة الهضم في حوصلة الطيور».

Twitter: @alqareah

قالت البطات الصغار: «حقًّا، فإن البطة «البرتغالية» تملك ناصية اللغة، فآراؤنا التي نقدمها مبنية على عباراتك المنمَّقة، ولكننا نشارك أيضًا في صنعها. فإذا لم نفعل شيئًا من أجلك، فسوف نظل صامتين، فكل ما تقولين يناسبنا تمامًا».

وقالت إحدى البطات الكبار: «إن صوتك لجميل، ومن بالغ سرورنا أن ندرك أن واحدة تُدخل السرور على الجميع، مثلما تفعلين أنت. وبطبيعة الحال، فأنا لا أعرف شيئًا عن ذلك؛ ولهذا سألتزم الصمت بدلًا من أن أتفوه بكلام غبي، مثلما فعل الكثيرون معك».

قالت البطة «البرتغالية»: «لا تزعجيه، فهو في حاجة إلى الراحة والرعاية.. ويا أيها العصفور المغرد الصغير، هل أرشّك مرة أخرى؟».

وتوسل لها العصفور المغرد الصغير: «آه، لا، دعيني أكون جافًّا».. بينما قالت البطة «البرتغالية»: «العلاج بالماء هو الذي يساعدني كثيرًا.. والتنوع كذلك عظيم جدًّا، والآن، سوف تأتي إلينا على الفور الدجاجات المجاورة للزيارة، ومنها دجاجتان صينيتان، وهما تحظيان بتربية رفيعة المستوى، وهما مستورَدتان، الأمر الذي يرفع من شأنهما في نظري».

وحضرت الدجاجات وحضر الديك معها، وكان مهذبًا اليوم ولم يكن وقحًا؛ إذ قال: «إنك لعصفور مغرد حقًّا، وبصوتك الصغير تستطيع أن تفعل ما يفعل مثل هذا الصوت الصغير، ولكنك تحتاج إلى شيء أكثر قوة لكي يستمع الآخرون إليه ؛ ذلك الشيء هو عنصر من جنس الذكور».

جلست الدجاجتان الصينيتان، وقد غمرتهما السعادة عند رؤية العصفور المغرد.. وبدا ريشه منكوشًا على إثر الطوفان، الذي تلقاه حتى ظنت

Twitter: @alqareah

الدجاجتان أنه يشبه الكتكوت الصيني، وقالتا: «إنه جميل» ثم جلستا بجواره، وهمستا إليه، وكانت مخارج حروفهما تظهر صينية تمامًا، وقالتا للعصفور: «الآن، نحن ننتمي إلى فصيلتك؛ فالبط - بما فيه البطة «البرتغالية» - ينتمي إلى فصيلة الطيور ذات الأقدام التي تشبه بيت العنكبوت، وأنت لم تعرفنا بعد، رغم أن الكثيرين يعرفوننا ويتجشمون الصعاب في ذلك، ولا أحد- حتى من فصيلة الدجاج- يعرف أننا خُلقنا لنجلس في مكان أعلى من أماكن الآخرين.

وعلى أية حال، لا يهمنا إلا أن نعيش بين الآخرين، حتى الذين يختلفون عنا في المبادئ. ولا ننظر إلا إلى الجودة ولا نتحدث إلا حديثًا طيبًا، على الرغم من أنه يصعب أن تجد أحدًا يعيش بالصفات نفسها، ولكن لن تجد أحدًا موهوبًا في حظيرة الدجاج سوانا نحن الاثنين والديك. ولا تستطيع أن تقول هذا عن سكان فناء البط. ونحن نحذرك يا أيها العصفور المغرد الصغير.. من أن تصدّق تلك البطة الصغيرة ذات الذيل القصير لأنها غادرة؛ فهي تحب الجدال، ولا تسمح لأحد بأن يقول الكلمة الختامية، وتلك البطة السمينة تحب الغيبة والنميمة عن كل شيء، وهو أمر يخالف طبيعتنا، فإذا لم تقل شيئًا طيبًا، فعليك الالتزام بالصمت. والبطة «البرتغالية» هي الوحيدة التي تحظى بتربية طيبة؛ بحيث تستحق الصداقة، ولكنها عاطفية وتتحدث كثيرًا عن البرتغال».

وقالت بطتان: «ما هذا الهمس الطويل الذي تهمسه الدجاجتان الصينيتان؟ فهما تضايقانني، ولم يسبق لنا الحديث معهما».

وحضر ذكر البط، وظن أن العصفور المغرد عصفور منزلي، وقال: «حسنًا، ليس هناك فرق، فهو إحدى الآلات الموسيقية، فإذا اقتنيتَها فقد اقتنيتَها»، وهمست البطة «البرتغالية» له قائلة: «لا تهتم بما يقول، فهو جدير

Twitter: @alqareah

بالاحترام في الأعمال الحرة التي هي كل شيء.. أما الآن فأنا ذاهبة للرقاد كي أستريح، فقد آليت على نفسي أن أكون لطيفة وسمينة، حتى يحين الوقت لكي أطعَّم بالتفاح والبرقوق».

ورقدت البطة تحت أشعة الشمس الساطعة، وهي تنظر بعين واحدة، حتى نامت بعمق. ونقر العصفور المغرد الصغير جناحه المكسور بمنقاره، ورقد بجوار حاميته البطة «البرتغالية»، وأرسلت إليه الشمس دفأها، فارتاح لذلك، وطاب له البقاء في هذا المكان.

واستمرت الدجاجات المجاورة في الصرير، والحقيقة أنها لم تأتِ إلى هنا إلا بحثًا عن الطعام. وغادرت الدجاجتان الصينيتان أولًا، ثم تَبعتهما بقية الدجاجات. وقالت البطة الفصيحة عن البطة «البرتغالية»: «إن العجوزة سوف تدخل حالًا في دَور حضَّانة البط». وحينئذ صاحت البطات الأخريات بامتعاض: «حضَّانة البط! يا لكِ من داهية لا مثيل لك».

رقد الجميع برهة، وفجأة ألقيت إليهم في فناء البط فضلات الطعام؛ فانتفض الجميع من نومهم ورفرفوا بأجنحتهم، ونهضت البطة «البرتغالية» كذلك متعجلة، وكادت تسحق العصفور المغرد الصغير حتى الموت.

وقال العصفور المغرد: «بيب، لقد دَعَسْتِني بشدة يا سيدتي».

فقالت له: «ولماذا ترقد في طريقي؟ يجب ألا تكون رقيق الإحساس هكذا».

فقال العصفور المغرد الصغير: «لا تغضبي، فقد انطلقت الشكوى بيب من منقاري رغمًا عني».

Twitter: @alqareah

ولم تُعِرْ البطة «البرتغالية» ذلك أي اهتمام، بل طارت إلى فضلات الطعام وحصلت على وجبة شهية.. وعندما فرغت من طعامها رقدت، وجاءها العصفور المغرد الصغير متلطفًا يغني:

«أتيتُ الآنَ بصوتي الرفيعْ
وقلبي يعيدُ نشيدي البديعْ
لأني أغــردُ في كــلِّ حِـينْ
ويرنو جناحي إلى الـمُبْعَدِينَ».

فقالت له البطة «البرتغالية»: «أنا الآن ذاهبة للراحة بعد الغداء، وعليكَ أن تعرف حرمات البيوت؛ لأنني سوف أنام».

لقد أصابت الدهشة ذلك العصفور المغرد الصغير؛ إذ إن نيته كانت صافية.. وعندما استيقظت البطة «البرتغالية»، وقف أمامها ومعه حبة ذرة صغيرة، كان قد وجدها، فوضعها أمامها، ولم تكن نامت بعمق، فاستيقظت غاضبة، وقالت له: «يمكنك أن تعطيها إلى أحد الكتاكيت، ولا تقف معلَّقًا أمامي هكذا».

فقال لها: «ولكنك غاضبة مني، فماذا جنيتُ؟».

قالت البطة «البرتغالية»: «قُضِيَ الأمر، فهذا التعبير ليس من أرق العبارات، وسوف أبلغك بذلك».

فقال العصفور المغرد الصغير: «بالأمس كانت الشمس هنا ساطعة، لكنَّ الجو اليوم معتم وملبد بالغيوم، وأنا في غاية الأسف».

فأجابته البطة «البرتغالية»: «من المؤكد أنك تجهل مقياس الزمن؛ فاليوم لم ينتهِ بعد؛ ولهذا لا تقف هناك وتتظاهر بالغباء».

Twitter: @alqareah

قال العصفور: «إنك تنظرين إليَّ بغضب، بالعينين الشريرتين نفسيهما، اللتين نظرتا إليَّ عندما سقطتُ هنا في الفناء».

قالت البطة البرتغالية: «طَيْش وهراء، هل تقارنني بالقطة، تلك الحيوانة المتوحشة المفترسة؟ لقد راعيتك، وسوف أعلمك أصول السلوكيات!».

وحينئذ ضربت العصفور المغرد الصغير على رأسه فأردته قتيلًا.

قالت البطة «البرتغالية» مندهشةً: «الآن، ما هذا؟ ألم يقدر أن يتحملها؟ حسنًا، من المؤكد أنه لم يُخلقْ للعيش في هذا العالم. لقد كنت مثل أم له، وأنا أعرف أن لي قلبًا طيبًا».

رفع الديك المجاور رأسه في الحظيرة وصاح بقوة، كأن صياحه صفير القاطرة.

فقالت البطة «البرتغالية»: «صياحك هذا أذان بموت أحد الأشخاص. إنها لخطيئتك، فقد فَقَدَ رأسه، وسوف أفقد أنا رأسي كذلك».

فقال الديك: «لم يكن يشغل فراغًا عندما يرقد».

فردت البطة «البرتغالية» محتدةً: «تكلم عنه باحترام، فقد كان مهذبًا ومغردًا وحسن التربية، وطيب القلب، وهو شيء محبوب في الحيوانات وما يقال له الجنس البشري».

تجمَّع البط حول جسد العصفور المغرد الصغير. ولدى البط مشاعر قوية، سواء أكانت بالحقد أم بالرحمة، وبما أنه لا شيء هنا يثير الحقد، فهم لهذا رحماء، وكذلك الحال في الدجاجتين الصينيتين.

Twitter: @alqareah

قالت الدجاجتان الصينيتان: «هذا العصفور المغرد الصغير لا يعوَّض، وكأنه كان صينيًّا!»، وبكت الدجاجتان وقرقرت كل الدجاجات، ولكن البطات ذهبت وقد احمرت عيونها.

قالت البطات: «لا ينكر أحد أن لنا قلوبًا رحيمة».

قالت البطة «البرتغالية»: «قلوب! نعم، لنا قلوب مثل قلوب البرتغاليين».

فقال ذكر البط: «دعونا الآن نَرَ إذا كان هناك شيء في جسد العصفور المغرد، فهذا شيء مهم للغاية. فإذا انقطع أحد الأحبال الصوتية من إحدى الآلات الموسيقية، فربما وجدنا فيه البديل».

Twitter: @alqareah

جرس الكنيسة القديم
1861

في أرض «فورتنبيرج»[1] بألمانيا؛ حيث تُزهر أشجار السنط على جنبات الطريق الرئيس، وتنوء أشجار التفاح والكمثرى بحملها من الفواكه الناضجة، توجد مدينة «مارباخ» الصغيرة. ورغم أن هذا المكان يندرج تحت مسمى المدن الصغيرة، فإنها تقع على جدول نهر «نيكار»، الذي يتدفق سريعا ويمر بالقرى والقلاع القديمة ومزارع الكروم الخضراء؛ حتى يصب ماءه في نهر «الراين» الشامخ[2].

وفي أواخر الخريف، لا تزال أوراق الكروم معلقة بأغصانها، وقد اكتسبت لونًا أحمر.. واجتاحت البلاد زخات من الأمطار، وزادت رياح الخريف الباردة من عنفها وضراوتها، ولم يكن هذا الوقت مبهجًا للفقراء.

وصارت الأيام قصيرة تميل إلى الظلام؛ فإذا خيَّم الظلام في الفضاء، اشتدَّ في البيوت الصغيرة القديمة. بُني أحد هذه البيوت بجمالون يميل نحو الشارع، ويقف بنوافذه الصغيرة متواضعًا وفقيرًا في مظهره، وتسكنه

---

(1) فورتنبيرج: ولاية سابقة في جنوب غربي ألمانيا؛ وهي الآن جزء من ولاية بادن فورتنبيرج [ويبستر - المترجم].

(2) نهر الراين: نهر يقع غربي أوروبا، وينبع من شرقي سويسرا، ويتجه شمالا إلى ألمانيا، ثم غربا إلى هولندا حتى يصب في بحر الشمال [ويبستر - المترجم].

Twitter: @alqareah

أسرة فقيرة كذلك، ولكنها كادحة وثرية بما تُكِنُّهُ قلوب أفرادها من تقوى وورع.. دعوا الله أن يهديهم طفلًا آخر، حتى أتت الساعة التي رقدت فيها الأم في ألم وأسى. ومن برج الكنيسة المقابلة، دوَّى صوت الجرس بصوت رخيم عميق.. كانت ساعة مباركة؛ إذ ملأت ترانيم الناقوس الثري قلب المرأة الخاشعة بالرضا والإيمان؛ وصعدت أمانيها من أعماق قلبها إلى بارئها؛ وفي الساعة ذاتها وضعت طفلًا. وغمرها السرور العميق، وبدا لها أن أنغام الناقوس في البرج المقابل تنشر نبأ سعادتها على المدينة والريف المجاور.. ونظرت عيون الطفل الصافية إليها، ولمع شعره كضفائر الذهب.. كانت دقات ناقوس الكنيسة تُبَشِّر العالم بميلاد الطفل الصغير في يوم من أيام نوفمبر المعتمة. وقبَّل الأب والأم طفليهما، وكتبا في إنجيلهما: «في اليوم العاشر من شهر نوفمبر 1759، رزقنا الله بمولود»؛ وسرعان ما أضافا إلى هذه العبارة أن الطفل تم تعميده تحت اسم: «يوحنا كريستوف فريدريش».

ماذا كان مصير الرفيق الصغير، الطفل الفقير في مدينة «مارباخ» الجميلة؟ آه، لم يكن أحد يعرف في ذلك الوقت ماذا سوف يحدث له، حتى ناقوس الكنيسة القديم الذي عزف، وهو معلَّق عاليًا في برجه، يوم مولد هذا الطفل، الذي تغنَّى بذاته بالأنشودة الجميلة: «أنشودة الناقوس».

كبر الولد وكبر معه الزمن، وانتقل والداه إلى مدينة أخرى، مخلِّفين وراءهما مجموعة من الأصدقاء والصديقات الحميمين في مدينة «مارباخ». وذات يوم، زارت الأم وولدُها مدينة «مارباخ».. كان الصبي قد بلغ من العمر ست سنوات، ولكنه كان يحصل على كثير من المعرفة من الكتاب المقدس، ومجموعة من الترانيم المقدسة.. وكثيرًا ما كان يجلس في المساء

Twitter: @alqareah

على مقعده الصغير، يستمع إلى والده، وهو يقرأ بصوت مسموع من كتاب «حكايات جيلبرت».

وفي وقت زيارته الأولى لمدينة «مارباخ» الصغيرة، لم تكن المدينة تشهد تغيرًا كبيرًا؛ والحقيقة أنهم لم يغادروها منذ زمن بعيد.. فالمنازل تقف كما كانت يوم أن غادرتها الأسرة، بجمالوناتها المدببة، وجدرانها البارزة، وطوابقها العليا المقامة على طوابقها السفلى؛ ولكن مقابر جديدة بنيت في ساحة المقابر بالكنيسة؛ وهناك بجوار الحائط يرقد الناقوس القديم، فقد سقط من موضعه، وحدثت به خسائر، تجعله لا يستطيع الدق بعدئذ؛ وبناء على ذلك حل ناقوس جديد محله.

ذهبت الأم وولدها إلى ساحة المدافن في الكنيسة، ووقفا حيث يوجد الناقوس القديم، وأبلغت الأم ولدها كيف ظل هذا الناقوس العظيم الفائدة يدق عدة قرون؛ إيذانا بالتعميد والزفاف ومراسم الدفن، وكيف كان يتحدث لينبئ عن الأعياد والمناسبات السعيدة مرات، ثم ينذر بالحرائق مرات أخرى، وكيف كان يتغنى حقًّا بحياة الإنسان بأسرها. ولم ينسَ الولد ما ذكرته الأم له في ذلك اليوم.. دوَّت أصداؤها وترجيعاتها في فؤاده على فترات، حتى بلغ سن الرجولة فكان يتغنى بها. وأبلغت الأم طفلها كذلك أن هذا الناقوس كان يتغنى بإيمانها ورضاها في أوقات محنتها، وأنه غنَّى لها عند مولده.. حملق الولد، بشعور من الإيمان والولاء، نحو هذا الناقوس الكبير القديم، ومال عليه وقبَّله، وهو يقبع في مكانه صدئًا ومكسورًا، تحيط به الحشائش العالية والنباتات الشائكة.

تذكَّر الولد الناقوس القديم بالذكر الحسن؛ بعد أن بلغ سن النضج، وكان فقيرًا طويل القامة نحيل الجسم، ذا شعر يميل إلى الاحمرار، وفي وجهه

Twitter: @alqareah

نمش؛ وكانت عيناه صافيتين غائرتين مثل المياه العميقة.. نعم، كان هذا هو مظهره. وماذا كان مصيره؟ ياللعجب! لقد كان سعيد الحظ بشكل يُحسد عليه.. نراه وقد استقبلته المدرسة الحربية بكرم ضيافة، حتى في القسم الذي يتعلم فيه أبناء رجال المجتمع المرموقين؛ فهل كان ذلك تشريفًا وحظًّا سعيدًا بما فيه الكفاية؟ لقد علموه مصطلحات القيادة العسكرية: «قف.. سِر.. تقدم..» وفي هذا النظام يمكن توقُّع الكثير.

في ذلك الوقت، كاد جرس الكنيسة القديم أن يُنسى تماما.. وكان من المفروض أن يجد الناقوس طريقه إلى الفرن؛ وماذا يكون مصيره حينئذ؟ كان من المستحيل أن نقول أو نتنبأ بالأصوات التي تصدر من الناقوس، الذي ظل صداه يدوي في قلب الشاب المولود في «مارباخ»؛ ولكن ذلك الناقوس كان مصنوعًا من البرونز، وظل يدوي بصوت عالٍ، أسمع العالم الفسيح من حوله؛ وكلما ضاقت المسافات بين جدران المدرسة، وكلما خرست الأصوات الكئيبة: «سر.. قف.. تقدم..»، زاد رنين الصوت في صدر الشاب؛ وتغنى بما شعر به في دائرة زملائه، وسمع الصوت خارج حدود الإمارة. ولم يكن قبوله في المدرسة الحربية وإعاشته وملابسه نتيجة لذلك.. ألم يكن محسوبًا أن يكون ترسًا في نظام الساعة الكبير، الذي ننتمي إليه جميعا كأجزاء في هذه الآلة العملية؟ كيف لا ندرك أنفسنا على حقيقتها؟ وكيف يستطيع الآخرون حينئذ، ولو كانوا أفضل الرجال، أن يفهمونا؟ ولكن الضغط هو الذي يشكِّل الأحجار الكريمة. كان هناك ضغط بما فيه الكفاية، ولكن هل يستطيع العالم يومًا ما أن يتعرف هذه الجوهرة ؟

في عاصمة أمير البلاد، أقيم مهرجان كبير، أضاءته آلاف الشموع والمصابيح، وأطلقت صواريخ الألعاب النارية إلى السماء. ولا تزال ذكرى

Twitter: @alqareah

هذا اليوم المجيد تعيش في ذاكرة الناس، ولكنها تعيش كذلك في وجدان الطالب الشاب في المدرسة الحربية، الذي حاول آسفًا بالدمع الغزير أن يهرب، دون أن يراه أحد من هذا البلد! كان مضطرًا إلى أن يغادر الجميع.. الأم والوطن والأحباب، لولا أنه استطاع أن يروِّض نفسه على الغطس في هذا الفيض من النسيان بين رفاقه.

كان الناقوس القديم يتمتع بحالة أفضل من حالته؛ لأن هذا الجرس سيبقى آمنًا مطمئنًا بين جدران ساحة الكنيسة، ويكاد يدخل في طي النسيان.. تصفِّر الرياح من فوقه، وتكاد تقص رواية طريفة عمَّن أبلغ صوتُ الناقوس عن ميلاده، وعمن تهب الريح الباردة عليه في الغابة القريبة من الريف، وعن أولئك الذين تسللوا بعيدا؛ ليمتعوا أنفسهم بلعبة القوارير الخشبية، بينما كانت مسرحيته تُقرأ: لقد استطاعت الريح أن تبلغ عن الهارب اللاجئ الشاحب، الذي جلس أسابيع وشهورًا حزينة في الحانة الحقيرة؛ حيث يشرب ويتشاجر مع صاحب الحانة، ويدور المرح الصاخب، عندما كان يغني للمثاليات.. يالها من أيامٍ ثقيلة ومظلمة! ولابد أن يقاسي القلب ويتحمل معاناة محاولات الغناء.

مرت على الجرس القديم كذلك أيام حالكة وليالٍ باردة، لم يشعر بها الإطار الحديدي، ولكن الجرس في قلب الإنسان تأثر بالأوقات الحالكة المظلمة. فكيف ارتحل الشاب؟ وكيف ارتحل الجرس القديم؟ لقد حُمل الجرس بعيدًا، أبعد من مدى الصوت الذي يدوي من أعلى البرج، الذي كان معلقًا به ذات يوم. والشاب؟ دوَّى الجرس في قلبه أبعد مما ترى عيناه، وأبعد مما تستطيع قدماه أن تسعيا.. ذلك هو الصوت، الذي يدوي فوق

Twitter: @alqareah

المحيط وحول الأرض بأسرها.. ولكن دعنا أولًا نتحدث عن جرس برج الكنيسة.. لقد حُمل بعيدًا عن «مارباخ»، وبيع خردةً كمعدن قديم، وأُرسل إلى مسبك تسييل المعادن في «باڤاريا»[1]، ولكن متى وكيف حدث ذلك؟ في عاصمة «باڤاريا»، بعد سقوط الجرس من البرج بعدة أعوام، دار حديث عن تسييل الجرس؛ لاستخدامه وأبراج الكنيسة في مدينة «شتوتجارت» الألمانية؛ ودقت الأجراس فرحًا بالاحتفال، ولكن جرسًا واحدًا ظل صامتًا؛ ولكنه لمع في شكل آخر في ضوء الشمس الساطعة.. لمع من الرأس والصدر لتمثال الشرف.. وفي ذلك اليوم، مضت مائة سنة على يوم أن دق الجرس في «مارباخ» وتغنى بالراحة والسلام للأم، التي عانت من حمل وميلاد ولدها في الكوخ المتواضع الفقير، ذلك الولد الذي صار فيما بعد ثريًّا، أثرت ثروته العالم.. هو الشاعر الذي تغنى بفضائل الأم النبيلة، وغنى لكل ما هو عظيم ورائع.. «يوحنا كريستوف فريدريش شيللر»[2].

(1) باڤاريا: ولاية في جنوب غربي ألمانيا.. كانت جمهورية من 1918 حتى 1933، وكانت من قبل دولة، ثم مملكة، وعاصمتها ميونيخ [ويبستر - المترجم].

(2) جوهان كريستوف فريدريش شيللر، (1759 - 1805)، شاعر وكاتب مسرحي ألماني [ويبستر - المترجم].

Twitter: @alqareah

القـدّاحة
1853

أقبل الجندي سيرًا على الأقـدام في الطريق العام: واحد.. اثنين.. شمال.. يمين.. وكان يحمل حقيبة الميدان على ظهره والسيف في جانبه، قادمًا من ميدان القتال، متجهًا إلى منزله. وفي الطريق قابل ساحرة مشعوذة عجوزًا، وكانت دميمة ومخيفة.

قالت له: «مساء الخير، أيها الجندي.. يا للعجب! ما أجمل السيف الذي تحمله! وما أكبر حقيبتك الميدانية التي تحملها! يا لك من جندي شجاع! والآن، أتنبأ لك بأن تمتلك مالًا وفيرًا كيفما تشاء».

فقال لها الجندي: «شكرًا لك أيتها الساحرة المشعوذة»، فقالت له الساحرة وقد أشارت إلى شجرة بجوارهما: «هل ترى هذه الشجرة الضخمة؟ إنها مجوفة من الداخل.. وعليك أن تتسلقها حتى تصل إلى ذروتها، وحينئذٍ سوف ترى ثقبًا تنزلق خلاله حتى تصل إلى أسفلها من الداخل، وسأربطك من وسطك بحبل، أرفعك به عندما تطلب مني ذلك».

وسألها الجندي: «وماذا أفعل أسفلَ هذه الشجرة من الداخل؟».

فأجابت الساحرة: «سوف تُحضِر أموالًا! فعندما تصل إلى قاع الشجرة ستجد أمامك بهوًا واسعًا، مضاء بأكثر من مائة مصباح.. وهناك تشاهد ثلاثة

Twitter: @alqareah

أبواب، بها مفاتيحها، عليك أن تفتحها. فإذا دخلتَ الغرفة الأولى، شاهدتَ صندوقًا كبيرًا في وسطها، يجلس عليه كلب ذو عينين في حجم فنجان الشاي، وعليك ألا تُعيره أي انتباه. خذ مئزري الأزرق لتنشره على الأرض، ثم تقدَّم بسرعة لتحضر الكلب وتضعه على مئزري، وافتح الصندوق، وخذ منه ما تشاء من عملات معدنية، جميعها من النحاس الأحمر. وإذا أردت أن تحصل على عملات فضية، اذهب إلى الغرفة التالية، ففيها صندوق يجلس فوقه كلب ذو عينين في حجم تروس الطاحونة! وما عليك إلا أن تتجاهله، وأن تضعه فوق مئزري، وأن تفتح الصندوق وتأخذ ما تشاء من العملات. أما إذا أردت العملات الذهبية، فيمكنك أن تحصل على ما تشاء إذا دخلت الغرفة الثالثة، ولكن الكلب الذي يقبع فوق الصندوق المملوء بالنقود له عينان في حجم البرج المستدير، وهذا كلب حقيقي، ولكنني أبلغك ألا تعيره انتباهك.. ضعه فوق مئزري، حتى لا يؤذيك، وخذ ما تيسر لك من عملات ذهبية من الصندوق.

وقال الجندي: «لا بأس في ذلك، ولكني أسألك عما تريدينني أن أحضر إليك؛ فأنا أتوقع أن تطلبي شيئًا كذلك».

فأجابت الساحرة بالنفي، وقالت: «أنا لا أطلب حتى شلنًا واحدًا. وكل ما أطلب هو صندوق معدني قديم به قدَّاحة، نَسِيَتْهُ جدَّتي في آخر زيارة لها لذلك المكان».

وقال الجندي: «حسنًا! ضعي الحبل حول وسطي»، فأجابت الساحرة: «هاك هو، وذلك هو مئزري الأزرق كذلك، خذه معك!».

Twitter: @alqareah

وحينئذٍ تسلق الجندي الشجرة وأسقط نفسه في الثقب، حتى وصل إلى البهو الكبير، الذي أبلغته به الساحرة؛ فوجده مضاءً بأكثر من مائة مصباح.

وعندما فتح الباب الأول صاح مذعورًا: «يا للهول!» فهناك يجلس الكلب ذو العينين اللتين تشبهان فنجان الشاي، فحملق في وجهه، وقال له الجندي: «يا لك من رفيق جميل!». ووضع الكلب على مئزر الساحرة وملأ جيوبه بالشلنات البرونزية، ثم أغلق الصندوق ووضع الكلب فوقه كما كان، وذهب إلى الغرفة الثانية، وصاح صيحة تعجب، فقد شاهد فيها الكلب ذا العينين الكبيرتين في حجم تروس الطاحونة.

قال له الجندي: «لا تنظر إليَّ بهذه النظرات الحادة، حتى لا تؤذي عينيك!» ثم أخذ الكلب ووضعه فوق مئزر الساحرة، ولكنه عندما شاهد العملات الفضية في الصندوق تخلص من جميع العملات البرونزية، وملأ جيوبه وحقيبته بالعملات الفضية فقط. وبعدها، ذهب إلى الغرفة الثالثة، وتملكه العجب، فكم كانت مرعبة، فالكلب فيها ذو عينين كبيرتين في حجم البرج المستدير، تدوران في حدقتيهما كالتروس الضخمة.

فقال له الجندي: «سعدتَ مساء» ورفع يده بالتحية؛ لأنه لم يشاهد كلبًا في مثل حجمه من قبل، ثم رفع الكلب ووضعه على المئزر، وفتح الصندوق، وقال: «حسنًا، إني لمحظوظ وحق السماء!». وما أكثر ما شاهد من عملات ذهبية.. وظن أنه يستطيع بها أن يشتري العالم بأكمله.. نعم، كان هذا المال وفيرًا حقًا. وعندئذٍ ألقى بكل ما في جيوبه وحقيبته من العملات الفضية، واستبدل بها عملات ذهبية، فامتلأت جيوبه وحقيبته وقبعته وحذاؤه حتى تعذر عليه السير بها، فهو الآن يمتلك مالًا وفيرًا، ووضع الكلب فوق الصندوق وأغلق الباب، وصاح خلال الشجرة: «ارفعيني أيتها الساحرة العجوز!».

Twitter: @alqareah

قالت له الساحرة: «هل أحضرتَ القداحة؟» فقال الجندي: «هذا صحيح.. لقد نسيتها تمامًا»، وحينئذٍ ذهب وأحضرها، وجذبته الساحرة حتى وقف أمامها على الطريق الرئيسي، وقد امتلأت جيوبه وحقيبته وقبعته وحذاؤه بالمال.

فسألها الجندي: «لماذا تريدين هذه القداحة؟» فأجابته الساحرة: «لا شأن لك بذلك، يا للعجب! لقد حصلتَ على ما تبتغي من المال، وما عليك إلا أن تعطيني القداحة».

فقال الجندي: «هذا هراء، أخبريني على الفور لماذا تريدين هذا الصندوق، وإلا سحبت سيفي وقطعت رقبتك!» فأجابت الساحرة: «لا».

وحينئذٍ قطع الجندي رقبتها، وطوى المئزر على كل ما به من نقود وحمله كالكيس على ظهره، ووضع القداحة في جيبه، وتوجه مباشرة إلى المدينة.

كانت مدينة رائعة، نزل في أفخم فنادقها، وطلب أفضل غرف فيه، وتناول أطيب الأطعمة التي يحبها؛ ذلك لأنه الآن غني ولديه مال وفير.

وعندما أعطى حذاءه القديم لماسح الأحذية، شكَّ الرجل في الأمر.. إنه لشيء عجيب أن يكون صاحب هذا الحذاء هو ذلك الرجل الثري؛ ذلك لأنه لم يكن اشترى حذاء جديدا بعد! وفي اليوم التالي اشترى الجندي حذاء جديدًا وملابس أنيقة، حتى صار وجيهًا، فأبلغه الناس من حوله بكل تفاصيل المدينة، كما أخبروه بأن الملك له ابنة أميرة جميلة.

وسأل الجندي: «أين يمكنني أن أراها؟».

فأجاب الناس: «لا يمكن رؤيتها على الإطلاق؛ لأنها تعيش في قصر من النحاس تحيط به الجدران والأبراج، ولا يُسمح لأي فرد بالدخول أو الخروج

Twitter: @alqareah

سوى الملك؛ لأن العرَّافين قالوا إنها سوف تتزوج جنديًّا عاديًّا، الأمر الذي يرفضه الملك تمامًا».

وحدَّثته نفسه قائلة: «أتمنى أن أراها، ولكن هذا يبدو مستحيلًا!».

والآن.. عاش الجندي حياة المرح والسعادة، دخل المسرح، ودخل المنتزه الملكي، وأغدق الكثير من المال على الفقراء عن طيب خاطر، وتذكر جيدًا تلك الأيام الخوالي حين كان مفلسًا، أما الآن فهو غني يرتدي أفخر الثياب، وصار له أصدقاء كثيرون، كانوا يمتدحون رفقته ويصفونه بأنه فارس مجيد، ولكنه كان لا يعبأ بهذا المديح. ونظرًا إلى أنه أنفق كل يوم مالًا وفيرًا دون تعويض، فقد صار في النهاية لا يملك أكثر من شلنين، واضطر إلى مغادرة الغرف الفاخرة والعيش في غرفة صغيرة فوق سطح أحد المنازل، وتفرق عنه الأصدقاء الذين ينهكهم صعود الدرج؛ لكي يصلوا إليه في غرفته.

وفي إحدى الأمسيات حالكة الظلمة، لم يستطع أن يشتري شمعة، ولكنه تذكر أن الصندوق المعدني ذا القداحة يحتوي على عُقب شمعة، ذلك الصندوق الذي حصل عليه من تجويف الشجرة؛ حين ساعدته الساحرة على الحصول عليه. ولكنه عندما أخذ الصندوق وأخرج منه عُقب الشمعة، أراد أن يشعل الشمعة بالقداحة ذات الزناد، وبمجرد انطلاق الشرارة الأولى من القداحة.. انفتح باب الصندوق، وخرج منه الكلب ذو العينين اللتين تشبهان قدح الشاي، وهو الكلب نفسه الذي رآه في الغرفة الأولى تحت الشجرة. ووقف الكلب أمامه، وقال: «ماذا تريد مني يا سيدي أن أفعل؟».

صاح الجندي مندهشًا: «ما هذا؟ يا للعجب! ما أعجب هذا الصندوق الذي يلبي لي كل مطالبي! أيها الكلب آتني بعضًا من المال». ونبح الكلب وانطلق، ثم نبح وعاد، وفي فمه حقيبة مليئة بالعملات المعدنية.

Twitter: @alqareah

وحينئذٍ أدرك الجندي قدر هذا الصندوق المعدني الرائع، فإذا دق زناد القداحة دقة واحدة أتى إليه الكلب الذي كان جالسًا فوق صندوق مليء بالعملات البرونزية؛ وإذا دق الزناد دقتين أتى إليه الكلب الذي كان جالسًا فوق صندوق مليء بالعملات الفضية؛ وإذا دق الزناد ثلاث دقات أتى إليه الكلب الذي كان جالسًا فوق الصندوق المليء بالعملات الذهبية. وبناء على ذلك انتقل الجندي إلى العيش في الغرف الفاخرة مرة ثانية، وارتدى الثياب الفخمة، وعاد إليه أصدقاؤه من جديد، وكانوا معجبين به أيما إعجاب.

قال الجندي لنفسه ذات يوم: «أليس من العبث حقًّا ألا يُسمح لأحد بأن يرى الأميرة؟ ويقول الناس إنها من المفروض أن تكون جميلة جدًّا، ولكن ما الفائدة من جلوسها دائمًا داخل القصر النحاسي ذي الأبراج؟ ألا يمكنني على أقل تقدير أن أراها؟ والآن، أين صندوقي المعدني ذو القداحة؟»، وحين دَقَّ زناد القداحة دقة واحدة، سمع نباحًا، ووقف أمامه الكلب ذو العينين الشبيهتين بقدح الشاي، فقال له الجندي: «أعلم أننا الآن في منتصف الليل، ولكنني أريد أن أرى الأميرة، ولو لمدة وجيزة».

وخرج الكلب على الفور، وما هي إلا لحظة كلمح البصر حتى عاد الكلب يحمل الأميرة على ظهره.. جلسَتْ على متن الكلب وهي نائمة، وكانت رائعة الجمال، لا يشك كل من يراها في أنها أميرة. ولم يستطع الجندي أن يقاوم مشاعره نحوها، فقبَّلها وهو الجندي الأصيل.

وانطلق الكلب عائدًا بالأميرة إلى حيث كانت. وفي الصباح، كان الملك والملكة يتناولان الشاي، فقالت لهما الأميرة إنها رأت في المنام حلمًا غريبًا في الليلة الماضية عن كلب وجندي؛ إذ كانت تمتطي الكلب، بينما كان الجندي يقبِّلها.. فقالت الملكة: «إنها لقصة رائعة حقًّا!».

Twitter: @alqareah

والآن عيَّنت الملكة وصيفة عجوزًا لتراقب الأميرة وتقف بجوار سريرها في الليلة القادمة؛ لتتبين حقيقة الأمر إذا كان حلمًا أو غير ذلك.

وتطلع الجندي لرؤية الأميرة الجميلة مرة ثانية، فأقبل الكلب ليلًا وأخذ الأميرة وانطلق بها بأسرع ما يمكن، ولكن الوصيفة العجوز التي تراقب الأميرة خلعت نعلها وانطلقت وراءهما بالسرعة نفسها، ورأتهما يختفيان داخل بيت كبير، فرسمت بالطباشير صليبًا كبيرًا على الباب.

ثم عادت إلى المنزل لتنام، حين عاد الكلب ومعه الأميرة. وعندما رأى الكلب رسْمَ الصليب على الباب تناول قطعة من الطباشير ورسم صلبانًا على جميع الأبواب في المدينة، حتى يضلل الوصيفة عن الباب الذي دخل فيه الكلب حاملًا الأميرة.

وفي صباح اليوم التالي، حضر الملك والملكة والوصيفة العجوز وجميع العاملين في القصر ليحددوا أين كانت الأميرة؟

قال الملك عندما رأى الصليب مرسومًا على الباب الأول: «هنا!».

فصاحت الملكة عندما رأت الصليب مرسومًا على الباب الثاني: «كلا يا زوجي العزيز، بل هنا».

وصاح الجميع: «بل هنالك، بل هنالك آخر».

فأينما نظروا وجدوا صليبًا على كل باب.. وخاب مسعاهم في البحث عن الباب الصحيح.

كانت الملكة عاقلة جدًّا؛ إذ كانت تعرف أشياء كثيرة، ولم تكن مجرد ملكة تركب العربة الملكية. فأخذت مقصها الذهبي، وقصت قطعة كبيرة من الحرير وصنعت حقيبة صغيرة جميلة، وملأتها بحبات القمح وربطتها على

Twitter: @alqareah

ظهر الأميرة، ثم ثقبت الحقيبة من أسفلها ثقبًا صغيرًا يسمح بتساقط حبات القمح على طول الطريق الذي تمر به الأميرة.

وفي تلك الليلة أتى الكلب ثانية، وحمل الأميرة على متنه، وتوجه بها إلى الجندي الذي هام بحبها، وتمنى من كل قلبه أن يتزوجها ويصبح أميرًا.

ولم ينتبه الكلب إلى حبات القمح التي تتساقط من ثقب الحقيبة على طول الطريق من القصر حتى نافذة الجندي، حيث قفز من فوق الجدار إلى الجندي حاملًا الأميرة. وفي الصباح علم الملك والملكة أين كانت ابنتهما، وأخذا الجندي على الفور ووضعاه في السجن، حيث جلس يتألم: آه! ما أشد وحشة السجن! وما أقسى ظلامه! وفي الصباح أبلغاه بأنه سوف يُشنق في الغد.. كان هذا الخبر أسوأ ما سمعه؛ خاصة وأنه نسي الصندوق المعدني ذا القداحة في الفندق!

في الصباح، رأى الجندي من خلال القضبان الحديدية، التي تؤمّن النافذة الصغيرة، الناس يتزاحمون في المدينة ليشاهدوه وهو يُشْنَق، وسَمِعَ الطبول تدق والجنود يسيرون في الطابور، والناس يتدافعون، فرأى منهم صبيَّ صانع الأحذية، وقد لبس مريلة من الجلد ونعلًا، وهو يهرول حتى انخلع أحد نعليه وطار ليستقر بجوار الجدار، الذي يوجد فيه الجندي الذي ينظر إلى الناس من بين القضبان الحديدية المركَّبة في النافذة.

صاح الجندي قائلًا له: «تعال إليَّ يا صبيَّ صانع الأحذية، فليس في الأمر عجلة، ولن يحدث شيء حتى أصل إلى موقع المشنقة. فإذا ذهبتَ إلى مسكني وأحضرت لي الصندوق المعدني ذا القداحة فسوف أمنحك أربعة شلنات، وما عليك إلا أن تسرع في إحضاره».

Twitter: @alqareah

فرح الصبي بفرصة حصوله على الشلنات الأربعة، وانطلق سريعًا حتى أتى للجندي بالصندوق المعدني ذي القداحة، وحينئذ سمع صوتًا ينادي:

«أقيمت مشنقة كبيرة خارج المدينة، يقف حولها الجنود ومئات الآلاف من الناس، وجلس الملك والملكة فوق عرش جميل، يعلو منصة القاضي وهيئة المحكمة، وقد صعد الجندي على السلم؛ ولكن بينما كانوا يضعون عروة المشنقة حول عنقه، قال: «آه، إن المذنب دائمًا يُمنح الفرصة لتحقيق إحدى أمنياته البريئة قبل أن يتلقى جزاءه، وإنه يطلب أن يُدخن غليونًا من الطباق. وبعد ذلك، سوف يكون آخر غليون يدخنه في حياته».

ولم يستطع الملك أن يرفض هذا الطلب، وهكذا أخذ الجندي الصندوق المعدني ذا القداحة، ودق زناد القداحة مرة ثم مرتين ثم ثلاثًا، وحينئذ وقفت أمامه الكلاب الثلاثة: الأول ذو العينين الكبيرتين مثل قدح الشاي، والثاني ذو العينين الكبيرتين في حجم حجر الطاحونة، والثالث ذو العينين الكبيرتين مثل البرج المستدير.

صاح فيهم الجندي: «هيًا أنقذوني من المشنقة!».. وحينئذ انطلقت الكلاب إلى القاضي وهيئة المحكمة مباشرة، وسحبوا واحدًا منهم من رجليه والثاني من أنفه، وقذفوهما بضعة أميال إلى أعلى في الهواء حتى سقطوا على الأرض وتمزقت أجسادهم إربًا.

صاح الملك: «أنا لا أريد»؛ ولكن الكلب الأكبر أخذ كلًّا من الملك والملكة وقذف بهما خلف الجمع الحاشد، وقذف في قلوب الجنود الرعب، وصاح الناس: «أيها الملك الجندي الصغير، سوف تصبح لنا ملكًا، وسوف تتزوج الأميرة الجميلة».

Twitter: @alqareah

وحينئذ وضعوا الجندي في مركبة الملك، ورقصت أمامه الكلاب الثلاثة، وصاحوا: «مرحبًا!» وصفَّر الأولاد بأصابعهم، وقدَّم الجنود أسلحتهم.. وخرجت الأميرة من القصر النحاسي، وتُوِّجَت ملكة وغمرها الفرح. واستمر حفل الزفاف ثمانية أيام، وجلست الكلاب الثلاثة إلى المائدة، وعيونهم مفتوحة تراقب كل ما يدور حولهم.

Twitter: @alqareah

حديقة الفردوس
1838

يُحكى أن أميرًا كان يمتلك كتبًا جميلة لم يكن لدى أحد مثلها. وكان قادرًا على القراءة عن كل ما يدور في هذا العالم، ولكنه لم يكن يعرف شيئًا عن حديقة الفردوس، التي كانت تشغل كل تفكيره.

وعندما كان صغيرًا في بدء مراحله الدراسية أخبرته جدته أن كل زهرة في حديقة الفردوس تمثل أحلى كعكة، وأن كل رحيق يمثل أشهى العصائر؛ فعلى إحدى الزهور كُتبت كلمة «التاريخ» وعلى الأخرى كُتبت «الجغرافيا» أو «جداول الأعمال». وعليك أن تأكل الكعكة وتفهم الدروس. والحقيقة أنك كلما أكلت زادت معرفتك بالتاريخ أو الجغرافيا أو «جداول الأعمال».

وصدَّق الأمير كل ما قيل له، ولكنه عندما كبر وتعلَّم أكثر صار أكثر تعقلًا، وفهم جيدًا أن هناك مباهج متنوعة في حديقة الفردوس.. وكان يتساءل: «آه، لماذا قَطَفَت حواء ثمرة من شجرة المعرفة؟ ولماذا شاركها آدم في الثمرة المحرَّمة؟ ولو كنتُ في مكان آدم لما فعلت ذلك.. يجب ألا تدخل الخطيئة هذا العالم». ولا يزال يسأل نفسه هذه الأسئلة حتى بلغ السابعة عشرة، ولا تزال حديقة الفردوس تملأ فكره.

Twitter: @alqareah

وذات يوم دخل الغابة وحيدًا كما كان يحلو له.. وأظلمت الدنيا وتلبدت السماء بالغيوم، وهطلت الأمطار، وخيَّم الظلام ليلًا، وكان على الأمير أن يتخطى كتلًا ضخمة من الأحجار التي ينضح الماء من مستنقعها العميق. وكاد أن يسقط عندما سمع صوتًا غريبًا يندفع نحوه، ووجد أمامه كهفًا مضاءً إضاءة ساطعة. وفي وسط الكهف رأى نارًا كبيرة تكفي لشيّ وَعْل كبير، وهو ما حدث بالفعل. وكانت هناك امرأة عجوز، طويلة القامة، ذات صوت أجش كأنها رجل متخَفٍّ، تجلس بجوار النار، وتلقي فيها قطع الخشب قطعة وراء قطعة.

قالت العجوز للأمير: «اقترب مني أو اجلس أمام النار حتى تجف ملابسك».

فقال الأمير، وهو يجلس على الأرض: «هنا تيار رهيب» وأجابت المرأة العجوز: «سوف يشتد التيار كثيرًا عندما يعود أبنائي إلى منزلهم؛ فأنت في كهف الرياح، وأبنائي هم الرياح الأربعة في هذا العالم. هل فهمت ذلك؟».

فسألها الأمير: «وأين هم أبناؤك؟».

فقالت المرأة: «ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال الغبي، فأبنائي كلٌّ في سبيله، فهم يلعبون الكرة مع السحب عاليًا في هذه الردهة». وأشارت إلى الهواء، وقال الأمير: «آه، هل الأمر هكذا؟ وبهذه المناسبة أنت تتحدثين بجفاء، ولا تتحدثين بالرقة التي أعهدها في عالم النساء».

فقالت: «حسنًا، لستُ كما تظن، فليس لديهن شيء يفعلنه، أما أنا فأُوصَف بالجفاء، الذي أعامل به أولادي من أجل السيطرة عليهم، وأستطيع أن أكون كذلك حتى لو اتصفوا بالعناد.. هل ترى هذه الحقائب الأربع المعلقة على الحائط؟ هم يخشونها؛ لأنني أستطيع أن أطوي أولادي في قبضتي، ثم

Twitter: @alqareah

أضعهم في هذه الحقائب، كما تعلم، دون اعتراض منهم؛ فهم يجلسون هناك، لا يستطيعون الخروج والتسكع إلا بناء على مشورتي.. وقد أتى أحدهم».

دخل ريح الشمال برعدته الجليدية فوثبت قطع البرَد الكبيرة على الأرض، ودارت شقفات الثلج حول نفسها، وكانت ثيابه سروالاً ومعطفًا من جلد الدب، وغطى رأسه حتى أذنيه بغطاء من جلد عجل البحر، وقد تدلت من لحيته كتل جليدية طويلة، وتناثرت من ياقة معطفه قطع من البرَد.

وقال له الأمير: «لا تذهب إلى النار مباشرة، وإلا أصابتك قُروح من البرْد في وجهك ويديك».

فضحك ريح الشمال ضحكة مدوية ساخرة وقال: «قروح من البرْد! قروح من البرْد! يا للعجب! هذا ما أمتّع به نفسي.. فأي نوع من الشباب الضعيف أنتَ؟! وكيف أتيت إلى كهف الرياح؟».

فأجابت الأم العجوز: «إنه ضيفي، فإذا لم يعجبك هذا فلتدخل حقيبتك».

وهكذا، قصَّ ريح الشمال من أين أتى، وماذا فعل خلال شهر كامل، فقال: «أتيتُ من المحيط المتجمد الشمالي، وكنت في جزيرة «بيرينج» مع صيادي الفقم الروسي.. وجلستُ ونمتُ أمام الدفة عندما يبحرون عن القطب الشمالي. وبين حين وآخر عندما كنت أستيقظ لفترات وجيزة، كان طائر النوء البحري طويل الجناحين يطير حول رجليَّ؛ إذ يخفق بجناحيه سريعًا، ثم يبسطهما دون حركة، فينطلق بسرعة عالية».

قالت أم الرياح: «لا تتمدد كثيرًا حتى تَصِل إلى جزيرة بيرينج».

Twitter: @alqareah

فأجاب ريح الشمال: «إنها لجميلة! فسطحها مسطح كالطبق ويتسع للرقص، وبها جليد نصف ذائب وأحجار حادة بها هياكل عظمية لحيوانات الفقم والدببة القطبية. ورحت أهبُّ قليلًا فوق الضباب لأرى الكوخ بلمح البصر، فكان منزلًا مبنيًّا من حطام السفن، ومغطًّى بجلود الحيوانات البحرية. وكان يجلس فوق سطحه دبٌّ قطبي حي يزأر، فذهبت إلى الشاطئ لأرى أعشاش الطيور، وأرى الفراخ العارية من الريش، وهي تصرخ وتفتح مناقيرها. ومن تحتي، كانت الحيوانات البحرية تتعثر وتتلوى كأحشاء الكائنات الحية أو اليرقات العملاقة ذات الرؤوس.

قالت الأم: «يا بنيَّ، لقد أجَدْتَ في الحكي، فجعلتَ الماء يسيل من فمي وأنا أنصت إليك».

ثم استأنف ريح الشمال الحديث: «.. وحينئذ بدأ القنص، وانطلقت حربة الصيد إلى صدر حيوان الفقم البحري، فانفجرت نافورة من الدم الحار على الجليد. وفكرت في دوري، فبدأت أهبُّ وأجعل سفني السابحة، وهي جبال الجليد الشامخة كالصخور، تسحق الزوارق. ويا للعجب! فكم تباكى الرجال وكم صرخوا، واضطروا إلى تفريغ حمولتهم من جثث الحيتان والصناديق، وألقوا بحبالهم فوق الجليد، متجهين إلى الجنوب في زوارقهم؛ ليذوقوا طعم الماء المالح؛ ولهذا فلن يعودوا مرة ثانية إلى جزيرة بيرينج».

قالت أم الرياح: «لقد ساء ما صنعتَ».

فأجاب ريح الشمال: «سيقول لك إخوتي الآخرون ما قدَّمتُ من خير. فهذا أخي القادم من الغرب، وهو أحب إخوتي إليَّ، فهو يتلمظ من جو البحر ويأتي معه برعدة سماوية».

سأل الأمير: «هل هذا هو الريح الغريب المسمى زفيروس؟».

Twitter: @alqareah

فأجابت المرأة العجوز: «نعم، هو زفيروس، ولكنه ليس صغيرًا على أية حال، وكان فيما مضى فتى رشيقًا، ولكن ذلك مضى».

بدا «زفيروس» كرجل متوحش، ولكنه يضع على رأسه قبعة طفل حتى لا يؤذي نفسه، وفي يده نبُّوت من خشب الماهوجني».

سألته الأم: «من أين أتَيْتَ؟».

وأجاب ريح الغرب: «من متاهة الغابة، حيث تَصنع النباتات المتسلقة سورًا حول كل شجرة، وحيث ترقد في الحشائش، ويبدو الجنس البشري بلا قيمة».

فقالت الأم: «وماذا فعلتَ هناك؟».

أجاب «زفيروس»: «كنتُ أنظر إلى النهر العميق، كيف تساقط من فوق الصخور وتحوَّل إلى رذاذ، ثم طار في الهواء ليحمل قوس قزح. وكنت أشاهد الجاموس الوحشي وهو يسبح في النهر، بجوار سرب من الإوز البري، الذي طار في الهواء حيث فاض الماء على حافة النهر.. وأنا أحب هذا المشهد، ولهذا أحدثتُ عاصفة، اقتلعَتْ الأشجار القديمة، التي طفتْ على سطح الماء حتى تهشمت وتحولت إلى رقائق».

وسألت الأم العجوز: «ألم تفعل شيئًا آخر؟».

قال الريح الغربي: «لقد دُرتُ في الهواء دورات بهلوانية في السهول الاستوائية متفرقة الأشجار، كما رَبَتُّ على ظهر الحصان الوحشي وهززت أشجار جوز الهند. آه! كم لديَّ من قصص أحكيها لك، ولكن لا ينبغي أن أحكي كل شيء أعرفه؛ لأنك تعرفين كل ذلك يا أيتها المرأة العريقة».

Twitter: @alqareah

والآن، أتى ريح الجنوب يرتدي رداءً له بُرنُس، وقد وضع على رأسه عمامة.. وقال: «إن الجو شديد البرودة هنا، ومن المفهوم أن يكون ريح الشمال قد سَبقنا إلى هنا» وألقى بقطعة من الخشب في النار.

فقال ريح الشمال: «إن الطقس هنا حار جدًّا لدرجة تكفي لشيّ الدب القطبي».

فقال ريح الجنوب: «أنتَ ذاتك دب قطبي!».

فقالت له الأم العجوز: «أتريد أن تدخل في حقيبتك؟ اجلس فوق هذا الحجر وقصّ علينا أين كنتَ».

أجابها قائلًا: «في أفريقيا يا أمـاه.. كنت أصيد الأسـود مع قبائل «الهوتنتوت» في سهول شِعب الكافير في جنوبي أفريقيا. يا للهول! ما أشد نمو الحشائش! كان «النُّو» ذلك الظبي الأفريقي يرقص، بينما كانت النعامة تتسابق معي، ولكنني كنت أسرع منها. وذهبت إلى الصحراء ذات الرمال الذهبية التي تشبه قاع البحر. وهناك قابلت قافلة، تذبح آخر جمل لترتوي من مائه، ولكنها لم تحصل إلا على ماء قليل، وسطعت الشمس بتوهج، والرمال تشوي من تحتها. ورحت أمرح بإثارة دوامة هوائية دوَّارة بالرمل الناعم على هيئة عامود طويل، ويا لها من دوامة راقصة.. كان عليَّ أن أشاهد كيف يقف الجمل العربي مكتئبًا، وكيف يلف التاجر إزارًا حول رأسه، ويتمدد أمامي، ويقف الأهرام شاهدًا عليهم جميعًا. وذات يوم كنت أهبُّ بينما كانت الشمس تبيّض عظامهم؛ ليدرك السياح المسافرون أن هذا المكان كان مأهولًا بالسكان منذ زمن، وإلا لما استطعتَ أن تعرف أنها الصحراء».

Twitter: @alqareah

وقالت الأم: «وحينئذ آذيتَ الناس. ادخل في حقيبتك». ثم وضعت ريح الجنوب في حقيبته التي تدحرجت على الأرض، فجلست عليها الأم ثم نامت.

قال الأمير: «أستطيع أن أقول إن لديكِ أولادًا يتمتعون بالحيوية».

ردَّت الأم: «نعم، ولكنني أعرف كيف أتعامل معهم.. هذا هو الرابع».

كان ذلك هو الريح الشرقي، الذي يرتدي زيًّا صينيًّا.

قالت الأم: «.. وهكذا، أتيت من هذا الاتجاه، ظننتك قادمًا من حديقة الفردوس».

فأجابها الريح الشرقي: «لم أَطِرْ هناك حتى الصباح، وغدًا تمر مائة عام على مروري هناك، أما الآن فإنني قادم من الصين، حيث رقصتُ فوق الأبراج المزخرفة بالقيشاني فدوَّت كل الأجراس. وفي الشوارع كان كل الموظفين الرسميين يساقون وعلى أكتافهم عصيٌّ من الخيزران، وهم يصيحون: «شكرًا جزيلًا يا فاعل الخير الأبوي». وهم لا يقصدون شيئًا بهذا، فقمت بدق الأجراس، وإنشاد نشيد: تسينج تسانج تسو».

قالت الأم: «إنك لمتوحش، ومن أطيب الأمور أن تذهب غدًا إلى حديقة الفردوس؛ لتشرب كثيرًا من ينبوع الحكمة، ولتأتني بقارورة صغيرة منه».

فأجاب الريح الشرقي: «سمعًا وطاعة يا أماه، ولكن لماذا وضعتِ شقيقي ريح الجنوب في الحقيبة؟ فلتخرجيه، فسوف يقص عليَّ نبأ العنقاء؛ لأن الأميرة في حديقة الفردوس تريد دائمًا أن تسمع عن هذا الطائر، كلما أزورها كل مائة عام. فلتفتحي الحقيبة يا أماه، وسوف أهدي إليك كيسين من الشاي: الطازج والأخضر، كما قطفتهما من مزارعهما». فقالت الأم:

Twitter: @alqareah

«حسنًا، من أجل الشاي، ومن أجلك سوف أفتح الحقيبة». وقد فعلتْ، فخرج ريح الجنوب يزحف مكتئبًا تمامًا؛ لأن الأمير الغريب رآه.

قال ريح الجنوب: «هاك سعفة من سعف النخيل لتعطيها إلى الأميرة، لقد منحتني إياها العنقاء العجوز الوحيدة في هذا العالم، وقد خطَّت عليها بمنقارها قصة حياتها كاملة، المائة عام التي تعيشها، لكي تقرأها الأميرة بنفسها. لقد رأيت العنقاء وهي تشعل النار بنفسها في عشها، وتجلس عليه وتحترق كما تحترق أرملة الهندوسي. يا للعجب! كيف تطقطق الأغصان الجافة؟ وكيف تنتهي في اللهب وتصبح العنقاء العجوز رمادًا؟ ولكن بيضتها ترقد في النار، وتتشقق بانفجار مدوٍّ حتى يخرج منها فرخ العنقاء الصغير، الذي يصبح حاكمًا لكل طيور العالم، وهو العنقاء الوحيد في الكون، وقد ثقب بمنقاره ثقبًا في سعفة النخيل تحية للأميرة».

قالت أم الرياح: «ماذا لو جلسنا لتناول الطعام؟».. وجلس الجميع حول الوعل المشوي، وجلس الأمير إلى جانب الريح الشرقي حتى صارا صديقين حميمين.

قال الأمير: «اسمع، خبِّرني مَنْ هي هذه الأميرة التي طال الحديث عنها؟ وأين هي حديقة الفردوس؟».

قال ريح الشرق: «هُو! هُو! إذا أردتَ أن تذهب إلى هناك، تعالَ معي غدًا، ولكن دعني أَقُلْ لك إن أحدًا من البشر لم يذهب إليها، منذ عصر آدم وحواء، وأستطيع أن أبلغك أنك تعرف هذا من كتابك المقدس».

فقال الأمير: «نعم، هذا طبيعي».

Twitter: @alqareah

وقال الريح: «بعد أن طُرد آدم وحواء من حديقة الفردوس، غاصت الحديقة في الأرض، ولكنها أبقت على أشعة شمسها الدافئة ونسيمها الرقيق. وسكنت فيها ملكة الحوريات، وهناك توجد جزيرة النعيم، حيث لا يدخلها الموت، فهي مكان مبهج.. اجلس على متني غدًا لأصطحبك معي، ولكنك الآن يجب أن تكف عن الكلام، لأنني أريد أن أنام».

وذهب الجميع إلى النوم.

استيقظ الأمير في الصباح الباكر، وظل مشدوهًا ليجد نفسه عاليًا فوق السحب؛ إذ كان جالسًا على متن الريح الشرقي، الذي أمسك به وأحاطه من الجهات الأربع. ولما ارتفعا عاليًا في السماء، ظهرت الغابات والحقول والأنهار والبحيرات، كأنها خريطة هائلة مجسمة.

قال الريح الشرقي: «أنعم صباحًا، فقد نمتَ بما فيه الكفاية، وليس تحتنا الآن شيء تطل عليه بناظريك في هذه البقعة إلا الكنائس، التي تقف بارزة كما تبرز نتوءات الطباشير فوق لوحة خضراء من تحتنا»، وظهرت الحقول والمروج خضراء، فأطلق عليها «اللوحة الخضراء».

قال الأمير: «كان من سوء تصرفي ألا أودّع أمك وإخوتك الرياح الأخرى».

فقال الريح الشرقي: «نلتمس العذر لمن كان نائمًا»، ثم طارا بسرعة عالية. ويخيل إليك أن تيجان الأشجار في الغابات تتدافع من دونهما، وأن جميع الأوراق والأغصان تخشخش، وأن البحار والبحيرات تتدفق، وأن الأمواج تجري بسرعة، وأن السفن الضخمة تنحني باحترام في الماء كأنها بجع عائم.

Twitter: @alqareah

فإذا اقترب المساء وأظلمت الدنيا، ظهرت المدن الكبرى تتلألأ في بهجة بأضوائها الساطعة هنا وهناك، مثلما يحرق شخص ما قطعةً من الورق، ويرى آلافًا من الشرر الدقيق، تنبعث منها كالأطفال الذين ينصرفون من مدارسهم، وصفَّق الأمير، ولكن الريح الشرقي لا يزال يحلق أسهل منه. ويمتطي الفارس القوقازي حصانه ويجري فوق السهول الواسعة، ولكن الأمير كان يمتطي الريح ويسري فوق الأراضي والبحار بطريقة أخرى.

يقول ريح الشرق: «أنت الآن ترى جبال الهيمالايا. وهي أعلى جبال آسيا. وسوف تقترب من جنة الفردوس»، ثم انحرفَا في اتجاه الجنوب، حيث يشمَّان روائح العطارة والزهور، وتنمو أشجار التين والرمان وكروم العنب البرية ذات الألوان الزرقاء والحمراء، ثم هبطا وتمددا فوق الحشائش الرقيقة؛ حيث مالت الزهور تحيِّي الريح، وكأنها تريد أن تقول له: «مرحبًا بعودتك».

وسأل الأمير: «هل وصلنا الآن إلى جنة الفردوس؟».

فأجاب الريح الشرقي: «كلا، لم يَأْنِ بعد، ولكننا سرعان ما نأتي إليها.. هل ترى ذلك الحائط المحوري هناك، والكهف الصناعي الكبير الذي تتدلى حوله كرمات العنب، كأنها ستارة خضراء كبيرة؟ سوف نأتي إلى هناك. دثِّر نفسكَ بعباءتك، فالشمس حارة هنا، ولكن بعد بضع خطوات ستصير باردة كالثلج؛ فالطائر الذي يندفع بخفة أمام هذا الكهف الكبير، يطير بجناح في حرارة الصيف، بينما الجناح الآخر يعاني من برد الشتاء».

سأل الأمير: «وعلى ذلك.. فهل هذا هو الطريق إلى حديقة الفردوس؟».

دخلا الآن الكهف الكبير.. ويا للهول! كم هو بارد كالثلج! ولكن هذا لم يدم طويلًا؛ إذ بسط ريح الشرق جناحه، فسطع مثل النار اللامعة.

Twitter: @alqareah

ويا للعجب! كم كان هذا الكهف غريبًا! إذ تتدلى منه كتل حجرية ضخمة يتقاطر منها الماء في مناظر غاية في الإبهار. وكان الكهف الآن ضيِّقًا حتى زحفا على أيديهما وأرجلهما، ثم صار الآن مرتفعًا وفسيحًا، فسارا كما لو كانا في الخارج.. وكان الكهف يبدو كأنه معبد جنائزي، صامت الأرغن مشلول الأعلام.

قال الأمير: «أستطيع القول بأننا ذاهبان في طريق الموت إلى حديقة الفردوس». ولكن الريح الشرقي لم يحر جوابًا، بل أشار إلى الأمام فأضاءت لهما أضواء زرقاء جميلة. وأصبحت كتل الأحجار المعلقة فوق رأسيهما لامعة كسحابة بيضاء، في ضوء القمر. وهما الآن ينعمان بأرق النسمات المحبوبة، منعشةً كما لو كانت بين الجبال، وطيبة الرائحة كما لو كانت في وادي الورود.

وتدفق هنالك نهر.. كان رائقًا كالهواء، وبه أسماك فضية وذهبية، وكانت ثعابين السمك تقذف، في كل استدارة لها، ومضاتٍ زرقاء وهي تمرح في الماء، بينما تعكس أوراق الياسمين العريضة ألوانًا كأنها أطياف قوس قزح.

كانت الزهرة ذات لون أحمر مائل إلى الصفرة في اللهب المحترق، تغذيها المياه كما يغذي الزيتُ المصباحَ المشتعل. وهناك جسر هائل من الرخام، كأنه شريط مزخرف بحبات الزجاج، يمتد فوق الماء إلى جزيرة النعيم، حيث تزهو حديقة الفردوس.

أمسك الريح الشرقي الأمير من ذراعيه وحمله عبر الماء.. وهناك راحت الزهور وأوراق الأشجار تغني له أجمل أغنيات طفولته بنغمات، تبعث البهجة أكثر من أي صوت بشري.

Twitter: @alqareah

فهل كانت الأشجار نخيلًا أم نباتات مائية تنمو هناك؟ لم يكن الأمير قد رأى مثل هذا الزخم الهائل من الأشجار المورقة من قبل. وهناك عُلِّقت في أكاليل طويلة ضفائر مجدولة جيدًا من أشجار العنب، مثلما نرى من جدائل مضفَّرة، مذهَّبة وملوَّنة على هوامش كتب القديسين القديمة، أو من خيوط مجدولة في أوراق الرسائل المعطرة. وكانت هناك أعجب مجموعة من الطيور والزهور والزخارف.. وتقف فوق الحشائش القريبة أسراب من الطواويس، التي تنشر أذيالها ذات الألوان، المماثلة لألوان قوس قزح. وبطبيعة الحال كان ذلك هو الواقع، ولكن عندما لمسها الأمير، تبين أنها ليست حيوانات، بل نباتات حُمَّاضيّة ضخمة، تشبه ذيل الطاووس الجميل. وتقفز الأسود والنمور - مثل القطط الأليفة - فوق الأسيجة الخضراء، ذات الروائح التي تماثل رائحة أزهار الزيتون، ويخفق الحمام البري اللامع كاللآلئ الجميلة بأجنحته حول الأسد، كما يقف الظبي الأليف يومئ برأسه، كما لو كان يريد المشاركة في العرض.

أقبلت الآن حورية الفردوس تلمع ثيابها كالشمس، ووجهها لطيف كوجه أمٍّ حنون، تهدهد طفلها بسعادة ومرح، وهي شابة جميلة، تلتف حولها حاشية من حوريات جميلات، تحمل كل منها نجمة ساطعة في شعرها.

أعطاها الريح الشرقي سعفة النخيل المنقوشة هدية من العنقاء، فلمعت عيناها بالفرح. وأخذت الأمير من يده، وقادته إلى القصر ذي الألوان، التي تشبه تُوَيْجات زهرة التيوليب الرائعة عندما تواجه الشمس، وكان سقفه كذلك زهرة كبيرة لامعة، كلما أمعنتَ فيها النظر، بدا لك عمق كأسها الخارجي.

Twitter: @alqareah

نظر الأمير من خلال النافذة، فرأى شجرة المعرفة والحيَّة، بينما وقف بالقرب منهما كل من آدم وحواء. فسأل الحورية: «ألم يُطْردا من الفردوس؟» فابتسمت الحورية، وشرحت له أن الزمن طبع على كل زجاج النوافذ صورة، فيها حياة؛ إذ تتحرك الأوراق فوق الأشجار، ويتحرك الناس في غُدُوّهم ورواحهم كما لو كانوا صورًا تنعكس، ثم نظر خلال زجاج نافذة آخر، فرأى حلم يعقوب بسُلَّمه الصاعد إلى السماء مباشرة، والملائكة تخفق بأجنحتها إلى أعلى وإلى أسفل.. نعم، كانت تتحرك عبر زجاج النافذة كل أحداث العالم الحية؛ فالزمن وحده يمكنه أن يقدِّم هذه الصور المرئية.

وتبسمت الحورية وقادت الأمير إلى قاعة عالية فسيحة، تبدو حوائطها ذات رسومات شفافة. وهناك ملايين من وجوه البشر التي تبتسم وتغني، حتى امتزجت في لحن واحد. وما كان منها يَتَسَنَّم القمة كان دقيقًا حتى يبدو أدق من أصغر برعم في الوردة، وهو الذي يُرسم كنقطة على الورق. وفي وسط الردهة، تقف شجرة شامخة ذات أغصان نامية مدلاة، وتتدلى التفاحات الذهبية، مثل ثمار البرتقال بين أوراق الأشجار الخضراء.. تلك هي شجرة المعرفة، التي شارك آدمُ حواءَ في قطف ثمارها. وتتساقط من كل ورقة فيها قطرات حمراء لامعة من الندى، كأن الشجرة تبكي وتذرف دموعًا من الدم.

قالت الحورية: «دعنا الآن نركب الزورق، حيث نستمتع بالانتعاش على صفحة الماء متلاطم الأمواج. وتأرجح الزورق ولكنه لم يتزحزح عن موقعه؛ فكل أراضي العالم سوف تمر أمام أعيننا». وكان من العجيب أن يرى كيف يتحرك الساحل بأسره، فهذه هي جبال الألب الشاهقة ذات القمم

Twitter: @alqareah

الجليدية، تحفها السحب وتكسوها أشجار التنُّوب الداكنة. ونُفِخَ في الصور فانبعث منه صوت عميق حزين، بينما يتغنى الراعي بأعلى صوته في الوادي.. تدلت أغصان أشجار الموز على الزورق، وعامت البجعات السوداء الفاحمة على صفحة الماء، وظهرت على الشاطئ أعجب أنواع الحيوانات والزهور.. كانت تلك هي هولندا الجديدة، القارة الخامسة، التي كانت تنزلق أمامهما فتعرض عليهما الجبال الزرقاء، وهناك تسمع ترانيم الكهان، وترى الرجال المتوحشين، يرقصون على إيقاع الطبول وأنغام المزامير المصنوعة من العظم.. وترتفع أهرامات مصر شاهقةً تناطح السحاب، وتبحر أمامهم صفوف من تماثيل أبو الهول المقلوبة المدفونة حتى منتصفها. ولمعت نجمة الشفق في القطب الشمالي فوق مجلدات الشمال، وقدمت عرضًا للألعاب النارية لا يُبارى. واستمتع الأمير بالنعيم، والحق يقال إنه رأى عجائب، أكثر مما ذكرنا هنا مئات المرات.

سأل الأمير الحورية: «هل أستطيع أن أعيش دائمًا هنا؟».

فأجابته الحورية: «هذا يتوقف على قرارك أنت، فإن لم ترغب مثل آدم في السماح لنفسك بالإغراء بارتكاب المحرَّمات، فيمكنك البقاء هنا على الدوام».

وقال الأمير: «أنا لن أمسَّ تفاحات شجرة المعرفة؛ لأن هنا آلافًا من الثمار الأخرى الشهية مثلها».

وقالت الحورية: «اختبر ذاتك، فإن لم تكن قويًّا بالقدر الكافي، فلتعد مع ريح الشرق الذي أحضرك إلى هنا، فهو مستعد الآن للعودة إلى حيث أتت، ولن تعود إلى هنا قبل مرور مائة عام. والزمن في هذا المكان يمر عليك كأنه مائة ساعة، وهو وقت طويل يكفي للإغراء وارتكاب الخطايا. وفي كل مساء

Twitter: @alqareah

أتركك فيه، سأناديك: «اتبعني!» وأشير لك بيدي، ولكنك يجب أن تبقى في مكانك لا تبرحه، فلا تصَاحبني، ففي كل خطوة تخطوها سيزداد اشتياقك، وتدخل البهو الذي تنمو فيه شجرة المعرفة، التي أنام تحت أغصانها المتهدلة ذات الرائحة الزكية. وسوف تميل عليَّ، فأبتسم لك، فإذا قبَّلت شفتيَّ فسوف يغوص الفردوس في الأرض، وتفقد كل شيء، وسوف يعضك ريح الصحراء الذي يصفِّر حولك، ويتساقط من شعرك مطر بارد، ويصبح البلاء والمحن من نصيبك».

فقال الأمير: «سأبقى هنا». وقبَّل الريح الشرقي جبهته، وقال له: «كن شجاعًا، وسوف نلتقي هنا ثانية بعد مائة عام.. وداعًا وداعًا». وبسط الريح الشرقي جناحيه القويين فلمعا كبرق حار في الصيف، أو كأضواء ريح الشمال البارد في الشتاء.. وتردد صدى الوداع بين الزهور والأشجار، وطارت طيور اللقلق والبطريق في صفوف، كأنها البواخر الخفاقة، وصاحبته إلى حدود حديقة الفردوس.

قالت الحورية: «الآن يبدأ رقصنا.. وفي النهاية عندما أرقص معك، ستراني أشير إليك، عندما تغرب الشمس وتسمعني أناديك: «اتبعني!»، لكن لا تفعل ما آمرك به، فبعد كل مائة عام سأكرر ذلك في كل مساء، وفي كل مرة تمضي هذه الساعة ستزداد قوتك، وفي النهاية لن تفكر في هذا الأمر ثانية. وهذا المساء هو أول هذه الأوقات.. وقد حذرتك الآن».

قادته الحورية إلى بهو فسيح ذي زهور بيضاء شفافة، وكان كل كأس أصفر من هذه الزهور عودًا دقيقًا من الذهب، تنبعث من أوتاره الأنغام تصاحبها أنغام الناي. وحلَّقت أجمل الحوريات، اللاتي يرتدين ملابس

Twitter: @alqareah

متموجة شفافة، تكشف عن أطرافهن الجميلة، ويتغنين بجمال الحياة، وكيف أنهن خالدات إلى الأبد، وكيف تُزهر حديقة الفردوس أبد الدهر.

فإذا مالت الشمس إلى الغروب، تحولت السماء إلى لون الذهب، الذي يصبغ الأقاحي بلون الورود الجميلة. وشرب الأمير عصيرًا متلألئًا قدَّمته له الحوريات الجميلات، وشعر بنعيم يغمره لم يعهده من قبل.. ورأى كيف فُتح الباب الخلفي للبهو، فانبعثت من شجرة المعرفة، التي تقف هناك أشعة أعمت عينيه، وانبعث منها نشيد ناعم حنون، يشبه صوت أمه، وكأنها تهدهده وتغني له: «إني أحبك يا طفلي الحبيب».

وحينئذٍ أشارت إليه الحورية بحنان زائد: «اتبعني اتبعني!»، فاندفع نحوها وقد نسي وعده، في أول أمسية، فأشارت وابتسمت. وتضوَّع كل شيء برائحة العطر، وصدحت الموسيقى بأصوات جميلة، وبدت رؤوس الملايين الذين يتبسمون في البهو حيث تنمو الشجرة كأنها تومئ بالموافقة، وتغني: «ينبغي للمرء أن يدرك كل شيء، فالإنسان هو الخليفة في الأرض». وبدا له أن دموع الدم لم تعد تسقط من أوراق شجرة المعرفة، بل بدت كأنها نجوم تتلألأ حمراء لامعة، وترددت أصداء هائلة تقول: «اتبعني اتبعني!» وفي كل خطوة يخطوها الأمير، كانت خدوده تلتهب بالحرارة، ودمه يتدفق أسرع في عروقه، حتى قال: «لابد أن أفعل ذلك، فيا للعجب! ليست هناك خطيئة، لماذا لا نتبع الجمال والسعادة؟ سوف أشاهدها وهي نائمة، وبعد كل هذا فلن أخسر شيئًا طالما لم أقبّلها، فأنا قوي الإرادة ولن أفعل ذلك».

وأسقطت الحورية ملابسها المبهرة، ونحَّت الأغصان بعيدًا، وبعد لحظة اختبأت بداخلها.. قال الأمير: «لم أرتكب خطيئة بعد، وليس في نيتي أن

Twitter: @alqareah

أرتكبها». ثم سحب الأغصان إلى أحد الأجناب، فرآها نائمة، ويا لها من حورية جميلة لا نظير لها في حديقة الفردوس.. وتبسمت وهي تحلم، فمال عليها، ورأى الدموع تنهمر بين أهدابها.

فهمس في أذنيها: «هل تبكين من أجلي؟ لا تبكي أيتها المرأة الحبيبة، الآن فقط أدركت السعادة في الفردوس؛ فهي تتصبب في دمي وفي وجداني، فأنا أشعر بقوة الملائكة الصغار في الحياة الأبدية في أطرافي البشرية. دعي الليلة تدوم من أجلي، فلحظة مثل هذه ثروة لا تعوَّض»، وقبَّل الدموع التي تنهمر من عينيها، ولامست شفتاه شفتَيْها....

وهنا قصف الرعد بصوت أشد رعبًا، لم يألفه أحد من قبل، وسقط كل شيء، وغاصت الحورية الجميلة والفردوس المزهر في عمق سحيق.. ورآها الأمير تغطس في الليل حالك الظلمة، مثل نجم لامع دقيق، تبدد بعيدًا كالشرر، فانتشرت في أطرافه رعشة مميتة، فأغمض عينيه ورقد كالميت لفترة طويلة.

تساقط المطر البارد على وجهه، وعضه الريح، الذي هبَّ على رأسه، عندما استرد ذاكرته.. وشهق: «ماذا فعلتُ؟! لقد ارتكبتُ الخطيئة مثل آدم، أخطأتُ فغاص الفردوس في عمق سحيق». ثم فتح عينيه، ولا يزال يرى النجم بعيدًا، ذلك النجم الذي تلألأ مثل الفردوس الغاطس؛ إذ كان نجم الصباح في السماء.

واستيقظ فوجد نفسه في غابة كبيرة، بالقرب من كهف الرياح، بينما وقفت بجواره أم الرياح، وقد بدا عليها الغضب ورفعت ذراعها في الهواء، وقالت: «أتفعل هذا في أول ليلة؟! إنني أفكر في أكثر من هذا، نعم، فلو كنتَ ولدي لوضعتُكَ في هذه الحقيبة الآن».

Twitter: @alqareah

قال الموتُ وهو رجل عجوز قوي، يمسك بيده منجلًا، وله جناحان كبيران لونهما أسود: «هذا ما سوف يئول إليه، فسوف يوضع في نعش، ولكن ليس الآن، فسوف أُعَلِّمه، سأدعه يطوف بالعالم لفترة حتى يكفِّر عن خطيئته وتتحسن أحواله إلى الأفضل.. سوف آتيه يومًا من حيث لا يحتسب، فأضعه في نعش أسود، وأضعه فوق رأسي، وأطير به إلى النجم. فحديقة الفردوس تزهر هناك أيضًا، فإذا كان طيبًا ومؤمنًا فسوف يدخلها.. أما إذا كانت أفكاره شريرة، وقلبه لا يزال عامرًا بالخطيئة، فسوف يغوص بنعشه أعمق مما غاص الفردوس، وسوف أحضِره كل ألف عام مرة؛ حتى يغوص أعمق، أو يظل على ذلك النجم الذي يتلألأ عاليًا».

Twitter: @alqareah

الشـــموع

1870

ذات مرة، كانت هناك شمعة كبيرة مصنوعة من شمع النحل مزهُوَّة بنفسها. فقالت: «أنا مصنوعة من شمع النحل ومصبوبة في قالب.. وأضيء أكثر، وأحترق في زمن أطول من أية شمعة أخرى، ومكاني إما في الثريا أو في شمعدان من الفضة».

وقالت شمعة مصنوعة من دهن الحيوان: «لابد أن تكون تلك حياة مبهجة.. فأنا مجرد شمعة مصنوعة من دهن الحيوان ورفيعة البدن، ولكنني أرتاح لفكرة أنني دائمًا لا أزيد على كوني مجرد صبَّة من دهن الحيوان. فإذا كانت هي مكونة من طبقتين من الشمع، فأنا مكونة من ثماني طبقات، حتى أصل إلى سُمكي المناسب؛ ولهذا فأنا مطمئنة. ومن المؤكد أنه من الأفضل والأحسن حظًّا أن تولد الشمعة من شمع النحل وليس من دهن الحيوان، ولكن بعد هذا كله لا يَخلُق المرء نفسه في هذا العالم. فشمعة النحل توضع في الردهات في ثريات من البللور، بينما أظل أنا باقية في المطبخ، وهو مكان جيد!».

قالت شمعة النحل: «ولكن هناك شيئًا أهم بكثير من المطبخ، هو الاحتفالات، لتشاهدي الضياء وتكوني أنت كذلك مضيئة.. وسوف يقام حفل راقص في هذا المساء، وسرعان ما أحضر أنا ومجموعتي بأكملها».

Twitter: @alqareah

ونادرًا ما ينطق أحد بكلمة قبل إحضار شمعات النحل، ولكن شمعات دهن الحيوان أُحضرت هي الأخرى.. تناولتها ربة البيت بيدها الحنون، وحملتها إلى المطبخ، الذي وقف فيه ولد صغير، وفي يده سلة مملوءة بالبطاطس وبعض التفاح.. كل ما أعطته إياه المرأة الطيبة. وقالت له السيدة: «خذ هذه الشمعة كذلك يا عزيزي الصغير، فأمك تعمل هناك حتى وقت متأخر من الليل، ويمكنها استخدامها».

كانت الابنة الصغيرة لربة البيت تقف في مكان قريب، فلما سمعت عبارة: «حتى وقت متأخر من الليل»، قالت بفرحة من أعماق قلبها: «وأنا سأبقى لوقت متأخر من الليل.. فسوف نقيم حفلًا راقصًا، وسألبس فيه أشرطتي الكبيرة الحمراء».

قالت شمعة دهن الحيوان: «يا له من منظر مبارك! لن أنساه، ولن أشاهده بعدئذ».. ثم وُضعت في السلة تحت الغطاء، وانصرف الولد وهي معه.

وفكرت شمعة دهن الحيوان قائلة: «إلى أين أنا ذاهبة الآن؟ هل أنا ذاهبة إلى قوم فقراء؟ ربما لا يهيئون لي شمعدانًا من النحاس، بينما تجلس شمعة النحل في شمعدان من الفضة وهي تطل على أرفع الناس شأنًا. وبعد هذا كله، ساقني قدري لأن أكون من دهن الحيوان، وليس من شمع النحل».

ووصلت شمعة دهن الحيوان إلى الفقراء.. أرملة ذات ثلاثة أطفال، تعيش في كوخ صغير متواضع، في الجانب المقابل لمنزل الأسرة الثرية.

قالت الأم: «بارك الله في هذه السيدة الطيبة على هديتها. يا للعجب، هذه شمعة جميلة، يمكن أن نوقدها حتى وقت متأخر من الليل».

Twitter: @alqareah

وأوقدت الشمعة..

قالت الشمعة: «غم.. غم.. ما هذا الثقاب رديء الرائحة الذي أشعلتني به؟! فهذا الثقاب لا يكاد يناسب شمعة النحل؛ لكي توقد به في منزل الأسرة الثرية!».

هناك في منزل الأثرياء أوقد الشمع كذلك، ونوره يسطع في الشارع، بينما كانت العربات الفارهة تحضر الضيوف، الذين يرتدون أفخر الثياب، ثم صدحت الموسيقى بالأنغام.

قالت شمعة دهن الحيوان: «والآن.. سوف يبدأ الحفل الراقص هناك»، وفكرت في الوجه المشرق للفتاة الثرية، ثم قالت: «لن أرى مثل هذا المشهد بعد الآن».

وحضرت أصغر أطفال العائلة الفقيرة، وطوقت بذراعيها أخاها وأختها وأخذتها بالأعناق، وكان لديها شيء في غاية الأهمية تخبرهما به، تقوله همسًا: «تصوروا؟ هذا المساء.. هذا المساء سوف نتعشى بالبطاطس الساخنة».

ولمع وجهها بالنعمة.. ورأت الشمعة الموقَدة أن هذه الفرحة وتلك السعادة، تعادل فرحة وسعادة الأسرة الثرية، عندما قالت البنت الصغيرة: «سوف نقيم حفلًا راقصًا، وسألبس فيه أشرطتي الكبيرة الحمراء».

وفكرت شمعة دهن الحيوان: «هل يتعادل تناول البطاطس في الأهمية مع الحفل الراقص؟ فالأطفال هنا سعداء مثل الآخرين» ثم عطست، أي غمغمت وانطفأت.

وأُعدت المائدة وتناول الأطفال البطاطس.. آه، كم كانت لذيذة الطعم! ثم تناول كل طفل تفاحة، وغنت الطفلة الصغيرة القصيدة القصيرة:

Twitter: @alqareah

يا ربنا، الحمد لك والشكر لك

أطعمتنا ورزقتنا رزقًا كثيرًا وافرا

وصاحت الطفلة الصغيرة: «هل أحسنتُ القول يا أماه؟».

قالت الأم: «ينبغي عليك أن تفكري في الله الكريم الذي أعطاك الطعام الوفير لتشبعي».

وذهب الصغار الآخرون إلى السرير، بعد أن تلقوا القبلات ثم استغرقوا في النوم، بينما جلست الأم تحيك الثياب حتى ساعة متأخرة من الليل كسبًا لقُوتها وقُوت أطفالها. وسطعت أضواء الشموع من منزل الأسرة الثرية وصدحت الموسيقى بالأنغام، وتلألأت النجوم فوق كل البيوت، فوق بيوت الأثرياء، وفوق بيوت الفقراء.. بالضياء نفسه، وبالحيوية نفسها.

وفكرت شمعة دهن الحيوان: «تعالى فكري في هذا المساء العجيب. وإني لأعجب كيف تَفْضُلني هذه الشموع، التي توضع في شمعدانات من الفضة؟! أتمنى أن أُثبت مساواتنا قبل أن أحترق».

وفكرت في الأطفال الأثرياء، الذين يضيئون بشموع النحل، بينما أطفال الفقراء يضيئون بشموع دهن الحيوان؛ فكل من الفريقين يشعر بسعادة متماثلة!

نعم، وهذه هي كل الحكاية.

Twitter: @alqareah

الفتاة التي دعست رغيف الخبز
1859

ربما تكون سمعت أو قرأت عن الطفلة التي دعست بقدمها رغيف الخبز؛ حتى تحمي حذاءها من الطين، وكيف كان مصيرها.

كانت طفلة فقيرة وغريرة ومستبدة وسيئة السلوك، كما يقولون عنها. وفي صغرها كانت تهوى صيد الذباب، وتمسكه من أجنحته ثم تقوم بقطعه حتى يتحول إلى حشرات زاحفة.. وكانت تأخذ الخنفساء حفارة الأشجار وجعران روث المواشي، وترشق كلًّا منهما بدبوس، ثم تأتي لهما بورقة شجر أخضر أو قطعة من ورق، وتضعها تحت أقدامهما، وبهذا تحاول الحشرات المسكينة التعلق بها وتتلوى وتدور؛ لكي تتخلص من الدبوس.

وكلما كبرت الطفلة، تحوَّل سلوكها إلى الأسوأ بدلًا من التحسن، ولكنها كانت أنيقة، وكان هذا هو سر فشلها.

وكانت أمها تقول لها: «أنت تحتاجين إلى علاج ناجع لتقويم سلوكك، فعندما كنتِ طفلة كثيرًا ما دعست ثيابي، وأخشى عندما تكبرين أن تدعسي قلبي».. هذا بالضبط ما قالته لها.

والآن، ذهبت الطفلة إلى الريف لتخدم أسرة نبيلة، عاملتها وكأنها طفلتها، وتحسَّن مظهرُها فزادت غطرستها.

Twitter: @alqareah

مر عام على وجودها مع هذه الأسرة، وقالت لها سيدتها: «حقًّا يجب أن تقومي بزيارة والديك يا إنجر!».

وذهبت ليراها أبواها، ويعرفا أنها كبرت.. ولكنها عندما اقتربت من بوابة القرية.. شاهدت الصبية والصبايا يتحدثون بالقرب من البركة، وشاهدت أمها تجلس هناك لتستريح، وقد أمسكت بيدها حزمة من أغصان الأشجار التي جمعتها من الغابة.. استدارت «إنجر» بعد أن شعرت بالعار؛ فهي التي ترتدي أفخر الثياب، ترى أمها في ثياب رثة ممزقة، وقد أمسكت بيديها حطبًا جمعته من الغابة؛ ولهذا لم تأسف أبدًا لعودتها إلى بيت مخدومها، وهي غاضبة.

ومر الآن نصف عام آخر.

فقالت لها سيدتها: «حقًّا، لقد وجب عليك أن تتوجهي إلى منزل والديك العجوزين؛ لزيارتهما لمدة يوم يا صغيرتي «إنجر»، وهذا رغيف كبير من الدقيق الأبيض قدميه لهما، وسوف تسرهما رؤيتك».

ارتدت «إنجر» أفخر ثيابها المزركشة ولبست حذاءها الجديد، ورفعت أطراف ثيابها وهي تسير بحرص حتى تُبقي على قدميها جميلتين ونظيفتين.. ولكنها عندما أتت إلى ممر طيني مبلل، ألقت بالرغيف في الطين ووطئته بقدمها؛ حتى تعبر الممر بدون بلل، وعندما وقفت بقدم على الرغيف ورفعت القدم الأخرى، غاص الرغيف أعمق وأعمق حتى اختفى تمامًا، ولم تظهر إلا بركة طينية سوداء تبقبق..

تلك هي القصة.

ولكن إلى أين تذهب؟ ذهبتْ إلى زوجة المستنقع، عمة فتيات الجن المعروفات، التي كانت مشغولة بصناعة الجعة، عندما كانت «إنجر» تغوص

Twitter: @alqareah

في الوحل، ولا تستطيع أن تطيل البقاء فيه؛ فالرائحة الكريهة النفاذة المنبعثة من الفناطيس تكفي لتجعل الناس يغشى عليهم، كما أن الفناطيس متلاصقة دون فواصل. وإذا وُجدت ثغرة يمرق من خلالها المرء، استحال عليه المرور بسبب الضفادع البرية المبللة، والثعابين المضفرة مع بعضها البعض. وفي هذا الموقع غاصت «إنجر» الصغيرة، وتصلبت فوق الرغيف، الذي جذبها كما يجذب الكهرمان قطعة من القش.

كانت زوجة المستنقع في بيتها.. وفي هذا اليوم كان الشيطان يفتش مصنع الجعة، ومعه جدته التي كانت أكثر المخلوقات خبثًا وأشدهم حقدًا بين الإناث، وكانت دؤوبة لا تكل من العمل، ولا تخرج إلا وفي يدها أشغال الإبرة؛ فهي تخيط المتاعب وتنسج الأكاذيب وتحبك الأفكار الدنيئة الهابطة، وأي شيء يسبب الهلاك والفساد.

وعندما رأت «إنجر»، رفعت نظارتها إلى عينها وراحت تنظر إليها، وقالت: «يا لها من بنت لديها الاستعداد، أعطني إياها لتكون تميمة تدل على زيارتي لهذا المكان، فسوف تكون قاعدة لتمثال أقيمه لحفيدي في غرفة الانتظار!».

وأخذتها، وهكذا دخلتْ «إنجر» الصغيرة الجحيم.. كانت هذه هي غرفة الانتظار العامرة على الدوام.. يُصاب المرء فيها بالدوار إذا نظر إلى الأمام أو نظر إلى الخلف.. وقد نسجت العناكب الضخمة السمينة شباكها، التي صنعتها منذ ألف عام حول أرجل الزوار وشدتها، كأنها مسامير محواة تربط أقدامهم، وتمسكها كما تمسكها سلسلة من النحاس.. هذا بالإضافة إلى المتاعب الدائمة، التي تعبث بكل روح العذاب والقلق، وذلك هو مصير

Twitter: @alqareah

البائس الذي نسي مفتاح خزانة أمواله، ويعرف أنه موضوع في موضعه من الباب. والحقيقة أنه يدور طويلًا، ويقعقع في كل أنواع العذاب والألم، التي يمكن تحملها هنا، وكان شعورًا مفزعًا لـ«إنجر» أن تقف كقاعدة تمثال، وكانت كأنها مشبوكة برغيف الخبز من أسفل.

قالت لنفسها: «هذا ما جنيت لكي أحافظ على قدميَّ نظيفتين.. انظر كيف ترمقني بغضب!»، والحقيقة أن الجميع ينظرون إليها.

قالت «إنجر» الصغيرة لنفسها: «لابد أنهم ينظرون إليَّ بانشراح، فوجهي جميل وملابسي أنيقة». ولكنها الآن أدارت عينيها لأن رقبتها كانت متصلبة لا تستطيع الحركة. يا للعجب! كيف صارت قذرة في مصنع الجعة الذي تملكه زوجة المستنقع؟! لم تكن تفكر في ذلك، فقد كانت كمثل الذي انصبّ على ملابسه بئر صرف صحي.

وأسوأ من هذا على أية حال، الجوع المفزع الذي شعرت به. ألا تستطيع حتى أن تنحني؛ لتحصل على كسرة من رغيف الخبز، الذي وطئته قدماها؟ كلا، فقد تصلب ظهرها، كما تصلبت يداها وذراعاها، وصار جسدها كله دعامة من الحجر. ثم أتى الذباب، وزحف على عينيها للأمام والخلف، فأغمضت عينيها ولكن الذباب لم يغادرهما، فقد قطَّعت أجنحته حتى حوَّلته إلى حشرات زاحفة.. ثم أتى الجوع، فشعرت أخيرًا أن أحشاءها يلتهم بعضها بعضًا، وصار بطنها أجوف بشكل مخيف؛ فقالت: «إذا دام ذلك طويلًا فلن أتحمله».. ولكنها اضطرت إلى تحمله.

وحينئذ انحدرت فوق رأسها دمعة حارة، ثم انزلقت إلى وجهها، ثم إلى صدرها، حتى وصلت إلى الرغيف. وهنا انحدرت دمعة أخرى وتلتها

Twitter: @alqareah

دموع غزار. فمَن الذي كان يبكي فوق «إنجر» الصغيرة؟ أليست لها أم على قيد الحياة؟ فدموع الحزن التي تسفحها الأم على طفلتها دائمًا تصل إليها، ولكنها لا تطهِّرها ولا تخلِّصها، بل تحترق.. وهي تضيف إلى العذاب عذابًا آخر.. والآن، هذا الجوع الكافر، والعجز عن الوصول إلى الرغيف الذي دعسته بقدمها، ولَّد عندها شعورًا بأن كل شيء بداخلها لابد أن يأكل نفسه، وصارت مثل أنبوب رفيع أجوف امتص كل صوت بداخلها، فسمعت ما كان قاسيًا وذا طبيعة عجيبة. ومن المؤكد أن أمها بكت بحرارة وأسى، ثم قالت: «الكبرياء مآله السقوط، وهذا سر فشلك يا «إنجر»، فكيف أحزنتِ أمك؟».

فأمها وكل من حولها يعلم خطيئتها بأنها دعست رغيف الخبز بقدمها وغاص حتى اختفى، وقد أبلغهم بذلك راعي البقر الذي رآها من فوق التل.. قالت الأم: «كيف أحزنتِ أمك يا «إنجر»؟ لقد كنت دائمًا أتوقع منك أن تفعلي ذلك!».

فكرت «إنجر» وقالت: «يا ليتني لم أولد، يا ليتني كنت أفضل مما أنا عليه الآن، فدموع أمي الآن لا حيلة لي في كفكفتها».

سمعتْ «إنجر» ما قال عنها سيدها وسيدتها، ذَوَا الروح الطيبة الطاهرة اللذان كانا يمثلان أبويها: «إنها لطفلة خاطئة، فهي لا تعبأ بأنْعُم الله، ولكنها تدعسها بأقدامها، ويصعب أن ينفتح لها باب الرحمة والغفران».

وفكرت «إنجر» قائلة لنفسها: «لابد أنهما عرفاني أفضل مما عرفت نفسي، وكانا يقصدان علاجي من نزعاتي، إذا كانت لديَّ نزعات».

Twitter: @alqareah

وسمعتْ أن موَّالًا كاملًا كُتب عنها وعنوانه: «الفتاة المتغطرسة التي دعست رغيف الخبز؛ كي تبقي على حذائها نظيفًا»، وتغنى به الجميع في ربوع البلاد.

قالت «إنجر»: «تصورتُ أنني سمعت عنه كثيرًا وعانيت بسببه كثيرًا، وأستطيع أن أقول إن الآخرين ينبغي أن يعاقَبوا على ما فعلوا كذلك، نعم، هناك الكثيرون الجديرون بالعقاب، آه، يا لشقوتي وعذابي!».

وصارت روحها أكثر صلابة من محارتها.. كما قالت: «لا ينبغي أن أكون أفضل مما أنا عليه في هذه الصحبة، ولا أريد أن أكون أفضل من ذلك، انظري كيف ينظرون إليَّ في غضب!».

وامتلأ قلبها حقدًا وغيظًا من كل الناس.. وعلمت أنهم أبلغوا الأطفال بقصتها، وأن هؤلاء الصغار يسمونها «إنجر المزعجة التي لا تطاق»، وقالوا عنها: «إنها بغيضة وشريرة، وهي تستحق العذاب».. وترددت على شفاه الأطفال عبارات نابية عنها.

ولكن ذات يوم، بينما كان الغضب والاستياء يأكلان جسدها الأجوف، كانت تسمع اسمها يتردد، وقصتها تُحكى للأطفال الأبرياء، وأن طفلة بريئة انفجرت في البكاء، عندما سمعت قصة «إنجر» الغريرة التي أحبت الملابس المبهرجة.. وتساءلت: «ولكن هل ستعود إلى صوابها مرة ثانية؟ وماذا يحدث لو طلبت الغفران، وألا تعود إلى فعل ذلك مرة أخرى؟».

وجاءها الجواب من الجميع : «ولكنها لن تطلب الغفران».

فقالت البنت الصغيرة، وهي في حالة رثاء كامل: «أريد منها أن تفعل ذلك، وسوف أمنحها دولاب لُعبي إذا عادت إلى صوابها، فهذا أمر شنيع بالنسبة لـ«إنجر» المسكينة».

Twitter: @alqareah

وبلغت هذه العبارات قلب «إنجر»، وبدت كأنها عمل صالح، فالطفلة الصغيرة البريئة تبكي وتصلي من أجلها؛ الأمر الذي جعلها تشعر بشيء عجيب، وكان ينبغي أن تبكي بكاء الفرحة، ولكنها لم تستطع أن تبكي.

ومرت الأعوام دون أن يحدث تغيير، فهي نادرًا ما تسمع أصواتًا تناديها من عَلٍ، بل كانت تسمع أصواتًا أندر تدور حولها.. وذات يوم تبينت شهقة: «إنجر.. إنجر، لقد أغضبتني كثيرًا، وكنتُ أقول دائمًا إنكِ سوف تغضبينني!» وكان ذلك هو صوت أمها التي ماتت.

والآن، وبين حين وآخر، كانت تسمع اسمها يُذكر من قِبَل سيدها وسيدتها العجوزين، وتسمع العبارة الرقيقة من ربة البيت تقول: «هل أراك ثانية يا «إنجر»؟ فلا تدري نفس ماذا تكسب غدًا».. ولكن «إنجر» تعلم جيدًا أن سيدتها الفاضلة لا تستطيع أن تأتي إليها حيث تكون.

وعلى هذا مرت أيام طويلة وعصيبة.

وحينئذ سمعتْ اسمها يُذكر للمرة الثانية، ورأت شيئًا يلمع فوق رأسها كأنه نجمتان تلمعان في السماء.. كانتا عينين حانيتين تقتربان من الأرض. وفي هذه اللحظة، عندما ظهرت أمامها أفكار عن حياتها بأكملها، وتذكرت كذلك بكاءها المرير الذي بكته كبنت صغيرة، عند سماع قصة «إنجر»، تمثَّل الزمن والشعور كالحقيقة للمرأة العجوز في لحظة الوفاة، فصاحت بصوتٍ عالٍ: «يا إلهي، ألم أفعل ما فعلت «إنجر» عندما دعستُ أنعمك المباركة بجهالة؟ ألم يملأ الكبرياء قلبي في حياتي؟ ولكن رحمتك وسعت كل شيء، ولم تتركني أغوص، بل انتشلْتَني وعاونتَني، فلا تهجرني في ساعتي الأخيرة!».

وأغمضت المرأة العجوز عينيها، وتفتحت عيون روحها على كل خبيء، ولما كانت «إنجر» يقِظة في أفكارها السابقة، رأت كيف هبطت إلى أسفل

Twitter: @alqareah

درْك. وعند النظر تفجرت الروح المؤمنة بالدموع، ففي مملكة السماء كانت تقف تبكي كالطفل من أجل «إنجر» المسكينة. ودوَّى صدى تلك الدموع وتلك الدعوات في الجسد الأجوف الخاوي، الذي يحمل الروح السجينة والمعذبة؛ فقد اجتاحها الحب العلوي، من حيث لا يدري أحد ولا يحتسب؛ إذ بكت فوق رأسها ملائكة الرحمن، ولماذا وهبها الله ذلك؟ كانت كمثل الروح المعذبة التي جمعت في ذاكرتها كل عمل فعلته في حياتها المبكرة، وهزتها الدموع التي لم تستطع «إنجر» أن تذرفها بالبكاء.

لقد امتلأت نفسها كربًا، وظنت أن باب الرحمة لن يُفتح لها.. ولكنها عندما اعترفت بذنوبها بقلب كَليم، لمع فوق رأسها، في اللحظة نفسها، شعاع من نور في هذه الهاوية. كان الشعاع أقوى من أشعة الشمس، التي تذيب تمثال الجليد الذي يقيمه الأطفال في الفناء. وحينئذ ذوَى جسد «إنجر» المتحجر أسرع من ذوبان ندفة الجليد المتساقطة على فم الطفل الدافئ. وحلَّق طائر دقيق في مسار متعرج مثل البرق، فوق عالم البشر، ولكنه كان خائفًا من كل ما حوله؛ إذ كان يشعر بالعار مِنْ نفسه ومن مواجهة كل الكائنات الحية، وسرعان ما بحث عن مأوى في جُحر مظلم في جدار متهالك.

وهناك جلس مرتعدًا طول الوقت، دون أن ينطق بأي صوت؛ إذ لا صوت له.. ينظر بوعي متفتح إلى كل ما حوله من روائع.. نعم، كلها روائع؛ فالهواء نقي ولطيف، والقمر ساطع ومنير، والأشجار والشجيرات تبث أريجا عطرًا، والمكان الذي يجلس فيه ممتلئ بهجة وسرورًا.. وثوبه الطاهر الطويل ذو الريش نظيف وأنيق. يا للعجب! كيف ولدت جَميع المخلوقات من حوله في حب وجلال؟ وأرادت كل الأفكار التي دارت في صدر الطائر أن تخرج في تغريد، ولكن الطائر لا يستطيع أن يطلقها.. والله الذي يسمع ابتهالات

Twitter: @alqareah

الدودة الصامتة، عالِم بالابتهالات التي تحلق بين أحبال الفكر الصوتية بالطريقة نفسها، التي تتردد بها ترانيم داود المقدسة في مزاميره، وتتفاعل في صدره، قبل أن تُمنح الكلمات والألحان.

وعلى مدى أسابيع نبعت هذه الأغاني الصامتة وانبعجت في أفكاره، وانبعثت أولًا في خفقة الأجنحة في عمل مجيد جدير بالأداء.

واقترب الآن موعد الاحتفال المقدس بعيد الميلاد المجيد. وبالقرب من الجدار وضع الفلاح عامودًا، وربط فيه حزمًا غير مدروسة من الشعير؛ حتى تستمتع الطيور السابحة في الهواء، في عيد الميلاد المجيد، بوجبات سارة ومشبعة من عطاء الوهَّاب.. وسطعت الشمس في صباح عـيد الميلاد المجـيد فوق حزم الشعير، وتجمعت الطيور المغردة حول العامود.. وحينئذ دوت «صوصوة وصوصوة» منبعثة من الجدار كذلك، وتحولت الأفكار المنتفخة إلى أصوات، وتحولت الصوصوة إلى تسابيح كاملة مبهجة.. واستيقظت فكرة الأعمال الصالحة، وغادرت الطيور مهاجعها، وهي تعرف أي نوع من أنواع الطيور هي في مملكة السماء.

وأقبل الشتاء بالانتقام؛ إذ تجمدت المياه حتى الأعماق، وواجهت الطيور والحيوانات في الغابة أيامًا عصيبة في البحث عن الطعام؛ إذ طارت الطيور فوق الطريق العام باحثة، هنا وهناك، عن حبات من القمح، وفي أماكن الراحة عن بضع لقيمات من الخبز. وكانت تأكل من هذا النزر اليسير، وتنادي العصافير الصغيرة الجائعة لعلها تجد طعامًا هناك. وطارت إلى المدن.. وحيثما وجدت يدًا كريمة تمتد إليها من النوافذ بالخبز، أكلت منه القليل وتركت البقية لطيور أخرى.

Twitter: @alqareah

وفي فصل الشتاء، جمع الطائر كثيرًا من كسرات الخبز وأبقى عليها ، حتى صار ما جمعه يماثل وزن رغيف الخبز الذي دعسته «إنجر» الصغيرة؛ من أجل أن تُجنِّب حذاءها الطين. وعندما وجد الطائر آخر كسرة خبز وتركها لغيره.. تحولت أجنحته الخضراء إلى اللون الأبيض، وانتشرت في رحاب واسعة.

قال الأطفال الذين شاهدوا الطائر الأبيض: «الطائر المائي الأبيض الذي يشبه النورس يطير الآن فوق البحر».. وقد غطس في البحر، ثم حلق في أشعة الشمس الساطعة، وهو الآن يضيء، ولا يمكن توقع مصيره. وقالوا إنه طار مباشرة نحو الشمس.

Twitter: @alqareah

القوقع الحلزوني وشجرة الورد

1861

تنمو أشجار البندق في السور الذي يحيط بالحديقة، ومن ورائه ترعى قطعان البقر والغنم في الحقول والوديان، وفي وسط الحديقة تقف شجرة الورد المزهرة، وتحتها يجلس قوقع حلزوني ينطوي على ذاته.

قال القَوقع الحلزوني لشجرة الورد: «انتظري حتى يحين موعدي، فسوف أنجز أكثر من طرح الورود أو حمل البندق أو حلب اللبن».

وقالت شجرة الورد: «أتوقع منك الكثير، فمتى يحين الوقت؟».

قال القوقع: «إني أنتظر الوقت. فلماذا أنت الآن في عجلة؟».

وفي السنة التالية، كان القوقع الحلزوني راقدًا في البقعة المشمسة نفسها تحت شجرة الورد المزهرة. خرج القوقع إلى نصف طريقه ثم قال: «كل شيء يبدو كما لو كان في العام الماضي، فشجرة الورد لا تزال تطرح الورود دون أن تحرز تقدمًا».

ومر الصيف وجاء الخريف، وما زالت شجرة الورد تعطي الورد والبراعم حتى سقط الجليد، وصار الجو باردًا ورطبًا. وانحنت شجرة الورد إلى الأرض وزحف القوقع الحلزوني داخل الثرى.

Twitter: @alqareah

والآن بدأت السنة التالية وظهرت شجرة الورد كما ظهر القوقع الحلزوني..

قال القوقع: «الآن، أنتِ من سلالة الورد القديمة، ولابد أن تنقرضي، فقد أعطيت العالم كل ما تستطيعين منحه، لم تبذلي أدنى جهد في تطوركِ الداخلي، وإلا لأصبحت تنتجين صنفًا آخر. وسرعان ما تنتهي حياتك بالحريق. هل تدركين ما أقول؟».

قالت شجرة الورد: «أنتَ تخيفني؛ فما خطر ذلك على بالي قط».

قال القوقع الحلزوني: «لا، أستطيع أن أقول إنكِ لستِ ميالة للتفكير.. هل تبادَرَ إلى ذهنك لماذا تنتجين الورود ؟ ولماذا بهذه الطريقة، وليس بطريقة أخرى؟».

قالت شجرة الورد: «لا، أنا أنبت الورود للمتعة؛ فالشمس دافئة، والهواء منشط، وأنا أشرب الندى الصافي والمطر الدافق، وأتنفس وأعيش، تأتيني القوة من الأرض ومن فوقي، وأشعر بالسعادة المتجددة دائمًا، ولهذا السبب فأنا أطلق الزهور».

قال القوقع الحلزوني: «أنت تعيشين حياة سهلة للغاية».

قالت شجرة الورد: «من المؤكد أن كل شيء في متناول يدي، ولكنك مُنحت أكثر مني، فأنت واحد من هؤلاء المفكرين الموهوبين الذين يريدون أن يذهلوا العالم».

قال القوقع الحلزوني: «ذلك لم يخطر لي على بال بالمرة. فالعالم لا يعيرني أي اهتمام، فما شأني وذلك العالم؟ فأنا أكتفي بذاتي».

قالت شجرة الورد: «ولكن، ألا يجب على كل منا أن يعطي الآخرين أفضل ما يستطيع منحه؟ فأنا أمنح الورود فقط، ولكنك أنت الذي تأخذ الكثير من هذا العالم، ماذا أعطيته؟».

Twitter: @alqareah

قال القوقع الحلزوني: «وماذا أعطيه؟ أنا أبصق عليه، فهو عالم لا يثير اهتمامي به، وأنتِ تعطينه الورود، ولا تستطيعين الذهاب أبعد من هذا، دعي شجرة البندق تحمل بندقًا ودعي البقر والغنم يعطي لبنًا، فلكل منها جمهور، أما أنا فجمهوري هو ذاتي، التي أستقر فيها، فالعالم لا يثير اهتمامي!».

وحينئذ دخل القوقع الحلزوني منزله وأغلق بابه.

قالت شجرة الورد: «إنه لحزين، وأود أن أكون مثله، ولكنني لا أستطيع أن أزحف إلى داخلي. فأنا دائمًا أظل خارجه، أطرح الورود. ولكنني رأيت إحدى الورود وُضعت في كتاب **التراتيل الإلهية** لإحدى ربات البيوت، وإحدى ورداتي وُضعت على صدر إحدى الفتيات الجميلات، وأخرى تقبلها شفتا طفل في فرح مبارك. وهذا كله أعطاني حسنًا كثيرًا، فهي نعمة حقيقية، وتلك هي ذكرياتي، وحياتي!».

وأزهرت شجرة الورد في براءة، بينما ظل القوقع الحلزوني يتململ ويئن في منزله، فالعالم لا يفكر فيه.

ومرت الأعوام..

وصار القوقع الحلزوني رمادًا في الأرض، وصارت شجرة الورد رمَادا في الأرض، وحتى الوردة التذكارية في كتاب **التراتيل الإلهية** صارت ذابلة، ولكن أشجار الورد الجديدة أصبحت مزهرة في الحديقة.. وفي الحديقة أيضًا نمت القواقع الحلزونية الجديدة، تزحف داخل منازلها وتبصق، فالعالم لا يعنيها في شيء.

فهل ترغب في أن نعيد قراءة هذه الحكاية من البداية؟ لا خلاف على ذلك إن أحببت!

Twitter: @alqareah

ما يفعل زوجي هو الصواب دائمًا[1]

1861

سأقص عليكم الآن قصة سمعتها عندما كنت صبيًّا، ومنذ ذلك الحين وأنا لا أنساها، حيث إنها كانت لطيفة إلى ذلك القدر، الذي أذهلني.. وهي قصة حدثت لأناس كثيرين، كانوا كلما تقدم بهم العمر ازدادوا لطفًا وإمتاعًا.

بطبيعة الحال، يمكن أن تكون قد ذهبت إلى الريف، ورأيت بيتًا ريفيًّا قديمًا ذا سقف من القش، جدرانه منبعجة ونوافذه منخفضة، منها واحد دائمًا مفتوح. ويبرز الفرن مثلما تنبعج بطن الإناء، وتتعلق الشجرة القديمة بأغصانها فوق السور، حيث توجد بركة صغيرة، تسبح فيها البطة وصغارها.. وهناك أيضًا كلب مربوط بسلسلة ينبح دائمًا إذا رأى أي شخص.

في هذا البيت الريفي، كان يعيش زوجان: الفلاح وزوجته، ولا بأس بما لديهما من رزق، وما معهما من متاع الدنيا إلا حصان يرعى الحشائش، التي تنمو على حافتيْ القناة التي تحاذي الطريق.. يركب الزوج حصانه ليتوجه إلى المدينة، وأحيانًا يقترضه أحد الجيران، وأحيانًا أخرى يستأجره أحد الجيران

---

(1) قارن هذه الحكاية بحكاية «هانز المحظوظ» في **حكايات الجن الألمانية**، التي جمعها الأخوان جريم، وترجمها مترجم هذا الكتاب.

Twitter: @alqareah

المتيسرين، ولكنني أستطيع القول بأن بيع الحصان أو مقايضته بأي شيء آخر كان أكثر فائدة لهما. فماذا كان هذا الشيء؟

قالت الزوجة: «أنت يا زوجي أعقل الحاكمين في هذا الأمر، فالآن، ينعقد في المدينة سوق، امتطِ الحصان وبِعْهُ أو قايض به شيئًا آخر. فما تفعل هو الصواب دائمًا، اركبه واذهب به إلى السوق!».

ركب الزوج حصانه الذي سوف يبيعه أو يقايض به وانطلق. وقالت: «نعم، فزوجي هو أفضل حَكَم في هذا الشأن».

كان الطقس حارًّا يغلي، ولم يكن على طول الطريق ظل يُستظل به.. ومر الفلاح في الطريق برجل يسحب بقرة، وكانت كأجمل ما تكون الأبقار. وفكَّر الفلاح قائلًا لنفسه: «أعتقد أن هذه البقرة تعطي لبنًا سائغًا شرابه، هل يمكن مقايضتها لأقتنيها؟» وقال: «انظر، أنت معك البقرة، ولن نساوم كثيرًا في المقايضة، وهذا هو حصاني الذي أعتقد أنه أعلى قيمة من البقرة، ولكن لا بأس، فالبقرة أكثر فائدة لي، فهل تقايضني؟».

قال الرجل صاحب البقرة: «نعم، أوافق على المقايضة».. وسلَّم الرجل بقرته وأخذ الحصان بدلًا منها.

حسنًا، لقد استقر الأمر، وكاد الفلاح أن يعود إلى منزله، لقد حقق ما عقد عليه العزم، ولكنه كان ينوي الذهاب إلى السوق لمجرد إلقاء نظرة عليه. وإذا به يسير بجوار رجل يقود نعجة، كانت النعجة جميلة ذات لحم كثير وصوف غزير.. فكر الفلاح قائلًا لنفسه: «أريد أن أقتني هذه النعجة، ولا بد أنها سترعى الحشائش على جانب القناة، وفي الشتاء يمكن أن ندخلها معنا في المنزل. والحقيقة، أن اقتناء النعجة خير لنا من اقتناء البقرة. هل يُمكن أن أقوم بالمقايضة؟».

Twitter: @alqareah

حسنًا، كان الرجل ذو النعجة راغبًا في هذه المقايضة، وهكذا تمت المقايضة.. وسحب الفلاح النعجة وسار بها في الطريق، وما هي إلا لحظات حتى رأى رجلًا يحمل إوزة تحت إبطه.

قال الفلاح- مرة أخرى- لنفسه: «إنني لأراها صفقة رابحة! ففي الإوزة ريش ودهن.. وسوف أربطها على حافة البركة، وتجمع لها زوجتي قشور الخضراوات، وكثيرًا ما قالت لي: «ليتني أحظى بإوزة!»، والآن، يمكن أن تتحقق رغبتها» . وقال للرجل صاحب الإوزة: «هل تريد المقايضة؟ فسوف أعطيك النعجة في مقابل الإوزة، وأشكرك على هذه المقايضة».

كان الرجل راغبًا في المقايضة، حتى تمت الصفقة، فأخذ الفلاح الإوزة، وكان قريبًا من المدينة، فتزايد الزحام على الطريق؛ إذ اكتظ الطريق بالناس والحيوانات.. وبينما هو يسير في الطريق، رأى على حافة القناة بالقرب من حقل البطاطس الخاص بقارع أجراس الكنيسة دجاجة مربوطة؛ حتى لا تهرب ويفقدها أصحابها. كانت مقطوعة الذَّنَب، وتنظر بعين واحدة، ولكنها تبدو جيدة، وتقول: «كاك كاك» . فماذا تقصد بهذا الصياح؟ لا أدري، ولكن عندما رآها الفلاح فكر: «إنها لأجمل دجاجة رأيتها في حياتي.. ليتني أحصل عليها! فالدجاجة دائمًا ستجد حبوبًا في البيت، وسوف ترعى ذاتها، وأظن أنها ستكون مقايضة ناجحة بدلًا من الإوزة». وسأل صاحبها: «هل تقايضني؟» فقال الآخر: «أقايضك؟ يا للعجب! نعم، فليست هذه فكرة سيئة» ، وهكذا تقايضا: حصل قارع أجراس الكنيسة على الإوزة، وحصل الفلاح على الدجاجة.

كانت الحرارة شديدة، فاستبد الإرهاق والتعب بالفلاح، وكان كل ما يحتاج إليه الآن هو جرعة ماء وكِسرة خبز يأكلها. واقترب من الفندق، وأراد

Twitter: @alqareah

أن يدخل، ولكنه رأى العامل الأجير لصاحب الفندق يريد أن يخرج من البوابة، وهو يحمل كيسًا مملوءًا بأشياء.

فسأله الفلاح: «ماذا تحمل في هذا الكيس؟».

فأجابه الرفيق: «تفاح تالف، ملء الكيس للمواشي».

فقال الفلاح: «يا للعجب! إنها لكمية كبيرة. وأتمنى أن ترى زوجتي منظرًا مثل هذا. ففي العام الماضي كانت لدينا تفاحة واحدة، وكان علينا أن نحافظ على هذه التفاحة، التي ظلت قابعة في درج الصندوق حتى عطبت. فقالت زوجتي: سوف يأتينا الكثير!».

فسأله العامل الأجير: «حسنًا، وماذا سوف تعطيني؟».

قال الفلاح: «أعطيك؟ سأعطيك الدجاجة في مقابل ذلك!» ثم أعطاه الدجاجة مقابل التفاح.. دخل الفلاح إلى الفندق، واتجه مباشرة إلى البار، وأسند كيس التفاح إلى الموقد القرميد.. كانت النار مشتعلة فيه ولكنه لم ينتبه إليها، وكان هناك جمع غفير من الأجانب يحتشدون في الغرفة: تجار الخيول وتجار المواشي، ورجلان من إنجلترا، انتفخت جيوبهما بالعملات الذهبية يحبون المراهنة..

اسمع الآن ما سوف يحدث.

وسمع الجميع صوت هسهسة حول الموقد: «س س س س س س س س س س س».. لقد بدأ التفاح يُشوى. «ما هذا؟» حسنًا، لقد علموا بكل الحكاية: الحصان الذي استُبدل بالبقرة.. وهكذا حتى وصل الأمر إلى التفاح المعطوب.

Twitter: @alqareah

قال الإنجليزيان: «حسنًا، سوف تصفعك زوجتك بكفها، عندما تصل إلى البيت!» .

فقال الفلاح: «سوف أحصل على قُبلة وليست صفعة بالكف! فزوجتي سوف تقول: ما يفعل زوجي هو الصواب دائمًا!».

فقال الرجلان الإنجليزيان: «هل تراهن؟ ملء برميل من العملات الذهبية! مائة جنيه مقابل جنيه واحد!».

وقال الفلاح: «يكفي مكيال واحد، فلن أستطيع أن أحمل أكثر من مكيال من التفاح، وأنا وزوجتي في الرهان، ولكن هذا يزيد عن المكيال العادي، فهو مكيال بالكومة!».

فقال الرجلان: «بالكومة! بالكومة!» وهنا بدأ الرهان.

وحضرت عربة صاحب الفندق، وركب الإنجليزيان وركب الفلاح، وركب التفاح المعطوب.. ووصل الجميع إلى منزل الفلاح.

- «مساء الخير يا زوجتي».

- «مساء الخير يا زوجي».

- «حسنًا، لقد قايضت الحصان بالبقرة!».

قالت الزوجة: «اللبن نعمة من السماء مباركة، فنحن الآن نستطيع أن نحصل على اللبن والزبد والجبن، وسوف تحفل بها أطباقنا على المائدة. فنِعْمَ المقايضةُ هي!».

- «نعم، ولكنني قايضت البقرة بنعجة!».

Twitter: @alqareah

فقالت الزوجة: «من المؤكد أن هذا أفضل، فلدينا الكثير من العلف للنعجة. ونستطيع الآن أن نحصل على لبن وجبن وجوارب من الصوف، وأنت أشد الناس فكرًا وحكمة!».

- «ولكنني قايضت النعجة بإوزة!».

فقالت الزوجة: «هل ستكون لدينا إوزة حقًّا في هذه السنة نتناولها في عيد القديس مارتين[1]، يا زوجي الصغير؟ فأنت دائمًا تفكر فيما يبهجني».

قال الزوج: «ولكنني قايضت الإوزة بدجاجة».

فقالت الزوجة: «دجاجة! يا لها من مقايضة جيدة! فالدجاجة تضع البيض وتفرخ كتاكيت وتصبح لدينا حظيرة للدجاج، وهذا كل ما كنت أتمنى».

قال الزوج: «نعم، ولكنني قايضت الدجاجة بكيس من التفاح المعطوب!».

فقالت الزوجة: «الآن، قررت أن أمنحك قبلة، شكرًا لك يا زوجي، أنا الآن سوف أخبرك بشيء. لقد فكرتُ في وجبة شهية لك، وهي عجة بالبصل والكرفس، ولديَّ البيض وليس لديَّ البصل والكرفس؛ ولهذا ذهبت إلى بيت مدير المدرسة، ولكن زوجته لاذعة، تلك الجحشة الجميلة قالت: «تقترضين؟ لا تنبت حديقتنا مثل هذه الأشياء.. حتى التفاح العطن، لا أستطيع أن أقرضك إياه» والآن أستطيع أن أقرضها عشرًا، نعم، حتى ملء كيس منه.. فأية طرفة هذه يا زوجي؟!» ثم قبلته في فمه أربع قبلات.

(1) عيد القديس مارتين: يكون الاحتفال به في يوم 11 نوفمبر من كل عام (ويبستر - المترجم).

Twitter: @alqareah

قال الإنجليزيان: «أنت الآن تتكلم، دائمًا في الداخل والخارج دون حرص، وهكذا تستحق المال بالتأكيد!» وأعطيا الفلاح قنطارًا من العملات الذهبية، بعد أن تلقى من زوجته قبلة بدلًا من الصفعة.

نعم، تجني الزوجة حقًّا مالًا وفيرًا، عندما تقتنع أن زوجها هو الأكثر عقلًا، وأن كل ما يفعله هو الصواب دائمًا.

أرأيت؟! هذه حكاية سمعتها عندما كنت صبيًّا، وأنت الآن تسمعها، وتعرف أن ما يفعل الزوج هو الصواب دائمًا.

Twitter: @alqareah

التميمـة
1836

لا يزال الأمير والأميرة يقضيان شهر العسل، وقد شعرا بالسعادة الغامرة، ولم يزعجهما إلا خاطرة واحدة فقط، ألا وهي: هل سنظل سعداء دائمًا مثلما نحن الآن؟ ولهذا أرادا أن يحصلا على تميمة، تحميهما من أية مصاعب تواجههما مستقبلًا.

والآن، نمى إلى علمهما أن رجلًا حكيمًا، يعيش في الغابة حاز إعجاب كل الناس؛ إذ يعرف كيف يعطي أفضل نصيحة في مواجهة أية شدة أو شقاء، فذهب إليه الأمير والأميرة وأخبراه بما يقلقهما.

استمع إليهما الرجل الحكيم وقال: «دورا في رحلة حول العالم، فإذا صادفكما زوجان مطمئنان تمامًا، اطلبا منهما أثرًا يكون «تميمة» لكما، عبارة عن قطعة من الملابس الداخلية التي تلامس بشرتهما. وعندما تحصلان عليها احتفظا بها دائمًا معكما؛ فذلك هو العلاج الناجع».

وركب الأمير والأميرة مركبتهما، وسرعان ما سمعا نبأ عن أحد الفرسان يعيش مع زوجته في أسعد حال.. وعندما دخلا قصر الفارس وسألا الزوجين عما إذا كان زواجهما بلغ ذروة السعادة كما يشيع الناس أم لا، كان جوابهما: «طبعًا، فيما عدا شيئًا واحدًا، هو أننا لم ننجب أطفالًا».

Twitter: @alqareah

وهنا لم تسنح لهما الفرصة بالحصول على تميمة؛ فواصل الأمير والأميرة رحلتهما بحثًا عن زوجين يتمتعان بالسعادة الكاملة.. وبعدئذٍ دخلا مدينة سمعا فيها عن مواطن يعيش مع زوجته، وهما متمتعان بكامل الانسجام والاطمئنان، فذهبا إليهما، وسألاهما عما إذا كان زواجهما بلغ قمة السعادة كما يشيع الناس.

فأجاب الرجل: «نعم، هذا صحيح؛ فأنا وزوجتي نعيش معًا عيشة هنيئة، ولكن ياليتنا لم ننجب أطفالًا بهذه الكثرة؛ فهم يجشموننا كثيرًا من المتاعب والقلق».

وهنا أيضًا لا مجال للحصول على التميمة؛ فواصل الأمير والأميرة رحلتهما بحثًا عن زوجين يتمتعان بالسعادة الكاملة، ولكن لم يصادفهما أحد.

وذات يوم وهما يمران بين الحقول والمروج، رأيا راعيًا يعزف ألحانًا غاية في المرح والسعادة على آلته الخشبية القديمة.. وفي الوقت نفسه، شاهدا امرأة مقبلة عليه تحمل طفلًا في حضنها، وتمسك بيدها الأخرى ولدًا صغيرًا. وعندما رآها الراعي هب واقفًا، وتناول الطفل بين ذراعيه وقبَّله وهدهده، ثم جاء كلب الراعي إلى الولد يلعق يده الصغيرة وينبح ويقفز أمامه مُرَحِّبًا به. وفي هذا الوقت، أعدت الزوجة طعامًا أحضرته معها، وقالت لزوجها: «هيا الآن إلى الطعام».. أعطى الراعي اللقمة الأولى للطفل الصغير، بينما قسَّم الثانية مناصفة بين الولد والكلب.. حدث كل هذا على مرأى ومسمع من الأمير والأميرة، اللذين اقتربا منهما وتحدثا إليهما وسألا الرجل: «هل أنتم حقًّا من يقال لهم الأسرة السعيدة المطمئنة؟».

فأجاب الراعي: «نعم، نحن حقًّا كذلك، والحمد لله.. ليس هناك أمير وأميرة يتمتعان بما نحن فيه من سعادة».

Twitter: @alqareah

وحينئذ قال الأمير: «اسمع، أريدك أن تسدي إلينا معروفًا، لن تأسف على فعله أبدًا. أعطنا قطعة صغيرة من غياراتك الداخلية التي ترتديها ملامسة لبشرتك».

وإزاء هذا الطلب، نظر الراعي إلى زوجته في دهشة، ثم قال: «يعلم الله أني أكون سعيدًا إذا أعطيتك ما تريد، ليس فقط قطعة صغيرة، بل قميصًا بأكمله أو تنورة بأكملها، إذا كنا نمتلك منهما شيئًا فائضًا، فنحن بالكاد لا نمتلك إلا ما يسترنا!».

وهكذا واصل الأمير والأميرة رحلتهما، دون أن يحرزا أي نجاح.. وأخيرًا أنهكهما ذلك السفر الطويل الذي لا طائل من ورائه، فقررا العودة إلى كوخ الرجل الحكيم، لينهراه على نصحهما بنصيحة غير مجدية، واستمع الحكيم إلى كل ما دار في رحلتهما.

تبسم الرجل الحكيم، وقال لهما: «هل كانت رحلتكما حقًّا غير مجدية؟ ألم تحصلا منها على خبرة ثرية؟».

فقال الأمير: «بلى، لقد تعلمت أن القناعة والرضا نعمة نادرة على هذه الأرض».

ثم قالت الأميرة: «وتعلمت أنا كذلك أنه لكي تكون سعيدًا، فأنت لا تحتاج إلى أكثر من الاطمئنان».

وتناول الأمير يد الأميرة، ونظر أحدهما إلى الآخر بأعمق تعبيرات الحب. وباركهما الرجل الحكيم قائلًا: «لقد وجدتما التميمة الحقيقية في قلبيكما، فاحرصا على رعايتها تمامًا، فحينئذٍ لا تستطيع الروح الشريرة أن تتسلط عليكما بالسخط والاستياء».

Twitter: @alqareah

الأمير الشرير

(أسطورة تاريخية)

1840

ذات يوم كان هناك أمير شرير ومستبد، تتجسم كل أفكاره في فتح أراضي العالم، وارتبط اسمه بالإرهاب، فشهر سيفه وأضرم نيرانه، وسحقت جنوده الحبوب في الحقول، وأشعلوا النيران في منازل الفلاحين، وتوارت أمهات كثيرات مسكينات بأطفالهن خلف الجدران التي يتصاعد منها الدخان، فإذا عثر عليهن جنود الأمير صاروا يعبثون بهن عبثًا شيطانيًّا، ولم تكن الأرواح الشريرة تبدي سلوكًا أسوأ من هذا؛ فالأمير كان يعتقد أن هذا هو ما ينبغي عمله.

تنامت قوة الأمير يومًا بعد يوم؛ حتى صار اسمه يشكل رعبًا لكل الناس، فاستولى على الذهب والثروات الهائلة من المدن التي فتحها؛ وشيَّد القصور وبنى الكنائس وأقام أقواس النصر؛ حتى كان كل من يراها يقول: «يا له من أمير عظيم!»، ولم يفكر أحد في البؤس والشقاء اللذين ألحقهما بالبلاد الأخرى.

نظر الأمير إلى الذهب الذي جمعه والمباني الفاخرة التي شيَّدها، فقال مثلما يقول الناس: «يا له من أمير عظيم! ولكنني لابد أن آتي بالمزيد، أكثر فأكثر، حتى لا تتبقى أية قوة تفوق قوتي أو تضاهيها». وأعلن الحرب على

Twitter: @alqareah

كل جيرانه فهزمهم جميعًا، وقيَّد الملوك المهزومين في مركبته بالأغلال الذهبية وهو يسير بهم في الشوارع.

والآن، وقد أقام تماثيله في الميادين والقصر الملكي، أراد أن ينصبها في الكنائس فوق محاريب الله؛ ولكن الرهبان قالوا له: «أيها الأمير، أنت عظيم، ولكن الله أعظم، فلا نستطيع أن نفعل ذلك».

قال الأمير الشرير: «إذًا، فلابد أن أهزم الله أيضًا».. وبغطرسة المتكبر وحماقة الغافل، أمر ببناء سفينة عظيمة يستطيع بها أن يطير في الهواء.. وكانت زاهية الألوان، حيث كانت أشبه شيء بذيل الطاووس المزين بألف عين، وكانت كل عين فيها ماسورة مدفع. وجلس الأمير وسط السفينة وأمامه أزرار، إذا ضغط على أي منها، انطلقت آلاف الطلقات، وفي مقدمة السفينة ربط مائة نسر قوي؛ وانطلق بالسفينة وطار بها نحو الشمس.. ظهرت الأرض أسفله بجبالها وغاباتها كالحقل المحروث؛ حيث تطل الخضرة من الأرض المقلَّبة كالمروج الخضراء. وبعدئذ اختفت تمامًا وراء الضباب والسحاب، وطارت النسور محلقةً أعلى وأعلى.

وحينئذ أرسل الله ملاكًا واحدًا من ملائكته، فأطلق الأمير عليه ألف طلقة، ولكنها تساقطت على أجنحة الملاك المضيئة كالبَرد.. وسقطت قطرة دم واحدة فقط من ريشة في جناح الملاك.. نزلت فوق السفينة التي يجلس فيها الأمير، فأحرقتها، وأسقطتها على الأرض كالجثة الهامدة، وتحطمت أجنحة النسور العظيمة، وحلَّقت الريح حول رأس الأمير، وتشكلت سحب المدن المحترقة بأشكال مرعبة مثل الوحش الذي يبلغ طوله ميلًا، وقد مدَّ مخالبه القوية إليه، ومثل الجلمود الهائل المتدحرج نحوه، والتنين الذي يقذف الحمم

Twitter: @alqareah

في اتجاهه، فرقد في سفينته، وقد أشرف على الهلاك، بينما تعلقت سفينته فوق الأغصان الغليظة في الغابة.

قال الأمير: «سوف أهزم الله، أقسم بذلك وسأبر بقَسَمي».. وتابع بناء السفن التي تنطلق في الهواء لمدة سبع سنوات، وبنى صواعق رعدية من أقسى أنواع الصلب؛ لأنه أراد أن ينسف بها قلعة السماء. وجمع من كل بلاده جيشًا عظيمًا، غطى دائرة نصف قطرها عدة أميال، ووقف الجنود صفوفًا، ثم ركبوا السفن الهائلة. وبينما كان الأمير يقترب من سفينته، أرسل الله سربًا من البعوض، طنَّت مجموعة صغيرة منه حول الأمير، وعضته في وجهه ويديه.. فشهر سيفه في غضب وضرب به الهواء الخاوي من البعوض؛ ولكن لم يمسسه بسوء، وأمر بإحضار سجاجيد غالية؛ ليلف بها نفسه اتقاء للدغات البعوض، وتم له ما أراد، ولكن اختبأت بعوضة داخل طيات السجاد. وتسللت إلى أذن الأمير وعضته، فصعقته كما لو كان مشتعلًا.. وسرى السم إلى عقله، فمزق جسده، وأبعد السجاد الملفوف ومزق ثيابه إربًا، وصار يرقص عاريًا أمام جنوده المتوحشين القساة، وراح الجنود يسخرون من الأمير العاري المجنون، الذي أراد أن يسب الله عدوًا بغير علم، فهزمته بعوضة صغيرة.

Twitter: @alqareah

أبعد الأشياء عن التصديق

1870

مَن استطاع منكم عمل شيء لا يُصدَّق.. فسوف يتزوج ابنة الملك ويملك نصف المملكة.. شحذ الشباب والكهول أفكارهم وشدوا أوتارهم وأعصابهم.

وتحدد يوم، يَعرض فيه كل امرئ ما يعتقد أنه لا يُصدق.. وتعين المحكِّمون من الأطفال ذوي الثلاثة أعوام حتى الشيوخ ذوي التسعين عامًا. وأقيم المعرض للأشياء التي لا تُصدَّق، واتفق الجميع على أن أبعد الأشياء عن التصديق هي الساعة الضخمة الموضوعة في صندوق؛ إذ كانت في كل دقة لها تظهر صورة حية تدل على الساعة، تحتوي على اثني عشر عرضًا بنماذج متحركة، يصاحبها الكلام والأغاني.

قال الناس: «هذا هو أكثر الأمور غرابة وأبعدها عن التصديق».

دقت الساعة الواحدة، فظهر موسى عليه السلام على الجبل، وكتب الوصية الأولى على الألواح: «.. ولن تجد إلهًا غيري».

ودقت الساعة الثانية، فظهرت حديقة الفردوس حيث قابل آدم حواء، وكلاهما سعيد دون صوان للملابس، فليسا في حاجة إليه.

Twitter: @alqareah

وفي الدقة الثالثة، ظهر الحكماء الثلاثة[1]، أحدهم أسود كالفحم؛ لأن الشمس سوَّدت بشرته، وقد حضروا جميعًا يحملون البخور والأشياء الثمينة.

وفي الدقة الرابعة، حضرت الفصول الأربعة: الربيع بعصفور الوقواق يقف فوق شجرة ضخمة كاملة الأوراق، والصيف ومعه الصرصار النطاط يقف على حزمة من القمح الناضج، والخريف ومعه عش اللقلق الفارغ، وقد هجره طائره، والشتاء ومعه غراب عجوز يستطيع أن يحكي الحكايات القديمة في أحد الأركان، بالقرب من الموقد القرميد.

وعندما دقت الساعة الخامسة، ظهرت الحواس الخمس: البصر على هيئة صانع النظارات، والسمع على هيئة نحَّاس، والشم على هيئة بائع زهور، والتذوق على هيئة طباخ، واللمس على هيئة حانوتي..

ودقت الساعة السادسة، فظهر مقامر جالسًا يرمي الزهر، وقد استدار بحيث يظهر نصفه العلوي وعليه الرقم ستة.

ثم أتت أيام الأسبوع السبعة أو الخطايا السبع، حيث اختلف الناس في تفسير الدقات السبع.. وأخيرًا استقر الجميع على أن يأخذوها معًا، ولم يكن من السهل أخذ كل منهما على حدة.

ثم جاءت جوقة تغني أناشيد الصباح.

وعند الدقة التاسعة، ظهرت ملائكة الشعر التسع[2]: أحدها يمثل علم الفلك، وآخر يمثل السجلات التاريخية، والبقية تمثل المسرح.

---

(1) الحكماء الثلاثة من الشرق، هم : لقمان والخضر وهارون .

(2) ملائكة الشعر التسع Muses : هي كاليوبا وكليو ويوتيربا وميلبومينا وتيربسيكور وإيراتو وبوليهيمنيا ويورانيا وتاليا. (ويبستر – المترجم).

Twitter: @alqareah

وفي الدقة العاشرة، ظهر موسى عليه السلام مرة ثانية وفي يده الألواح العشرة، وبها وصايا الله العشرة.

ثم دقت الساعة بعدئذ، فظهر أولاد وبنات صغار يقفزون ويمرحون؛ إذ كانوا يلعبون لعبة، غنوا فيها نشيدًا: «مرت مظاهر عشرة.. هذا هو الحادي عشر»، وهذا هو عدد دقات الساعة.

وحينئذ دقت الساعة الثانية عشرة، فظهر حارس الليل يرتدي قبعة من الفراء وفي يده صولجان به مسامير، وهو يغني نشيد الساعة:

«في نصف تلك الليلة

ميلاد منقذنا المسيح».

وبينما هو يغني، قفزت الورود وحلَّقت فوق رؤوس الملائكة الصغار، التي تحملها أجنحة في لون قوس قزح.. وكانت الساعة بأكملها عملًا فنيًّا ليس له مثيل، وقال الناس عنه إنه أبعد الأشياء عن التصديق.

وكان الفنان صانعها شابًّا رقيق الفؤاد، محبًّا للأطفال، مخلصًا للأصدقاء، وسندًا لأبويه الفقيرين؛ ولهذا فهو يستحق الأميرة ونصف المملكة.

اقترب يوم اتخاذ القرار، وزُيِّنت المدينة بأكملها بالزهور والأعلام، وجلست الأميرة على عرش البلاد، وراح القضاة في كل جانب يسترقون النظرات إلى ذلك الشخص الفائز، الذي أنجز أبعد الأشياء عن التصديق.

وصاح في اللحظة نفسها رجل طويل القامة، نحيل الجسم، مفتول العضلات قائلًا: «لا، هذا ما سأفعله أنا الآن، فأنا الذي أصنع أبعد الأشياء عن التصديق» ثم طوح فأسه الضخمة وهشم بها العمل الفني.. ورقدت جميع العجلات والتروس واليايات على الأرض هامدة محطمة بأكملها.

Twitter: @alqareah

قال الرجل: «كنت قادرًا على أن أفعل ذلك، فما فعلت يفوق ما صنع واجتاحكم جميعًا.. لقد أنجزت أبعد شيء عن التصديق».

فقال القضاة: «بتدمير هذا العمل الفني، نعم، ذلك هو أبعد الأمور عن التصديق».

ووافق الجمع كله؛ ولهذا استحق أن يتزوج الأميرة، ويحصل على نصف المملكة؛ فالقانون هو القانون، حتى ولو كان أبعد الأمور عن التصديق.

وأعلن النبأ من كل الأسوار والأبراج المحيطة بالمدينة: «سوف تتم مراسم الزفاف في الكنيسة». ولم تكن الأميرة راضية عن هذا، ولكنها كانت تبدو جميلة وترتدي أفخر الثياب. وسطعت الأضواء في الكنيسة وبدت في أبهى مظاهرها في المساء المتأخر.

والآن، توقف الغناء. وهدأت الحركة حتى تستطيع أن تسمع رنة الدبوس وهو يسقط على الأرض. وفي وسط هذا السكون، فتحت أبواب الكنيسة بضوضاء وصخب: بوم.. بوم.. دخلت الساعة تمشي في وسط الممشى، واستقرت بين العريس والعروس.. إن الموتى لا يعودون إلى الحياة مرة أخرى - ونحن نعرف ذلك جيدًا - ولكن العمل الفني يمكن أن يعود ثانية؛ فالجسد تحطم إربًا ولكن الروح باقية، فروح الفن عادت كالشبح، وهذا جد وليس هزلًا.

وقف العمل الفني ممتلئًا بالحياة كأنه كامل لم يُمَسّ؛ إذ دوت دقات الساعة الواحدة تلو الأخرى، حتى الثانية عشرة، واحتشدت فيها الأشكال، فأتى موسى عليه السلام أولًا وقد بدت ملامحه وضاءة ينبعث من جبينه النور، وألقى الألواح الثقيلة تحت أقدام العريس، وثبتها في أرضية الكنيسة[1].

---

(1) ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: 150).

Twitter: @alqareah

وقال موسى عليه السلام: «لا أستطيع أن أرفعها مرة أخرى، فقد كسرت ذراعي، ولتبقَيْ الآن حيث أنتِ!» .

ثم جاء آدم وحواء والحكماء من الشرق والفصول الأربعة، وقال الجميع للعمل الفني حقائق تسيء إليه: «استحِ من نفسك!» ولكنه لم يستحِ من نفسه.

وخطت كل الأشكال، التي كانت تظهر عند كل دقة، خطواتها خارج الساعة الجديدة، وتضخمت إلى أحجام كبيرة، غصت بها الكنيسة وكأنها لم تتسع للناس الحقيقيين. وعندما ظهر حارس الليل عند الدقة الثانية عشرة بقبعته المصنوعة من الفراء وصولجانه، حدث اضطراب عجيب؛ إذ توجه حارس الليل مباشرة إلى العريس، وضربه بالصولجان على أم رأسه.

وقال له: «ارقد هنا، العين بالعين، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله؛ لقد انتقمنا لأنفسنا ولسيدنا، وسوف نختفي!».

ثم اختفى العمل الفني بأسره، ولكن جميع الشموع في أرجاء الكنيسة تحولت إلى زهور ضخمة مضيئة، وانبعثت من النجوم المذهبة تحت السقف أعمدة طويلة لامعة من النور، وعزف الأرغن بنفسه صوتًا عاليًا، وقال الناس جميعًا إن هذا هو أعجب الأشياء التي رأيناها في حياتنا.

وقالت الأميرة: «هل تنادي على المستحق؟ ذلك هو صانع العمل الفني، فهو زوجي وسيدي!».

وكان واقفًا في الكنيسة، وكان جمهور الحاضرين جميعًا يمثلون حاشيته.. وفرح الجميع ودعوا له باليمن والبركات، ولم يكن من بينهم أي حقود.

والحقيقة، إن هذا كان أبعد الأشياء عن التصديق!

Twitter: @alqareah

القلم والمحبرة
1860

نطقت الكلمات في غرفة الشاعر، بينما كان أحد الأفراد ينظر إلى المحبرة، وهي تقف على المائدة، ويقول: «يا لها من جذابة للبصر!».

أجابت المحبرة: «نعم، هي كذلك! وهذا هو ما أقوله دائمًا». قالت هذا للقلم الريشة، ولكل الأشياء الأخرى الموجودة على المائدة التي تستطيع سماعها. «إن كل ما يخرج مني جذاب للبصر، وأنا نفسي لا أعرف ماذا يحدث بعدئذ حقًّا، عندما يبدأ الإنسان رسم كلماته بحبري ، فإن قطرة مني تكون كافية لملء صفحة كاملة من الورق، ولماذا لا يظهر هناك؟ فأنا شيء جذاب للبصر تمامًا، وكل ما يبدع الشعراء نابع مني.. هذه المشاعر العميقة، وهذا المرح الجميل، وذلك الوصف الرائع للطبيعة. وأنا شخصيًّا لا أفهمها لأنني غير متآلفة مع الطبيعة، ولكنها بعد هذا كله نابعة مني. فمني تنبع هذه الكوكبة المحلقة في الفضاء، وتلك الفتيات الجميلات، وهؤلاء الفرسان الشجعان.. والحقيقة ، أنني لا أعرفها بنفسي، وأؤكد لك أنني لا أمنحها فكرًا».

وقال القلم الريشة: «صدقتِ في قولكِ، فأنتِ لا تفكرين على الإطلاق؛ لأنك تقدمين السائل، حتى أبدو أنا واضحًا على الورق، وأعبر عما يدور في

Twitter: @alqareah

خلدي بالكتابة.. فالقلم هو الذي يكتب، ويفهم معظم البشر الشعر على أنه صادر من المحبرة القديمة».

قالت المحبرة: «ما لديك إلا خبرة قليلة، وأنت تكاد تكون نصفَ بالٍ. فهل تتظاهر بأنك أنت الشاعر؟ إنك مجرد مساعد، وقد ورد إليَّ من قبلك الكثيرون، فأنا أعرف كلا النوعين: القلم الريشة والقلم الصلب، وكان الكثير منهما في خدمتي، وعندي الكثير عندما يحضر الإنسان الذي يأتي بالحركات مني ليكتب ما يخرج من باطني.. ولا أدري ماذا يأتي مني بعدئذ من رسوم».

فقال القلم بتعجب: «المحبرة».

أقبل الشاعر ذات مساء إلى منزله متأخرًا، وكان في حفل موسيقي، استمع فيه إلى عزف رائع من عازف الكمان، الذي كان يُخرج من آلته فيضًا مذهلًا من الأنغام، وكأنها أنغام لقطرات من الماء حينًا، وحينًا آخر لحبات اللؤلؤ تتدفق فوق بعضها.. وهي الآن مثل تغريد الطيور في جوقة موسيقية، كأنها عاصفة تعبث بغابة من أشجار الصنوبر، ويبدو كما لو كان يسمع قلبه ينبض بالألحان..

كان الصوت منبعثًا ليس من أوتار الكمان فحسب، بل من قنطرة الكمان كذلك، نعم، بل حتى من مفاتيح ضبط الأوتار.. كان الصوت غير عادي، وكان صعبًا ولكنه يبدو مثل لعبة؛ إذ يقفز القوس فوق الأوتار ذهابًا وإيابًا، وهما الاثنان يبثان الصوت. أما سيدهما المايسترو، الذي يقودهما ويعطي لهما الروح والحياة فقد نسيناه.. المايسترو نسيناه، ولكن الشاعر يفكر فيه، ويسميه بالاسم، ولهذا يكتب أفكاره: «فكم يكون محالًا إذا تغطرس كل من القوس والكمان وأعرضا عن الأداء، ولكن هذا ما نفعله نحن بني الإنسان: الشاعر

Twitter: @alqareah

والفنان والعالم المخترع والقائد العسكري.. فنحن نغتر بأنفسنا، ولكننا مجرد آلات في مسرح الله. إليه وحده يرجع الفضل، فليس هناك شيء يجعلنا نغتر».

نعم، هذا ما كتبه الشاعر، حكاية رمزية أسماها: «المايسترو والآلات».

وقال القلم للمحبرة، عندما انفردا ببعضهما مرة أخرى: «لقد رأيته قادمًا إليك يا سيدتي، وسمعته يقرأ ما كتبتُ بصوت عالٍ».

فقالت المحبرة: «نعم، كتبتَ بما أعطيتُك، وبعد كل هذا تتناول ما أعطيتك بسخرية؛ لأنك عنيد متغطرس.. لقد هيأتُ لك ملاحظة ساخرة مباشرة من جوفي، وأستطيع القول بأنني ينبغي أن أميز أحقادي».

وقال القلم: «إنك لحاوية للحبر».

وقالت المحبرة: «وأنت عصا للكتابة».

وشعر كل منهما بأنه أحسن الإجابة. وإنه لشعور نبيل أن تعرف أنك أحسنت الإجابة، فقد اطمأن كلاهما وناما قريريْ العين، ولكن الشاعر لا ينام؛ فأفكاره تتدفق مثل النغمات التي تتدفق من الكمان وتتدحرج مثل اللآلئ، وتدوي مثل العاصفة في الغابة، فهو يشعر بأن قلبه هناك، ويعلم أن الومضة تأتي من رب الخلود، فإليه وحده يرجع الفضل والشرف.

Twitter: @alqareah

الصندوق الطائر
1838

ذات يوم كان هناك تاجر ثري يستطيع أن يغطي الشارع بأكمله ومعظم الزقاق الصغير بالعملات الفضية، ولكنه لم يفعل ذلك، بل عرف طرقًا أخرى ينفق فيها ماله، فإذا أنفق شلنًا كسب من ورائه دولارًا.. كان ذلك أحد التجار، ولكنه مات.

آلت كل أموال التاجر إلى ابنه الذي عاش في بذخ، يذهب كل ليلة إلى الحفلات التنكرية ويصنع الطائرات الورقية من العملات الورقية، ويقذف بالعملات الذهبية على سطح الماء حتى تبدد ماله، ولم يتبقَّ معه أكثر من أربعة شلنات، ولم يعد يرتدي غير نعالٍ رقيقة وبُرنُس التجفيف في الحمام. ولم يعد أصدقاؤه يهتمون به.. إلا أن أحد أصدقائه المخلصين أرسل إليه صندوقًا قديمًا كان يضع فيه الملابس، وقال له: «ضع فيه ملابسك!» ولأنه لا يملك شيئًا يضعه في الصندوق، فقد جلس بنفسه فيه.

كان صندوقًا طريفًا، فبمجرد أن تضغط على قفله يطير، وطار بالفعل هادرا منطلقًا، مرَّ به خلال المدخنة وحلَّق به فوق السحاب بعيدًا بعيدًا، حتى وصل إلى بلاد الأتراك، فخبأ الصندوق في الغابة بين الأشجار والأوراق الجافة ودخل المدينة. فعل ذلك بسهولة ويسر؛ لأن الأتراك يلبسون برانس الحمام والنعال مثله. وقابل إحدى المربيات ومعها طفل.

Twitter: @alqareah

قال لها: «اسمعي يا أيتها المربية التركية، ما هذا القصر الكبير الذي يقع بجوار المدينة، ونوافذه عالية؟!».

قالت له: «إن ابنة الملك تعيش فيه، فقد تنبأ لها العرافون أن حبيبها الذي ستتزوجه سوف يجعلها تعيسة؛ ولهذا لا يقبل عليها أحد ليراها، إلا في حضور الملك والملكة».

فقال لها ابن التاجر: «شكرًا».. ثم ذهب إلى الغابة وجلس في الصندوق وطار به إلى سقف القصر، وزحف خلال النافذة حتى وصل إلى الأميرة، التي كانت تنام على إحدى الأرائك، ومن فرط جمالها قبَّلها ابن التاجر، فاستيقظت وهي خائفة، ولكنه طمأنها بأنه ملاك بلاد الأتراك الذي أتى إليها من السماء، فسعدت بذلك غاية السعادة.

جلس كل منهما قبالة الآخر، وقص عليها قصصًا تدور حول عيونها التي تشبه أجمل البحيرات الداكنة، فسبحت بخيالها مثل حوريات الماء.. وأبلغها بأن جبهتها تشبه الجبل الذي تتوِّج الثلوج هامته، كما أبلغها عن طائر اللقلق الذي يؤتي أجمل الفراخ الصغيرة.

أثنت الأميرة على قصصه الطريفة، فعرض عليها الزواج فوافقت على الفور، وقالت له: «يجب أن تأتي إلى هنا يوم السبت؛ لأن الملك والملكة سيحضران إلى هنا لتناول الشاي، وسوف يشعران بالفخر عندما أقدم لهما ملاك بلاد الأتراك. وعليك أن تلاحظ أن أبي وأمي سوف تعجبهما حكايتك الحقيقية الطريفة؛ فأمي تحب أن تسمع فيها الزخارف والروح المعنوية، بينما يحب أبي أن تكون مبهجة فتضحكه».

وقال لها: «لن أحضر معي هدية للزفاف سوى قصة».

Twitter: @alqareah

ثم غادر المكان، ولكن الأميرة أعطته سيفًا مطعَّمًا بعملات ذهبية، يستطيع أن يفكها وينفقها. وطار الآن، واشترى لنفسه برنس حمام جديدًا، وجلس في الغابة، وبدأ يؤلف قصة لتكون جاهزة قبل يوم السبت، الأمر الذي لم يكن سهلًا عليه.. وأقبل يوم السبت، فكان جاهزًا.

وكان الملك والملكة وكل الحاشية مجتمعين لتناول الشاي، فاستقبلوه استقبالًا حافلًا.. قالت الملكة: «هل ستقص علينا قصة عميقة المغزى تحمل قيمًا معنوية فاضلة؟!».

وقال الملك: «.. ولكنها يجب كذلك أن تكون مضحكة».

فأجاب ابن التاجر: «نعم، بطبيعة الحال، ويجب أن تصغوا إليَّ باهتمام بالغ»، وبدأ يقص قصته:

«ذات مرة كانت هناك علبة كبريت، وكانت أعوادها شجرة ضخمة من أشجار التنُّوب القديمة في الغابة.. كانت علبة الكبريت توضع فوق الرف بجوار القداحة وإحدى الأواني الحديدية القديمة، وكل منها يحكي عن فترة شبابه.

قالت أعواد الكبريت: «نعم، عندما كنا نعيش عاليًا على غصن أخضر، كنا حقًّا نعيش في رفعة، وفي كل صباح ومساء ينديِّنا الطل، وطوال اليوم يسطع علينا ضوء الشمس، بينما تحكي لنا الطيور حكايات عجيبة.. وكنا نعلم جيدًا أننا أثرياء؛ لأن أسرتنا ترتدي ثيابها الخضراء صيفًا وشتاءً، بينما الأشجار الأخرى لا ترتدي ثيابها الخضراء إلا في الصيف فقط.. وعندما أتانا قاطع الأخشاب، اجتثت أسرتنا من جذورها. ومُنح عماد الأسرة موقعًا على شكل سارية في سفينة فاخرة، تستطيع أن تطوف حول العالم إذا أرادت

Twitter: @alqareah

ذلك، وأصبح واجبًا علينا أن نمنح الضوء لكل طبقات المجتمع. وهذا هو السبب في وجود أناسٍ من طبقتنا العليا في المطبخ».

وقالت الآنية الحديدية: «الأمر يختلف بالنسبة لي، فأنا التي أرقد بجوار علبة الكبريت، فمنذ أن أتيت إلى هذا العالم خضعت للتنظيف والغليان مرات كثيرة. والحق يقال، إنني أتيت إلى هذا المنزل قبل أي شيء آخر. وبهجتي الوحيدة هي البقاءُ نظيفة ولطيفة على الرف، والحديثُ العاقل مع أقراني ورفاقي، ولكنني دائمًا أعيش داخل المنزل، بخلاف الدلو الذي يمتلئ بالماء ويذهب على فترات إلى فناء المنزل. وسلَّة السوق هي المبلِّغ الوحيد للأنباء، ولكنها تتحدث بحذر عن الحكومة والناس».

وقالت القدَّاحة: «أنتِ ثرثارة كثيرة الكلام»، ثم صكّ الزنادُ الصلبُ الصخرةَ فانطلقت شرارات منها. «ألسنا مقبلين على أمسية مبهجة؟».

وقالت علبة الكبريت: «نعم، دعنا نتحدث عمَّن يكون منا أكثر أرستقراطية».

قال وعاء الفخار: « كلاًّ، فأنا لا يمتعني الحديث عن نفسي، دعنا نستمتع هذا المساء بموسيقى الباليه الراقصة، وسأبدأ، وسوف أتحدث عن الأشياء التي اكتسبَ كلٌّ منا خبرتَها، ويمكنك الخوض فيها بنعومة، فهذا أكثر بهجة.. ففي بحر البلطيق، وبالقرب من غابة أشجار الزان الدنماركية....».

فقالت جميع الأطباق: «هذه بداية مفرحة، هذه هي القصص التي نهواها».

فأكمل وعاء الفخار حديثه: «.. حسنًا، هناك أمضيت شبابي بصحبة أسرة هادئة؛ فالأثاث لامع والأرض مغسولة والستائر النظيفة».

Twitter: @alqareah

قالت الممسحة: «يا للعجب! يا لك من روائي مشوق! فيمكنك أن تروي أن امرأة سبقت أن قالتها، فهذه النظافة عامة منتشرة».

وقال دلو الماء: «.. نعم، يمكنك أن تشعر بذلك، ثم قفز قفزة صغيرة تعبِّر عن الفرحة فانسكب الماء على الأرض. واستمر الوعاء الفخاري في استكمال قصته، وكانت نهايتها جيدة مثل بدايتها».

واهتزت الأطباق جميعًا وقعقعت من فرط سرورها، وتناولت الممسحة حزمة من البقدونس الأخضر من صندوق الرمل وتوَّجت به الوعاء؛ لأنها عرفت أن ذلك سيثير غضب الآخرين، وقالت: «إذا كنت أتوِّجها اليوم فسوف تتوِّجني غدًا».

كما قال ملقاط الفحم: «حسنًا، أريد أن أرقص»، وراح يرقص بالفعل، ثم أضاف قائلًا: «هل تتوجونني أنا كذلك؟» ثم توّجه الآخرون، وفكرت علبة الكبريت قائلة لنفسها: «كلهم رعاع».

والآن تغنّي غلاية الشاي، ولكن أصابها البرد، ولا يمكن أن يحدث هذا وهي تغلي، ولا يمكن أن تغني إلا عندما توضع على المائدة في غرفة الأسرة.. وفي النافذة جلس قلم قديم عبارة عن ريشة طائر، كانت تكتب به الخادمة. ولمجرد أنه كان يُغمس في المحبرة، يعتريه الغرور الآن حين يقول: «إذا لم تُغنِّ غلاية الشاي، فلا حاجة لنا بذلك؛ لأن هناك عندليبًا في الخارج، يستطيع الغناء. ومن المؤكد أنه لم يتعلم شيئًا، ولا ينبغي علينا أن نؤذي شعوره هذا المساء».

قال إبريق الشاي، الأخ غير الشقيق لغلاية الشاي، الذي يغني في المطبخ: «أرى أنه من غير المناسب أن يغني مثل هذا الطائر الغريب، فهل هو وطني؟ سأترك سلة السوق تحكم في الأمر».

Twitter: @alqareah

وقالت سلة السوق: «أنا غاضبة، غاضبة جدًّا أكثر مما يتصور المرء، أليس من الأفضل أن نعيد ترتيب البيت؟ ويجب أن يجد كل امرئ موقعه، وسأدبر كل الأمور، بينما يقوم آخر بالغناء والرقص».

فقال الجميع: «دعنا نُثِر جلبة!» وفُتح الباب في هذه اللحظة، فدخلت الخادمة فوقف الجميع صامتين. ولم تصدر من أي منهم صرخة فزع، ولم يكن هناك إناء لا يعرف ما يستطيع عمله، ولا يعرف كيف يكون متميزًا.

وفكَّر كلٌّ: «نعم، إذا أردْتُ أن أفعل ذلك، فسنمضي أمسيتنا في حيوية ونشاط».

تناولت الخادمة علبة الكبريت وأشعلت بها نارًا. يا إلهي! كيف يفرقع وينفجر وهو يشتعل.. وفكر الجميع : «كل فرد فينا الآن يستطيع أن يرى أننا الأوائل! أي لمعان ينبعث منا؟! يا له من ضوء!» ثم احترقوا بعدئذ».

وقالت الملكة: «تلك قصة ممتعة.. لقد شعرت تمامًا بأنني مع علبة الكبريت في المطبخ. والآن، أبشّرك بأن تتزوج ابنتنا».

وقال الملك: «أؤكد أنك ستتزوج ابنتنا يوم الأحد».

تحدد موعد الزفاف، فازدانت المدينة بالأضواء في المساء السابق، وقُدمت الحلوى والكعك وتزاحمت عليها الجماهير، وهتف الأولاد: «مبروك»، وهم يصفّرون بأصابعهم.. وكان هذا رائعًا حقًّا.

وفكَّر ابن التاجر: «حسنًا، أظن أنني من الأفضل أن أصنع شيئًا كذلك»، فاشترى صواريخ وطوربيدات وألعابًا نارية وفيرة ووضعها في الصندوق وطار بها في الهواء.

Twitter: @alqareah

طاخ.. بم! لقد انفجرت وأحدثت دويًّا هائلًا في المدينة، فقفز كل الأتراك في الهواء وطارت نعالهم حتى أدركت آذانهم.. وعرفوا الآن أن ملاك الأتراك هو الذي سيتزوج الأميرة.

وبمجرد أن عاد ابن التاجر إلى الغابة بصندوقه، فكَّر: «لابد أن أذهب الآن إلى المدينة لأرى كيف تبدو»، وبطبيعة الحال كانت رغبته صادقة معقولة.

يا للعجب! كيف يتحدث الناس؟ رأى في المدينة كل امرئ سأله على شاكلته، وأجمع الجميع على أنها مبهجة سارة.. قال أحد الأشخاص: «رأيت ملاك الأتراك! عيناه كالنجوم، ولحيته كأنها ماء من فوقه زبَد».

وقال آخر: «إنه يطير في ثياب نارية، وأجمل الملائكة الصغار ينظرون من بين جموع الجماهير».

والحقيقة أن كل ما سمعه كان مفرحًا، ففي الغد سوف يُزف إلى الأميرة.

والآن، عاد إلى الغابة ليجلس في الصندوق، ولكن أين هو؟

لقد احترق الصندوق! أمسكت به إحدى شرارات الألعاب النارية فأحرقته حتى صار رمادًا، ولم يعد يستطيع الطيران، ولن يستطيع الوصول إلى عروسه.. ووقفت الأميرة طوال النهار فوق سطح القصر تنتظر. وبينما هي تنتظر، راح يجول حول العالم يحكي قصصًا، ولكن ليس فيها قصة أكثر إمتاعًا من القصة، التي حكاها عن علبة الكبريت.

Twitter: @alqareah

خلال ألف سنة
1852

نعم، خلال ألف سنة سوف يأتون على أجنحة بخارية في الهواء عبر المحيط، ويأتي الشبان المستوطنون في أمريكا لزيارة أوروبا؛ ليشاهدوا فيها الآثار العريقة، وأطلال الديار التي صارت أثرًا بعد عين، كما نسافر نحن - الآن - إلى جنوبي آسيا حيث الروائع المدهشة.. وخلال ألف سنة سيحضرون.

سوف تبقى أنهار التايمز والدانوب والراين تتدفق، ويبدو جبل مونت بلان[1] واقفًا تتوِّجه الثلوج، وكذلك ظاهرة الأورورا الضوئية[2]، ولكن جيلًا بعد جيل تحول كل ذلك إلى رماد، ونُسيت صفوف من العظماء، مثل مَن سبقوا وينامون تحت الأكمات؛ حيث يصنع مالكها تاجر الدقيق الثري أريكة، يجلس عليها ويمد بصره عبر الحقول المتموجة بالقمح.

ويصيح الشباب الأمريكي: «هيا إلى أوروبا.. إلى بلاد آبائنا، بلاد الذكريات الجميلة والخيال.. أوروبا».

---

(1) جبل مونت بلان: جبل يبلغ ارتفاعه 4810 أمتار في جبال الألب على الحدود الفرنسية الإيطالية، ويقع شرقي فرنسا (ويبستر - المترجم).

(2) ظاهرة الأورورا: الشفق القطبي الشمالي: ظاهرة تظهر في الأراضي الشمالية، بالقرب من القطب الشمالي المغناطيسي في طبقة الأيونوسفير (ويبستر - المترجم).

Twitter: @alqareah

وتأتي سفينة الهواء(الطائرة) مزدحمة بالركاب؛ لأن سرعتها تفوق سرعة السفر بالبحر.. وقد أبلغ السلك الكهرومغناطيسي، الممتد في قاع المحيط كم يبلغ حجم قافلة الهواء. وقد بدأت أوروبا تظهر للعين- فهذا هو شاطئ أيرلندا- ولكن الركاب لا يزالون نائمين، ولا ينبغي إيقاظهم قبل أن يحلّقوا فوق إنجلترا، حيث تطأ أقدامهم أرض أوروبا في بلد شيكسبير، أرض السياسة أو الماكينات كما يسميها البعض.

وتستغرق الإقامة المؤقتة هنا يومًا كاملًا، وهو وقت كاف للجيل المشغول لزيارة إنجلترا واسكتلندا العظيمتين.

ثم يسارعون للطيران عبر نفق القنال إلى فرنسا، بلد تشامبرلين ونابليون. ويُذكر موليير، ويتحدث المتعلمون عن المدارس الكلاسيكية والرومانتيكية، وينعمون بحكايات عن الأبطال والمنشدين والعلماء غير المعروفين في زماننا، الذين يولدون بعدنا في ربوع باريس، فوهة البركان في أوروبا.

وتطير سفينة الهواء فوق البلاد التي أبحر منها كولومبوس؛ حيث وُلد كورتيز[1]؛ وحيث أنشد كالديرون[2] مسرحياته بالشعر المتدفق. ولا تزال النساء ذوات العيون السود الجميلة يقطنَّ الوادي المزهر، وتُحكى الأناشيد القديمة عن قلاع إلسِّيد والهمبرا[3].

(1) كورتيز (1485-1547) : المكتشف الإسباني فاتح المكسيك (ويبستر - المترجم).

(2) كالديرون (1600-1681) : كاتب مسرحي إسباني (ويبستر - المترجم).

(3) الهمبرا: القلعة الحمراء: قصر الملوك المغاربة في الأندلس، بالقرب من غرناطة في إسبانيا، وتأسس في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين (ويبستر - المترجم).

Twitter: @alqareah

وفي الطريق الجوي عبر البحر إلى إيطاليا حيث تقع روما العريقة الخالدة، ظهرت كامبانيا[1] كمتاهة.. أما كنيسة سان بيتر، فتظهر منها بقايا حائط وحيد مشكوك في نسبته إليها.

وفي اليونان يُمضي المسافرون الليل نيامًا في فندق فخم، على قمة جبل أوليمبوس[2]، لمجرد إثبات زيارتهم له.

وتستمر الرحلة إلى البوسفور؛ لقضاء بضع ساعات في الراحة ومشاهدة المنطقة التي تقع فيها بيزنطة[3].. ويبسط صيادو الأسماك شباكهم؛ حيث تحكي الأساطير التاريخية عن حديقة الحريم أيام الأتراك.

وعبَر المسافرون جوًّا أطلال المدن القديمة على شواطئ نهر الدانوب الثائر، وهي مدن لم يشهدها عصرنا، ولم تكن قد وُلدت في زماننا.. هبطت إليها سفينة الهواء لتقلع منها بعد قليل.

وهنالك تقع ألمانيا ذات الشبكة المحكَمة من السكك الحديدية والقنوات المائية، تلك الأرض التي تحدث فيها لوثر[4]، وغنى فيها جوته، وأحسن موتسارت في عصره التأشير بصولجان الموسيقى.. ولمع كثيرٌ من الأسماء في

---

(1) كمبانيا: إقليم في جنوبي إيطاليا يقع على البحر التيراني، وأهم مدنه نابولي (**ويبستر** - المترجم).

(2) جبل أوليمبوس: يقع في شمالي اليونان بين تيسالي ومقدونيا، ويبلغ ارتفاعه 2920 مترًا، وهو مذكور في الأساطير اليونانية (**ويبستر** - المترجم).

(3) بيزنطة: مدينة قديمة أنشئت عام 600 ق.م، في الموقع الذي توجد فيه إستانبول حاليًّا، وكانت قد سميت بالقسطنطينية عام 330 ميلادية (**ويبستر** - المترجم).

(4) مارتن لوثر (1483-1546): المقاتل الألماني الشجاع، ورجل الدين الذي ترجم الإنجيل، ورائد حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في ألمانيا (**ويبستر** - المترجم).

Twitter: @alqareah

العلوم والآداب والفنون، التي لم تكن معروفة لدينا. توقفت الرحلة يومًا واحدًا في ألمانيا ويومًا واحدًا في إسكندينافيا، بلد أورستيد[1] ولينايوس[2]، ويومًا واحدًا في النرويج، بلد الأبطال القدماء والمحدثين. وزار المسافرون أيسلندا في رحلة العودة إلى وطنهم، ولم تعد الفوارات التي تغلي مياهها تفور بعد، كما خمد بركان هيكلا[3]، ولكن المدينة الصخرية التي كانت مسرحًا خالدًا لملاحم الأسر العريقة، التي تحكي عن التقاليد والمغامرات والبطولات، ما زالت صامدة أمام زئير البحر.

قال الأمريكي الشاب: «هناك في أوروبا الكثير الجدير بالمشاهدة، وقد شاهدناه في ثمانية أيام، ويمكن تحقيق ذلك وفقًا لرؤية الرحالة العظيم - الذي ذكر اسمه المعاصر- في كتابه المشهور «**شاهدت أوروبا في ثمانية أيام**».

---

(1) أورستيد (1777-1851): عالم الفيزياء، مبدع الوحدة الكهرومغنطيسية في المجال المغنطيسي (ويبستر - المترجم).

(2) لينايوس (1707-1778م): عالم النبات السويدي (ويبستر - المترجم).

(3) بركان هيكلا : هو بركان يوجد في جنوب جزيرة أيسلندا، يبلغ ارتفاعه نحو 1490 مترًا (ويكيبيديا - المترجم) .

Twitter: @alqareah

جنِّية الورد
1839

كانت شجرة الورد تنمو وسط الحديقة، حافلة بالورود. وفي أجمل وردة فيها سكنت الجنية، متناهية الصغر، تتخذ مضجعها خلف كل ورقة من أوراق التويج. كانت الجنية جميلة، لها أجنحة بطول بدنها من الأكتاف حتى الأقدام. آه، ما أطيب الرائحة التي تنبعث من غرفة نومها! وما أزهى حوائطها الجميلة! وبعد كل هذا، فهي أوراق تويج الوردة الحمراء الرقيقة الباهتة.

وفي كل يوم، كانت الجنية تستمتع بدفء الشمس.. تتنقل من زهرة إلى زهرة.. تعدُّ الخطى وهي تجري على الطرق السريعة والممرات، وتعتبر ما نسميه نحن البشر عروق الورقة طرقًا سريعة وممرات لا نهاية لها في نظرها.. وقبل أن تنهي مشوارها غربت الشمس؛ لأنها بدأت متأخرة.

اشتد البرد وسقط الطل وهبت الريح؛ ولهذا عادت إلى مأواها .. ولكن الوردة كانت قد أغلقت أوراقها؛ بحيث تعذر عليها الدخول، فارتعدت فرائص الجنية الصغيرة المسكينة، التي لم يسبق لها أن خرجت ليلًا.

وفي الطرف الآخر من الحديقة، كانت تعرف أن هناك منزلًا صغيرًا في إحدى الشجيرات ذات الزهور الغنية بالرحيق.. فلتتسلق واحدة منها وتنام فيها حتى الصباح.

Twitter: @alqareah

طارت إلى هناك، فوجدت شابًّا أنيقًا وحورية جميلة، يجلسان متلاصقين ويتمنيان ألا يفترقا أبدًا.. كان كل منهما يعشق الآخر، أكثر من عشق الأطفال للأبوين.

قال الشاب: «لابد أن نفترق الآن؛ فأخوك يكيد لنا، ولهذا سيرسلني في مهمة بعيدة فوق الجبال والبحار.. وداعًا يا عروسي الجميلة».

ثم قبَّل كل منهما الآخر، وبكت الحورية وأعطت حبيبها وردة.. وقبل أن تناوله إياها ضغطت بشفتيها عليها بقبلة حارة حازمة فتفتحت الوردة، ودخلت الجنية الصغيرة بداخلها وأسندت رأسها إلى إحدى ورقاتها الرقيقة العطرة.. واستطاعت أن تسمع جيدًا ما كانا يقولانه: «وداعًا.. وداعًا». وشعرت الجنية أن الوردة استقرت على صدر الشاب الجميل. آه، ما أسرع خفقان قلبه، حتى أن الجنية الصغيرة لم تنم!

ولم تبقَ الوردة طويلًا على صدر الشاب، بل تناولها بيده وقبَّلها بحرارة، وتفتحت الوردة كما تتفتح لحرارة الشمس عند الظهيرة.

أقبل الآن رجل آخر عبوس غاضب، هو الشقيق الشرير للحورية الجميلة.. واستلَّ سكينًا كبيرة حادة طعن بها الشاب وهو يقبّل الوردة؛ فأرداه قتيلًا، ثم قطع رأسه ودفنها تحت شجرة الزيزفون.

ظن الأخ الشرير أنه قد انتهى من أمر الشاب، وكان يزمع القيام برحلة فوق الجبال والبحار.. وهناك بعثر بقدمه أوراق الشجر الذابلة فوق الأرض المقلَّبة، ثم عاد إلى بيته في ظلمة الليل الحالكة.. وظن أنه عاد وحيدًا، ولكن الجنية الصغيرة كانت ترافقه؛ إذ كانت جالسة في ورقة ذابلة من أوراق الزيزفون، سقطت فوق شعره عندما كان يحفر القبر؛ فالقبعة على رأسه

Twitter: @alqareah

الآن تخفي الجنية، التي جلست ترتعد من الخوف والغضب من هذه الفعلة النكراء، في هذا الجو المظلم.

دخل الرجل الشرير منزله عندما انبلج الصباح، فخلع قبعته ودخل غرفة نوم شقيقته، حيث ترقد الحورية الجميلة في ريعان شبابها وهي تحلم بمن تحب كثيرًا، ومال عليها الأخ الشرير، يضحك بخبث كما يضحك الشيطان. وحينئذ سقطت ورقة الشجرة الذابلة من فوق شعره على الفراش دون أن يلاحظها، وقفزت الجنية فجأة من الورقة الذابلة، وتوجهت إلى أذن الفتاة النائمة وأخبرتها، وكأنها في حلم، بجريمة القتل البشعة، ووصفت لها الموقع الذي قتله فيه والموقع الذي دفنه فيه. وأبلغتها بشجرة الزيزفون القريبة منها، وقالت: «حتى لا تظني أن ما أقول لك حلم، فسوف تجدين ورقة ذابلة فوق سريرك»، وهذا ما وجدته الحورية عندما استيقظت من نومها.

آه، كم بكت الحورية بدموع مالحة! ولم تستطع أن تأمن أحدًا على سر حزنها. وظلت النافذة مفتوحة طول النهار.. أما الجنية الصغيرة، فلم يطاوعها قلبها أن تترك الفتاة التي دهمها الحزن.. وفي النافذة، كانت تقف شجرة ورد، فجلست الجنية في إحدى أزهارها ونظرت إلى الفتاة المسكينة.. ودخل أخوها الغرفة عدة مرات شريدًا ومرحًا، ولكنها لم تستطع أن تدلي بكلمة عن قلبها الكسير.

وبمجرد حلول الظلام، تسللت الجنية خارجة من المنزل، وذهبت إلى الغابة، وتوجهت إلى البقعة التي تقع فيها شجرة الزيزفون، وأزاحت أوراق الشجر الذابلة من تحتها، وحفرت الأرض حتى عثرت على جثة القتيل.. آه، كم بكت وتضرعت إلى الله أن تموت الآن!

Twitter: @alqareah

أرادت الجنية أن تأخذ الجثة معها إلى المنزل، ولكنها لم تستطع أن تفعل ذلك.. فأخذت الرأس الشاحب ذا العينين المغلقتين، وقبّلت الشفتين الباردتين، وأزاحت عن شعرها الجميل ما علق به من أتربة.. وقالت: «أريد هذه»، وبعد أن غطت الجثة بالأتربة والأوراق، أخذت الرأس معها، وأخذت غصنًا صغيرًا من الياسمين نبت في الغابة حيث قُتِل.

وبمجرد أن دخلت غرفتها، أحضرت أكبر مزهرية عندها، ووضعت بها رأس القتيل وغطتها بالتراب، ثم غرست فسيلة الياسمين فيها.

همست الجنية الصغيرة: «وداعًا.. وداعًا». ولم تتحمل بعد رؤية هذه المأساة، ولهذا طارت إلى الحديقة ودخلت وردتها، التي تعلقت أوراق تاجها الذابلة بالكأس الأخضر للوردة.

وشهقت الجنية الصغيرة: «يا للهول! كيف يأتي كل شيء طيب وجميل إلى النهاية؟» ثم وجدت وردة أخرى، أخذتها مسكنًا تأوى إليه، خلف أوراق تاجها الرقيقة طيبة الرائحة.

في كل صباح، كانت الجنية تطير إلى النافذة لتطل على الفتاة المسكينة، وتقف بجوار المزهرية تبكي.. ولما سقطت الدموع المالحة على غصن الياسمين وبدا عليها الشحوب يومًا بعد يوم، نما الغصن وترعرع، ونبتت فيه فسائل جديدة، وتحولت البراعم الصغيرة البيضاء إلى زهور راحت تقبِّلها؛ ولكن الأخ الشرير نهرها على ذلك. وأسندت الفتاة رأسها إلى المزهرية ورأتها الجنية الصغيرة وقد أخذتها سِنَة من النوم هناك.. ثم تسلقت إلى أذن الفتاة؛ لتبلغها بما يدور في المنزل الصيفي في المساء حول الورود العطرة والحب بين الجنيات، ورأت الفتاة حلمًا جميلًا، فاضت فيه روحها إلى السماء، فماتت ميتة

Twitter: @alqareah

هادئة، وصعدت لتلتقي روحها بروح مَن أحبت.. وتفتحت أوراق زهور الياسمين البيضاء، وبثت رائحة طيبة تعبِّر بها عن رثائها للأموات.

ولكن الأخ الشرير نظر إلى الشجرة الجميلة المزهرة فأخذها لنفسه ميراثًا، ووضعها في غرفته بجوار سريرها، ودارت جنية الورد الصغيرة تطير من زهرة إلى زهرة؛ لتبلغها جميعًا عن جريمة قتل الشاب، الذي تحولت رأسه إلى رماد، وعن الأخ الشرير وأخته المسكينة.

قالت جميع الأرواح التي تسكن الزهور: «نعلم ذلك. ألم نقفز من عيني الميت وشفتيه؟!»، وأومأت برؤوسها بطريقة عجيبة.

ولم تفقه جنية الورد الصغيرة كيف تعرف الأرواح ذلك وتظل صامتة، فطارت إلى النحل الذي يجمع العسل، وأبلغته بقصة الأخ الشرير، الذي أبلغ بدوره ملكة النحل، فأمرت بقتل القاتل في صباح اليوم التالي.

ولكن في تلك الليلة، وهي أول ليلة تمر بعد وفاة الأخت، وبينما كان الأخ نائمًا في سريره بجوار شجرة الياسمين العطرة، فتحت كل زهرة كأسها، ودون أن يراها أحد تسلقت كل روح لزهرة خارجة وبيدها سهم مسموم.. جلست الأرواح بجوار أذنيه، فأبلغته كوابيس لعينة، ثم طارت إلى شفتيه وغرست في لسانه الأسهم المسمومة. وقالت قبل أن تعود إلى كئوس الياسمين الأبيض: «الآن، لقد انتقمنا للميت»، ثم عادت إلى كأس الياسمين الأبيض.

في الصباح، عندما انفتحت فجأة غرفة النوم، طارت جنية الورد وملكة النحل وكل مجموعة النحل إلى الداخل لتقتل القاتل، ولكنه وُجد ميتًا، وقال الناس الذين التفوا حول السرير: «قتلته رائحة الياسمين».

Twitter: @alqareah

عندئذ فهمت جنية الورد انتقام الزهور، ثم أبلغت ذلك إلى ملكة النحل، وكل مجموعة النحل التي طنَّت وهي تطير حول المزهرية. وعندما أخذ أحد الرجال المزهرية لدغته نحلة في يده، فسقطت المزهرية وتحطمت.

ثم رأوا الجمجمة البيضاء، وعرفوا أن الرجل الميت المسجَّي في السرير هو القاتل.. وطنَّت ملكة النحل في الهواء وغنت نشيد انتقام الزهور وجنية الورد، وكيف تسكن خلف كل ورقة زهر رقيقة روح، تعرف كيف تكشف الشر وتنتقم منه.

Twitter: @alqareah

إبريق الشاي
1864

كان إبريق الشاي فخورًا بأنه مصنوع من الخزف، وفخورًا بصنبوره الأمامي الطويل، وبمقبضه العريض. ولكنه لم يكن يتحدث عن غطائه الذي كُسر ولُحم؛ لأنه لا يجب أن يتحدث عن عيوبه، ومن المؤكد أن الآخرين يسلكون نفس المنهج؛ فأقداح الشاي ودورق القشدة والسكرية وكل أدوات الشاي يتذكرون بالتأكيد هشاشة الغطاء، ويتحدثون عنه أكثر من حديثهم عن المقبض الجيد والصنبور الرائع.. وكان إبريق الشاي يعرف ذلك.

قال إبريق الشاي: «أنا أعرفهم، وأعرف عيبي وأعترف به، فنحن جميعًا لنا عيوب، ولكن لكل شيء مواهب، فأقداح الشاي لها مقابض، والسكرية لها غطاء. وأنا بطبيعة الحال مُنحت الاثنين، بالإضافة إلى الصنبور، وهذا ما يجعلني ملكًا على مائدة الشاي؛ فالسكرية ودورق القشدة مُنحتا الميزة بأن تكونا خادمتين للشهية، ولكنني سيد، أبث البركات على بني آدم العطاشى، ففي داخلي توضع أوراق الشاي الصينية؛ لتغلى في الماء الذي لا طعم له».

قال إبريق الشاي كل هذا وهو في ريعان شبابه، حين وقف فوق المائدة المعدَّة لتقديم الشاي.. ورفعته أرق الأيدي الناعمة، ولكن هذه اليد الناعمة كانت قبيحة المنظر، فسقط الإبريق وكُسر صنبوره كما كسر مقبضه.. أما

Twitter: @alqareah

الغطاء فلا داعي لذكره، وكفى ما سبق قوله عنه. ورقد إبريق الشاي مغشيًّا عليه على الأرض، وسال منه الماء المغلي.. لقد تلقى صدمة عنيفة، تلتها صدمة أعنف، كانت من الذين يضحكون عليه، ولا يضحكون على اليد القبيحة التي أسقطته.

قال إبريق الشاي وهو يذكِّر نفسه بمجرى حياته: «لن أنسى هذه الواقعة؛ إذ وضعوني بعدها في أحد الأركان. وفي اليوم التالي أعطوني لامرأة متسولة تطلب الحسنات، وهنالك غُصتُ في قاعِ العدم، ووقفت مشدوهًا لا أنطق بأية كلمة. وبينما أنا واقف هناك دبت فيَّ حياة أفضل؛ إذ تحولت من وظيفة إلى وظيفة أخرى، حيث مُلئت بالطين، الذي زُرِعَتْ فيه بصيلة زهر.. مَن الذي أتى بها؟ ومَن الذي زرعها؟ لا أعرف.. كان هذا تعويضًا عن الماء المغلي وأوراق الشاي الصينية، بعد أن كُسر صنبوري ومقبضي.. وهكذا صارت البصيلة بداخلي، فصارت قلبي النابض، ولم يسبق أن حصلتُ على مثلها من قبل.. صرتُ ممتلئًا بالحياة، امتلأتُ قوة وحيوية، ونبضتِ البصيلة بالحياة فازدهر نباتها، وتدفقتْ فيها الأفكار وانتعشتِ العواطف، حتى بزغت الزهور.. رأيتها وحملتها ونسيت نفسي من فرط حبي لها، فما أسعد المرء حين ينسى نفسه بتذكر الآخرين! وقد حازت على الإعجاب والمديح، وكنت سعيدًا بهذا، وكم يسعد المرء بذلك. وذات يوم سمعت شخصًا يقول إنها تستحق وعاء أفضل مني.. وانفلقتُ نصفين؛ إذ أصابني أذى رهيب، ولكن الزهرة وُضعت في أصيص أفضل.. أما أنا فألقوني في الفناء؛ لأرقد فيه شقفة قديمة، ولكنني أحتفظ بذكرى لا أنساها».

Twitter: @alqareah

ديك الجرن وديك الطقس
1860

كان هناك ديكان: أحدهما يقف فوق كومة الروث، والآخر يقف أعلى السقف.. كان كلاهما غريرًا، ولكنْ مَنْ منهما أكثر إنجازًا من الآخر؟ دعنا نعرف ذلك.

فصَل السور الخشبي حظيرة الدجاج عن الحظيرة الأخرى، التي كانت بها كومة من الروث.. نمت عليها مدَّادة خيار كبيرة مثمرة، مقتنعة تمامًا بأنها نبات الصوبات الدافئة.

قالت الخيارة، وهي متأكدة من صميم ذاتها: «ليس كل من يولد خيارًا، ولابد من وجود كائنات حية أخرى، كالدجاج والبط، وكل ما تحتوي عليه المزرعة المجاورة، ودوري هو التطلع إلى ديك الجرن الواقف على السور، ومن المؤكد أنه ذو أهمية أكبر من ديك الطقس، الموضوع في أعلى مكان، فهو لا يستطيع الصياح، وليس له دجاجات ولا كتاكيت؛ فهو لا يفكر إلا في ذاته، وينضح عرقًا من صدأ النحاس والبرونز. أما ديك الجرن فهو ديك حقيقي! انظر إليه فهو يتبختر مزهُوًّا، ويرقص ويصيح.. إنها الموسيقى، فأينما ذهب تسمع الأنغام الموسيقية، وإذا جاءني هنا وإذا أكلني- بأوراقي وجذوعي وكل شيء- وإذا دخلت في جوفه، فأي موت رائع ذلك الذي يدهشني!».

Twitter: @alqareah

في وقت متأخر من الليل، هبت عاصفة رهيبة؛ فبحثت الدجاجات والكتاكيت وحتى الديك عن مأوى.. وكان السور بين الحظيرتين قد اجتاحته العاصفة فتحطم، ولكن ديك الطقس ظل ثابتًا ولم يستدر حوله؛ إذ إنه لم يستطع ذلك، فقد ولد عجوزًا ولا يشبه الطيور التي تطير في الهواء، مثل العصافير؛ فالحمامات كبيرة وبراقة مثل أم اللؤلؤ، تشبه نوعًا من أنواع ديكة الطقس، ولكنها سمينة وغبية.. كما أن الطيور السارحة قامت كذلك بالزيارة، وحكت عن البلاد الأجنبية وعن الأسراب في الهواء، وعن قصص الديك والثور المرعبة، وعن الطيور الجارحة. ولكن ديك الطقس علم أخيرًا أن هذه القصص تكرر نفسها؛ حتى صار الأمر مملًّا.

وقال: «ليس العالم جيدًا، فكل شيء فيه سخيف».

كان ديك الطقس يُعرف بأنه لا ينفعل، وهذا ما يجعله في موضوع اهتمام الخيارة إذا عرفت ذلك، ولكنها تتطلع فقط إلى ديك الجرن، الذي يقف معها في الحظيرة الآن.

سقط السور.. وانقشع البرق والرعد.

فقال ديك الجرن للدجاج والكتاكيت: «ما الذي تقولونه عن ذلك الفجر وقت صياح الديك؟! لقد كان غير مبهج، وتنقصه اللياقة».

وقال للخيارة عبارة واحدة، يعبر فيها عن مدى شعوره نحوها: «يا نبات الحديقة!» فكشف بذلك عن تربيته العريقة، فأنساها أنه كان ينقرها ويأكلها.. «الموت الطروب».

وحضرت الدجاجات والكتاكيت، وهم يصيحون وينظرون إلى الديك بفخر وإعجاب؛ لأنه واحد من جنسهم. وصاح الديك: «كوكوكوكوك،

Twitter: @alqareah

وهنا تتحول الكتاكيت على الفور إلى دجاجات كبيرة، عندما أقول ذلك في حظيرة الدجاج العالمية».

وتصيح الدجاجات وتئن الكتاكيت من خلفها.

وأعلن الديك أخبارًا عظيمة: «يستطيع الديك أن يضع بيضة، وهل تعلمون ماذا يوجد داخل هذه البيضة؟ الثعبان الأسطوري[1] الذي يقتل من ينظر إليه، ولا يتحمل أحد النظر إليه، ويعلم البشر ذلك، والآن أنتم تعلمون ما بداخلي.. تعلمون أنني ديك الجرن المشَّاء».

ثم خفق ديك الجرن بجناحيه ورفع عرفه وصاح ثانية، فارتعدت كل الدجاجات والكتاكيت الصغار، ولكنهم كانوا شديدي الإعجاب والزهو بأن واحدًا منهم هو ديك الجرن المشَّاء، فظلوا يصيحون حتى سمع ديك الطقس ذلك الصياح، ولكنه لم يعبأ به.

قال ديك الطقس: «هذا هراء وباطل كله، فديك الجرن لن يضع بيضة، ولا يهمني ذلك، فإذا ما أردتُ فعل ذلك، وضعتُ بيضة الريح، ولكن العالم لا يستحق بيضة الريح، ولا يهمني حتى البقاء هنا».

وحينئذ سكت ديك الطقس، ولكنه لم يستطع أن يقتل ديك الجرن.

قالت الدجاجات: «حتى ولو كان واثقًا من ذلك!».

فماذا تقول الحكمة: «صحيح.. إنه من الأفضل أن تصيح من أن تصمت ولا تُبالي!».

(١) الثعبان الأسطوري **Basilisk**: ثعبان سام يبلغ طوله 6 بوصات، ينفث السم ويسكن في الصحراء، ونظراته كذلك قاتلة، فقس من بيضة ديك رقدت عليه حية (**الأساطير العالمية، ويبستر** – المترجم).

Twitter: @alqareah

ذَكَر الفراش
1861

أراد ذكر الفراش أن تكون له حبيبة.. ومن الطبيعي أن يرغب في واحدة من الزهور الأنيقة الصغيرة. فنظر إلى جميع الزهور، فوجد كلًّا منها تجلس رقيقة ناعمة على ساقها، كما تجلس العذراء قبل خِطبتها، وصار الأمر مزعجًا أن يختار منها واحدة. لم ينزعج ذكر الفراش وهو يطير إلى زهرة الربيع، التي يسميها الفرنسيون «مارجريتا»، ويعتقدون أنها تنبئ عن المستقبل، عندما يقطف حبيبها أوراقها ورقة ورقة ويسألها مع كل ورقة يقطفها: «هل تحبينني أم لا ؟ أتحبينني كثيرًا؟ أتحبينني قليلًا؟ أم لا تحبينني بالمرة؟».. وكان كل حبيب يطرح أسئلته بلغته الخاصة.. أتى ذكر الفراش كذلك ليسأل، ولكنه لم يقطف الأوراق بل قبَّلها واحدةً واحدة، وبنى رأيه عن الزهرة التي لا تلجأ إلى القوة.

فقال ذكر الفراش: «يا حبيبتي «مارجريت»! أنتِ أعقل امرأة بين كل الزهور، وأنت تجيدين التنبؤ بالمستقبل. أبلغيني هل أتزوج هذه أو تلك؟ فإذا وجدتها، طرت إليها مباشرة وخطبتها».

ولم تحر «المارجريت» جوابًا بالمرة؛ إذ إنها لم تتحمل نداءه لها بأنها امرأة، فهي ليست امرأة بل عذراء يانعة. وعندما لم يتلقَّ منها كلمة واحدة، لم يزعج نفسه بسؤالها بعدئذ، وطار ليخطب دون كلام كثير أبعد من ذلك.

Twitter: @alqareah

جاء الربيع مبكرًا، فهطلت قطرات الجليد وبزغت زهور الزعفران بوفرة.. وقال ذكر الفراش: «إنك لطيف جدًّا، وحبيب ومرشح للزواج بكل تأكيد، ولكنك أخضر قليلًا!»، وهو كشابٍّ يبحث عن فتاة أكثر نضجًا، فطار إلى نبات ذي زهور حمراء وبيضاء وزرقاء، وكانت حامضة لاذعة المذاق بالنسبة له، وزهرة الأقحوان روحانية، بينما زهرة الخزامى لامعة ورخصة، وأما النرجس الأبيض فزهرة برجوازية راقية، وزهرة الليمون صغيرة ولها أقرباء كثيرون.. ومن المؤكد أن زهرة التفاح تشبه الوردة، ولكنها تظهر اليوم وتذوي غدًا، طبقًا لما تأتي به الرياح.

وفكر في أمر هذا الزواج السريع؛ فزهرة البازلاء أكثرها بهجة، فهي بيضاء وحمراء، صافية ورقيقة، وهي إحدى الخادمات المنزلية، التي تبدو جميلة المنظر.. لكنها سرعان ما تُقطف للمطبخ. ذهب إليها ليخطبها، فوجد بجوارها قرنًا، ذبلت زهرته من فوقه.. فقال لها: «ما هذا؟».

قالت زهرة البازلاء الجميلة: «إنها شقيقتي».

فقال لها: «حسنًا، هذا هو مصيرك فيما بعد»، وخاف منها ذكر الفراش وانصرف بعيدًا.

وتعلقت على السور نباتات متسلقة طيبة الرائحة، ذات زهور صفراء أو وردية. وكانت هذه الزهور ذات الوجه الطويل والبشرة الشاحبة متوافرة، ولكنها ليست من النوع الذي يناسبه.

حسنًا.. فما النوع الذي يطلبه ذكر الفراش؟ وجِّهي إليه السؤال!

مضى الربيع ومضى الصيف وأقبل الخريف.. وبذل جهودًا يتجاوز بها العقبات، وبدت الزهور في أبهى حللها، ولكن أيُّ حُسْن فيها؟ كانت

Twitter: @alqareah

تنقصها النضارة والقلب الطيب ذو الرائحة العطرة، التي يرتاح إليها القلب، ولكن ليس في زهور الأضاليا وعناقيد الزهور كثير من العطر، ولهذا توجه ذكر الفراش إلى النعناع، قائلًا: «الآن، ليس له زهور على الإطلاق، ولكن تنبعث منه رائحة الزهور.. من الجذر حتى الذروة، وفي كل ورقة، وذلك ما أبتغيه».

- وأخيرًا تمت الخطبة.

ولكن شجرة النعناع وقفت ثابتة وجامدة، ثم قالت في آخر الأمر: «الصداقة فقط ولا أكثر من ذلك، فأنا عجوزة وأنت عجوز، ونستطيع أن يعيش كل منا للآخر، أما الزواج فلا.. لا تدعنا نضحك على أنفسنا!».

وهكذا لم يحصل ذكر الفراش على واحدة على الإطلاق، فقد بحث كثيرًا فيما لم يفعله أحد، وصار ذكر الفراش أعزب كما يقولون.

وفي أواخر الخريف جاء المطر والرذاذ، وسلَّطت الريح رعدتها الباردة على أغصان أشجار الصفصاف القديمة، فأحدثت بها صريرًا مسموعًا. ورأى ذكر الفراش أنه ليس من الصواب الطيران بثياب الصيف، وإلا تعرَّض لمفاجأة غير سارة كما يقولون، فلم يخرج، ودخل أحد البيوت مصادفة، حيث توجد نار بالموقد، وفي الحقيقة كان الطقس دافئًا كالصيف، وهنا طاب له العيش.. فقال: «لكن العيش وحده ليس كافيًا، فلابد من أشعة الشمس والحرية وزهرة صغيرة!».

وطار متجهًا إلى زجاج النافذة ورآه الآخرون بإعجاب، وهو يرتشق في دبوس في صندوق التحف، ولم يستطع أحد أن ينقذه.

Twitter: @alqareah

قال ذكر الفراش: «أنا الآن أجلس فوق ساق كما هو شأن الزهور، ولكن الأمر ليس مفرحًا؛ فأنا حقًّا مثل المتزوج.. مرتشق!» وكانت هذه العبارة عزاءً له.

قالت الزهور المزروعة في الأصص داخل الردهة: «إنه لعزاء أليم».

وفكر ذكر الفراش، ثم قال لنفسه: «ولكنني لا أصدّق الزهور المزروعة في الأصص، فهي تتآلف كثيرًا مع الناس».

Twitter: @alqareah

كلاوس الصغير وكلاوس الكبير(*)
1835

في إحدى المدن، عاش رجلان لهما نفس الاسم، فكلاهما كان يُدعى «كلاوس»، ولكن أحدهما كان يملك أربعة أحصنة، بينما كان الآخر يملك حصانًا واحدًا. ولتمييز أحدهما عن الآخر، سُمّي من يملك أربعة أحصنة «كلاوس الكبير»، وسُمّي من يملك حصانًا واحدًا «كلاوس الصغير»، وهذه قصة حقيقية.

ظل «كلاوس الصغير» يحرث أرض «كلاوس الكبير»، بعد أن أعاره حصانه، ثم عاونه «كلاوس الكبير» بدوره بإعارته خيوله الأربعة. ولكن حدث في أحد الأسابيع- وتحديدًا في يوم الأحد- أن فرقع «كلاوس الصغير» سوطه على الخيول الخمسة، بينما كانت جميعها تعمل على الوجه الأكمل. وكانت الشمس مشرقة، كما كانت جميع أجراس الكنيسة تدوي في أبراجها، وقد ارتدى الناس أفخر ثيابهم، وتأبط كل منهم كتاب **التراتيل المقدسة**، وهم في طريقهم للاستماع إلى مواعظ الكاهن. ورأوا «كلاوس الصغير» وهو يحرث الأرض، ويحث خيوله الخمسة قائلًا: «هيًا يا خيولي جميعًا!».

(*) انظر «بيڤيت: الفلاح الداهية» في **حكايات الجن الألمانية**، التي جمعها الأخوان جريم في ألمانيا، وترجمها إلى العربية مترجم هذه الحكايات، وأصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة في سلسلة «آفاق عالمية» عام 2004.

Twitter: @alqareah

فقال له «كلاوس الكبير»: «لا تقل هذا، لأنك لا تملك منها غير حصان واحد».

ولكن أحد المارة الذاهبين إلى الكنيسة، سمع «كلاوس الصغير» مرة أخرى يصيح في الخيل، وقد نسي تحذير «كلاوس الكبير» قائلًا: «هيا يا خيولي جميعًا!».

وبلغ الخبر «كلاوس الكبير» الذي قال له: «حسنًا، ألم أقل لك أن تكف عن صياحك هذا؟ إذا نطقت هذه العبارة مرة ثانية فسوف أقتل حصانك».

فقال «كلاوس الصغير»: «أؤكد لك أني لن أرددها ثانية!» ولكن الناس، الذين يمرون بجواره، بثوا في نفسه الغرور بأنه يحرث الأرض بخمسة خيول، فأخذته العزة بالإثم وفرقع بسوطه وصاح: «هيا يا خيولي جميعًا!».

فقال له «كلاوس الكبير»: «سوف أقتل حصانك»، ثم تناول حبلًا في نهايته مطرقة، وصوب المطرقة إلى جبهة حصان «كلاوس الصغير» فخرَّ صريعًا في الحال.

وصاح «كلاوس الصغير»: «وا أسفاه! الآن فقدتُ حصاني». وبدأ يبكي.. وبعدها سلخ الحصان وأخذ الجلد وجففه جيدًا في الهواء، ثم وضعه في حقيبة حملها على ظهره، وتوجه إلى المدينة ليبيع جلد حصانه.

كان عليه أن يقطع مسافة طويلة، خلال درب مظلم في الغابة، حين هبت عاصفة هوجاء، فضلَّ الطريق، وطالت المسافة بينه وبين بيته من ناحية، وبينه وبين المدينة من ناحية أخرى، فلا يستطيع الوصول إلى أيهما قبل زوال الظلام.

وعلى جانب الطريق، يوجد منزل ريفي كبير، كانت شرَّاعاته الخارجية مغلقة، ولكنَّ الضوءَ ما زال ينبعث من داخله. ودارت بذهنه خاطرة تقول: «آمل أن يسمح لي أهل المنزل بقضاء الليلة عندهم!» وتوجه إلى الباب يدقه.

Twitter: @alqareah

فتحت ربة البيت زوجة الفلاح، ولما سمعت ما كان يبتغيه، أخبرته بأن زوجها ليس بالمنزل، وهي لا تستطيع أن تأوي أي غريب.

فقال لها «كلاوس الصغير»: «إذًا، سأضطر إلى النوم خارج المنزل»؛ فأغلقت السيدة الباب في وجهه.

وبالقرب من المنزل كانت توجد كومة كبيرة من القش؛ وما بين هذه الكومة والمنزل الريفي يوجد كوخ صغير سقفه مسطح.

قال «كلاوس الصغير»: «أستطيع أن أرقد في هذا الكوخ، فهو في النهاية سرير وثير».

زحف «كلاوس الصغير» إلى داخل الكوخ؛ ليقضي فيه الليل. وكانت الشراعات الخشبية التي تغطي نافذة المنزل تسمح لـ «كلاوس» بأن يرى كل ما يدور في الردهة.

رأى «كلاوس» مائدة كبيرة حافلة بالخمور والمشويات والسمك الشهي، وإلى المائدة جلست زوجة الفلاح ومعها الكاهن بمفردهما.. فقال «كلاوس الصغير» لنفسه: «يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزًا عظيمًا!».

وهنا سمع صوتًا لأحد المارة ممتطيًا دابته على طول الطريق، متجهًا نحو المنزل.. كان زوج السيدة قادمًا من الخارج.. كان رجلًا طيبًا، ولكنه لا يتحمل أن يرى الكاهن؛ مما جعل الكاهن يلبي دعوة الزوجة، عندما علم أن زوجها ليس بالمنزل، وأنها أعدت له مائدة حافلة بأشهى الأطعمة. والآن، عندما سمعا صوت اقتراب الزوج ارتعدت فرائصهما، وأدخلت الزوجة الكاهنَ داخل صندوق فارغ كان موضوعًا في أحد الأركان، وسارعت إلى إخفاء الطعام اللذيذ والخمر والنبيذ في موقدها؛ لأن الزوج إذا رأى هذه الأشياء، فسوف يسألها عما كان يحدث.

Twitter: @alqareah

سأل الفلاح، وهو يتطلع إلى «كلاوس الصغير»: «هل يوجد أحد هنا؟ ولماذا ترقد هناك؟ تعال إلى المنزل بدلًا من رقادك هذا في الكوخ».

وحينئذ أبلغه «كلاوس الصغير» كيف ضل الطريق، وطلب منه أن يمضي الليلة معه.. فأجابه الفلاح مرحِّبًا: «يا للعجب! هذا أمر طبيعي، ولكن دعنا أولًا نتناول بعض الأطعمة معًا».

ورحبت الزوجة بهما بحرارة، وأعدت المائدة، وقدمت لهما صِحافًا من الثريد، وكان الفلاح جوعان فتناول طعامه بشهية، ولكنَّ «كلاوس الصغير» ظل يفكر في المشويات الشهية والأسماك اللذيذة والكعكة، التي كانت معدَّة قبل أن توضع في الموقد.

وضع «كلاوس الصغير» حقيبته تحت قدميه أسفل المائدة، وبها جلد الحصان الذي أتى به ليبيعه، ولم يكن يشتهي الثريد على الإطلاق، ولهذا ضغط على الحقيبة بقدمه، فأحدث الجلد الجاف صريرًا عاليًا.

وهنا قال «كلاوس الصغير»: «اصمت!»، ثم ضغط على الحقيبة ثانية، وجعلها تطلق صوتًا أعلى من سابقه.. فسأله الفلاح: «يا للعجب! ماذا تضع في حقيبتك؟».

فأجاب «كلاوس الصغير»: «آه، إنه ساحر! يقول إننا لا نأكل الثريد، بل يريد كل ما يوجد داخل الموقد من مشويات وأسماك وكعك».

قال الفلاح: «ما هذا؟» وفتح الموقد بسرعة، فرأى الطعام الشهي الذي خبأته الزوجة، وهو يظن أن الساحر الموجود بداخل الحقيبة سَحرَه. ولم تستطع الزوجة أن تقول شيئًا، بل وضعت الطعام فورًا على المائدة، فتناوله الرجلان.. وعلى الفور ضغط «كلاوس الصغير» بقدمه على الحقيبة مرة ثانية فأحدث الجلد صريرًا.

Twitter: @alqareah

فسأل الفلاح: «وماذا يقول الساحر الآن؟».

فأجاب «كلاوس الصغير»: «لقد سَحَر كذلك ثلاث زجاجات من النبيذ، وهي موضوعة كذلك في الموقد».

واضطرت الزوجة إلى إخراج النبيذ الذي خبأته، فشرب الفلاح حتى سكر، وتمنى لو حصل على ساحر، مثل الذي يضعه كلاوس الصغير في حقيبته.

وسأل الفلاح «كلاوس الصغير»: «هل يستطيع أن يحضّر الشيطان كذلك؟ فإني أريد حقًّا أن أراه، لأنني الآن سعيد جدًّا».

فأجاب «كلاوس الصغير»: «نعم، فساحري يستطيع أن يفعل كل ما آمره به»، ثم تظاهر «كلاوس» بأنه يحادث الساحر، الذي في الحقيبة: «هل تستطيع أن تفعل هذا؟» ثم ضغط على الحقيبة حتى أصدرت صريرًا، فقال «كلاوس» للفلاح: «ألا تسمع؟ إنه يقول بالطبع، ولكن الشيطان الذي تريده يبدو مرعبًا؛ بحيث لا تطيق النظر إليه».

فرد الفلاح: «آه! أنا لا أخشاه على الإطلاق، فماذا تظن أن يكون منظره؟».

فأجاب «كلاوس»: «حسنًا، سوف يبدو في شكل كاهن».

فقال الفلاح: «يا للعجب، إن هذا لشيء مخيف؛ فإنني لا أطيق رؤية الكهنة، ولكن لا بأس، فإني أعلم أنه الشيطان، وسوف أتحامل على نفسي عند رؤيته، وسألتزم الشجاعة إزاءه، بشرط ألا يقترب مني».

قال «كلاوس الصغير»: «الآن سوف أطلب من الساحر تحضير هذا الشيطان»، ثم ضغط على الحقيبة وأصغى إليه السمع.

Twitter: @alqareah

فسأل الفلاح: «ماذا يقول؟».

أجاب «كلاوس الصغير»: «يقول إنك تستطيع أن تفتح الصندوق القابع في هذا الركن لترى الشيطان خائر القوة بداخله، ولكنك يجب أن تمسك الغطاء جيدًا حتى لا يقفز هاربًا».

فقال الفلاح: «هل تساعدني في هذا العمل؟» ثم ذهب إلى الصندوق الذي خبأت فيه الزوجة الكاهن، الذي قبع داخله خشية الموت. وفتح غطاء الصندوق بحذر واسترق نظرة تحته، فصاح صيحة مدوية وقفز إلى الخلف، وقال: «نعم، رأيته، إذ يبدو قريب الشبه تمامًا من كاهننا.. يا للعجب! إنه لشيء مخيف».

واضطر الفلاح و«كلاوس الصغير» أن يشربا بعدئذ، وظلّا يشربان حتى ساعة متأخرة من الليل.

قال الفلاح: «أريدك أن تبيع لي هذا الساحر، ولك ما تشاء، فسوف أعطيك في مقابله قفة مملوءة بالأموال».

فقال «كلاوس الصغير»: «لا أستطيع عمل ذلك.. فكّر جيدًا في كم يفيدني هذا الساحر».

قال الفلاح: «آه! يا ليتني أحظى بهذا الساحر!» وظل يتوسل إلى «كلاوس الصغير» حتى قال: «حسنًا، بما أنك كنت كريمًا معي وآويتني هذه الليلة، فلا بأس في ذلك.. سأعطيك الساحر، نظير قفة من المال بحيث تكون مملوءة تمامًا».

وقال الفلاح: «سوف تأخذ هذا المال، بشرط أن تأخذ هذا الصندوق معك؛ لأنني لا أريده أن يبقى في منزلي ساعة واحدة، فأنت لا تعرف ماذا يحدث، لو أنه ظل بالمنزل».

Twitter: @alqareah

وأعطى «كلاوس الصغير» الفلاح حقيبته وبها الجلد الجاف، وأخذ منه قفة مملوءة بالمال في نظيرها، وعربة يد يحمل بها المال والصندوق.

في الجانب الآخر من الغابة، يوجد نهر عميق، يجري ماؤه سريعًا؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يسبح ضد التيار. وعبْر هذا النهر أُقيمَ جسر كبير جديد.. وقف «كلاوس الصغير» في منتصفه، وقال بصوت مرتفع يُسْمِع الكاهن داخل الصندوق: «حسنًا، ماذا أنا فاعل بهذا الصندوق القديم؟ فهو ثقيل كما لو كان مملوءًا بالأحجار.. وقد تعبتُ من دفعه أمامي في العربة، ولهذا فلابد أن أُلقي به في النهر؛ فإذا عام وأتى إلى منزلي.. فهذا شيء طيب، وإذا لم يحضر فلا بأس بفقده».

وأمسك الصندوق بيدٍ، وهمَّ برفعه تمهيدًا لقذفه في النهر، فصاح الكاهن من داخل الصندوق، وقال: «لا، توقف، لا تفعل ذلك، دعني أخرج من الصندوق!».

وتظاهر «كلاوس الصغير» بالخوف، وقال: «يا للهول! لقد ظل جالسًا هنا. وقد عاهدت نفسي أن ألقيه في النهر حتى يغرق».

فصاح الكاهن: «آه آه. لا. لا. سأعطيك قفة مملوءة بالمال، إن أقلعت عن هذا».

قال «كلاوس الصغير»: «حسنًا، هذه قصة أخرى» . وفتح الصندوق، وزحف الكاهن خارجًا من الصندوق على الفور، وقذف الصندوق الفارغ في الماء، ثم توجه مع «كلاوس الصغير» إلى منزله؛ حيث سلَّمه قفة مملوءة بالمال. وبهذا أصبحت مع كلاوس قفتان مملوءتان بالمال: إحداهما من الفلاح والأخرى من الكاهن، فسار بعربته مملوءة بالأموال.

Twitter: @alqareah

عندما وصل «كلاوس الصغير» إلى كوخه، أفرغ القفتين على أرضية البيت، وكوَّن منهما كومة كبيرة من المال. وقال لنفسه: «ترى، كم من ثمن باهظ حققت من جلد حصاني! سوف يزعج هذا «كلاوس الكبير»، عندما يعرف كم أصبحت غنيًّا من حصان واحد، ولكنني لن أبلغه بذلك»، ثم أرسل ولدًا إلى «كلاوس الكبير» ليقترض منه المكيال.. وفكر «كلاوس الكبير»: «يا ترى لماذا يريد «كلاوس الصغير» المكيال؟» ورشَّ بعضًا من القار في قاع المكيال؛ حتى تلتصق به بعض الأشياء التي يكيلها. وهذا ما حدث، حيث وجد «كلاوس الكبير» في قاع المكيال، عندما ردَّه إليه «كلاوس الصغير»، ثلاث عملات من الفلورين الفضية ملتصقة به.

وهرول «كلاوس الكبير» إلى «كلاوس الصغير» وقال له: «ما هذا؟ من أين أتيت بكل هذا المال؟».

فأجابه «كلاوس الصغير»: «آه، هذا ثمن جلد حصاني، بعته مساء أمس».

فقال له «كلاوس الكبير»: «يا له من ثمن باهظ!»، ثم انطلق إلى منزله وتناول فأسًا وضرب بها خيوله الأربعة على رؤوسها فقتلها وسلخها وتوجه إلى المدينة بجلودها.. وسار في الشوارع ينادي: «جلود .. جلود».

وأتى إليه كل صناع الأحذية والدباغين يسألونه بكم يبيع هذه الجلود، فقال لهم: «كل منها بقفة من المال».

فقالوا له جميعًا: «هل أنت مجنون؟ أتظن أننا نملك أطنانًا من المال؟».

وسار ثانية في الشوارع يصيح: «جلود.. جلود.. من يشتري مني الجلود؟» وكلما سأله واحد عن الثمن، أجاب بأنه: قفة من المال.. فيرد

Twitter: @alqareah

عليه الجميع قائلين: «إنه يحاول أن يسخر منا». ثم أحضر صناع الأحذية شرائح من جلودهم، وأحضر الدباغون مآزرهم الجلدية، وصاروا يضربون «كلاوس الكبير» بالسيور الجلدية، وقلدوه في ندائه سخريةً منه: «جلود.. جلود.. نعم، سوف ننهال عليك ضربًا، حتى تصبح مثل الحيوان المسلوخ! ارحل عن مدينتنا!» وانطلق «كلاوس الكبير» بأسرع ما يمكن خارجًا من المدينة، فلم يسبق أن تلقى مثل هذه العَلقة الساخنة.

وقال بعد أن عاد إلى منزله: «آه! سوف أنتقم منك يا «كلاوس الصغير»، سوف أقتلك».

في هذه الآونة ماتت جدة «كلاوس الصغير» العجوز في منزله، وقد كانت حادة الطباع في التعامل معه، كما كانت بغيضة على نفسه، ولكنه كان حزينًا عليها، فحملها وأرقدها في سريره؛ ليحاول إنقاذها وإعادتها إلى الحياة مرة أخرى.. وظلت مسجاة في السرير طوال الليل، بينما نام هو جالسًا في أحد المقاعد في ركن المنزل، كما كان يفعل أحيانًا.

وبينما هو جالس في مقعده أثناء الليل، دق نفرٌ الباب، ودخل «كلاوس الكبير» وفي يده فأس.. وكان يعرف جيدًا موقع سرير «كلاوس الصغير»، فتوجه إليه على الفور، وضرب الجدة العجوز في جبهتها بالفأس ظنًّا منه أنها «كلاوس الصغير»، وهو يقول: «لن تستطيع أن تسخر مني بعد اليوم!» ثم عاد إلى منزله.

قال «كلاوس الصغير»: «يا للعجب! ما أبغضك! وما أشقاك أيها الرجل! لقد أراد أن يقتلني، ولكن من حسن حظي أن جدتي كانت ميتة، وإلا لكان تخلص منها».

Twitter: @alqareah

والآن، ألبس «كلاوس الصغير» جدته العجوز ملابس الخروج في يوم الأحد، واقترض حصانًا من جاره وربطه في العربة، وأجلس السيدة العجوز في المقعد الخلفي حتى لا تقع أثناء قيادة المركبة، وانطلق بها خلال الغابة. وعندما أشرقت الشمس وصلوا إلى فندق كبير، فأوقف مركبته، ودخل الفندق يتناول وجبة الإفطار.

كان صاحب الفندق رجلًا ثريًا يملك أموالًا طائلة، وكان رجلًا طيبًا ولكنه حاد الطباع.. فقال الرجل لـ «كلاوس الصغير»: «صباح الخير، لقد أتيتَ اليوم مبكرًا في أبهى حلل يوم الأحد».

فقال له «كلاوس الصغير»: «نعم، إنني في طريقي إلى المدينة، ومعي جدتي العجوز.. وهي جالسة في المركبة؛ لأنني لم أستطع أن أحضرها معي إلى الداخل. فهل تسمح أن تقدم لها كأسًا من الجعة؟ وعليك أن تحدثها بصوت مرتفع؛ لأن سمعها ثقيل».

قال صاحب الفندق: «سأفعل هذا طبعًا».. وصبَّ الجعة في كوب كبير، وخرج به إلى الجدة الميتة التي تجلس في المركبة.

وقال صاحب الفندق للجدة: «تفضلي. هذا كوب من الجعة بعثه إليك حفيدك»، ولكن السيدة الميتة لم تحر جوابًا وظلت ساكنة في مقعدها.

وصاح صاحب الفندق: «ألا تسمعين؟» ثم كرر بأعلى صوته: «هذا كوب من الجعة بعثه إليك حفيدك».

ولما استمر في الصياح إليها مرة تلو أخرى، ولم يرها تتحرك.. استبد به الغضب وقذف بالكوب في وجهها، فسالت الجعة على أنفها، وسقطت على ظهرها في المركبة؛ لأنها كانت مسنودة فقط وليست مربوطة جيدًا.

Twitter: @alqareah

صاح «كلاوس الصغير»، وهو يهرول خارجًا من الفندق، وأمسك بتلابيب صاحب الفندق: «يا إلهي! لقد قتلتَ جدتي.. انظر.. هذا ثقب كبير في جبهتها».

وبكى صاحب الفندق، وهو يعصر يديه: «يا لها من حادثة، حدثت بسبب حماقتي! فيا عزيزي «كلاوس الصغير» سأعطيك قفة من المال، إذا سكتَّ عن هذا الأمر».

وبهذا حصل «كلاوس الصغير» على قفة مملوءة بالمال، بينما قام صاحب الفندق بدفن الجدة الميتة، كما لو كانت جدته.. وعندما رجع «كلاوس الصغير» إلى منزله بكل هذا المال، أرسل ولدًا إلى «كلاوس الكبير» ليعيره المكيال.

تعجب «كلاوس الكبير» قائلًا: «ما هذا؟ ألم أقتل «كلاوس الصغير»؟ سأذهب بنفسي لأراه».. وحينئذ أخذ المكيال وذهب إلى «كلاوس الصغير»، وسأله، وعيناه تتطلعان إلى هذا المال الإضافي الذي أتى به «كلاوس الصغير»: «من أين لك كل هذا المال؟».

أجابه «كلاوس الصغير»: «إنك قتلت جدتي ولم تقتلني، وقد بعتها الآن بهذه القفة من المال».

فقال له «كلاوس الكبير»: «لقد أوتيت بحق مالًا وفيرًا».

ثم تناول «كلاوس الكبير» فأسًا في يده وقتل به على الفور جدته العجوز، وأركبها مركبة ثم اقتادها إلى المدينة حيث يعيش الصيدلي، وسأله عما إذا كان يريد أن يشتري جثة ميت.

فسأله الصيدلي: «جثة مَن هذه؟! ومن أين أتيت بها؟».

Twitter: @alqareah

أجاب «كلاوس الكبير»: «إنها جثة جدتي، قتلتُها لكي أحصل على قفة من المال».

صاح الصيدلي: «يا إلهي! إنك خَرِف، ولا ينبغي أن تقول مثلما قلت، وإلا دُقَّ عنقك».. ارتعب «كلاوس الكبير» مما قاله الصيدلي، وفرَّ هاربًا بمركبته، وألهب ظهور خيوله بالسياط حتى وصل إلى منزله.. وظن الصيدلي ومن معه أنه مجنون، فتركوه يذهب إلى حيث يشاء.

وبينما كان «كلاوس الكبير» يسير في الطريق العام، توعَّد «كلاوس الصغير» قائلًا: «سوف أنتقم منك لقاء ما فعلت بي». وبمجرد أن وصل إلى المنزل، أحضر أكبر كيس وجده، وذهب به إلى «كلاوس الصغير» وقال له: «الآن لقد خدعتني مرة ثانية.. ففي المرة الأولى نحرتُ خيولي، وفي الثانية قتلتُ جدتي العجوز، وكلها أخطاؤك.. لكنك لن تخدعني بعد الآن»، ثم حمل «كلاوس الصغيرَ» من خاصرته ووضعه في الكيس ، وحمله على ظهره وصاح: «الآن سوف أغرقك».

كان على «كلاوس الكبير» أن يقطع مسافة طويلة حتى يصل إلى النهر، وهو يحمل «كلاوس الصغير» على ظهره وهو ثقيل الوزن.. مر بجوار الكنيسة، وصوت الأرغون يدوي، والناس ترتل تراتيل جميلة بالداخل؛ فوضع «كلاوس الكبير» الكيس بجوار باب الكنيسة، ورغب في أن يدخل الكنيسة، ويستمع إلى التراتيل قبل أن يستأنف السير؛ إذ لن يستطيع «كلاوس الصغير» الخروج من الكيس، بينما كل الناس موجودون داخل الكنيسة.

صاح «كلاوس الصغير»، وهو داخل الكيس: «آه.. يا للهول! آه.. يا للهول!».. وتلوى واستدار داخل الكيس؛ ولكنه لم يستطع أن يفتحه.

Twitter: @alqareah

وفي هذه اللحظة، مر راعٍ عجوز شعره أبيض كالطباشير.. كان يقود أمامه قطيعًا من البقر والثيران، فهرول القطيع نحو الكيس الذي بداخله «كلاوس الصغير».

وصاح «كلاوس الصغير» ثانية: «آه! يا للهول! إنني صغير، وذاهب توًّا إلى الجنة».

فقال الراعي: «وأنا المسكين الطاعن في السن، لم أتأهل بعد إلى الجنة».

فصاح «كلاوس الصغير»: «افتح الكيس! وتعال ادخل بدلًا عني، فسوف تدخل الجنة على الفور».

فقال الراعي: «يسعدني هذا».. وفك الكيس عن «كلاوس الصغير»، الذي انطلق خارجًا منه.. فقال له الرجل العجوز: «أرجوك أن ترعى القطيع»، وزحف إلى داخل الكيس الذي أغلقه «كلاوس الصغير»، قبل أن يستأنف سيره ومعه الأبقار والثيران.

وأخيرًا حضر «كلاوس الكبير» قادمًا من الكنيسة، وحمل الكيس على ظهره. وبطبيعة الحال شعر بأنه خفَّ وزنه عما قبل؛ لأن الراعي العجوز كان أخف وزنًا من «كلاوس الصغير». فقال لنفسه: «ما أخف هذا الحمل الآن! نعم؛ لأنني استمعت إلى التراتيل والمواعظ».

قصد «كلاوس الكبير» النهر الذي كان عميقًا وواسعًا، وقذف الكيس وبه الراعي في الماء، وصاح ظانًّا أن الذي بداخله هو «كلاوس الصغير»:

«هكذا تخلصتُ منك للأبد، فلن تخدعني بعد اليوم».

ويمم وجهه شطر منزله، ولكنه ما إن بلغ تقاطع الطرق، حتى رأى «كلاوس الصغير» يقود القطيع أمامه.

فقال «كلاوس الكبير»: «ما هذا؟ ألم أغرقك؟».

Twitter: @alqareah

فأجاب «كلاوس الصغير»: «هذا صحيح.. لقد ألقيتني في النهر منذ نصف ساعة».

فقال «كلاوس الكبير» متعجبًا: «ومِنْ أين أتيت بهذا القطيع الجميل؟!».

فأجاب «كلاوس الصغير»: «إنه قطيع بحري.. وسأقص عليك الحكاية برمتها، وإني أشكرك على أن أغرقتني.. لقد كنت أرتعد خوفًا وأنا راقد في الكيس، وأنت تلقيني في الماء البارد من فوق الجسر.. وعندما سقطتُ، انفتح الكيس وشاهدتُ أمامي أجمل حورية في الماء، ترتدي ملابس بيضاء، ويتوج رأسها تاج أخضر من الزهور.. أمسكت بيدي وسألتني: «هل أنت حقًّا «كلاوس الصغير»؟ أولًا، هذا جزء من القطيع، وبعد ميل من الطريق هناك قطيع آخر، أريد أن أمنحك إياه.. وحينئذ رأيت أنَّ النهرَ ممر كبير لرواد البحر، ففي القاع يسير الناس ويقودون قطعانهم قادمين من البحر؛ حيث ينتهي بهم الأمر عند مصب النهر، وهناك تجد الزهور يانعة والحشائش خضراء، بينما تمر الأسماك في الماء بالقرب من أذني بالطريقة نفسها، التي تمر بها الطيور في الهواء. والناس هناك يتميزون بالأناقة، أما القطعان فتسير بالقرب من الأسوار وفي الأودية».

وسأله «كلاوس الكبير»: «ولكن لماذا أتيت إلى هنا سريعًا؟ لو كنتُ مكانك ما أتيت إلى هنا».

فأجابه «كلاوس الصغير»: «آه، نعم، لقد كان ذلك أحمق شيء فعلتُ.. ويجب عليك أن تدرك أن حورية الماء أبلغتني عن وجود قطيع آخر على بعد ميل من الطريق، وهي تعني بذلك طبعًا في النهر؛ لأنها لا تخرج من الماء، ولكني أعلم أن النهر ينحني ويتلوى مرة ذات اليمين، وأخرى ذات اليسار، والتفافه طويل.. حسنًا، يمكنك اختصار الطريق بالخروج إلى اليابسة ثم

Twitter: @alqareah

نزول النهر مرة أخرى؛ لتفادي ذلك المنحنى الطويل.. وهنا اختصرتُ نصف ميل من المسافة، ووصلتُ إلى قطيع البحر سريعًا».

فقال له «كلاوس الكبير»: «يا لك من رجل محظوظ! هل ترى أنني أستطيع أن أحصل على قطيع بحري، إذا نزلت إلى قاع النهر؟».

فأجابه «كلاوس الصغير»: «آه، نعم، أظن أنك تستطيع ذلك، ولكنني لا أستطيع أن أحملك في كيس إلى النهر.. ولكنك إذا سرت بنفسك إلى هناك ودخلت داخل الكيس ، فإني أستطيع أن ألقاك هناك بكل سرور».

فقال «كلاوس الكبير»: «أشكرك كثيرًا، ولكن إذا لم أحصل على قطيع بحري هناك، فسوف أضربك ضربًا مبرحًا».

فقال «كلاوس الصغير»: «كلا! لا تكن خسيسًا لهذه الدرجة».

ثم ذهبا معًا إلى النهر. وكان القطيع عطشان، فلما رأى الماء جرى سريعًا لكي يشرب.. قال «كلاوس الصغير»: «انظر كيف يهرول، إنه متعطش للعودة إلى قاع النهر ثانية».

فقال له «كلاوس الكبير»: «حسنًا، ساعدني أولًا، وإلا ضربتك ضربًا مبرحًا»، ثم دخل في الكيس الكبير الذي كان ملقًى على ظهر أحد الثيران، وأضاف قائلًا: «ضع به حجـرًا، لأنني أخشى ألا أستطيع الغطس».

فقال له «كلاوس الصغير»: «لا تخف سوف تغطس»، ثم وضع حجرًا في الكيس، قبل أن يحكم ربطه ثم دفعه إلى الماء. وأحدث سقوطه في الماء طرطشة. وهكذا غاص «كلاوس الكبير» إلى القاع- وإلى الأبد- دون تأخير.

وهنا قال «كلاوس الصغير» مبتسمًا: «أخشى ألا يجد القطيع»، ثم قاد قطيعه إلى حيث يشاء.

Twitter: @alqareah

الأسرة السعيدة
1848

أكبر ورقة شجر خضراء على هذه الأرض هي ورقة الحُمَّاض، فإذا بسطتها على بطنك غطتها تمامًا مثل المئزر، وإذا وضعتها على رأسك في جو ممطر، حمتك تمامًا كالمظلة، فهي كبيرة بشكل غير مألوف.. ونبات الحماض لا ينمو وحيدًا، فحيثما ينمو يتكاثر، وهذا شيء يبعث السرور، وهو طعام للقواقع، التي كان بعض الأثرياء يستخدمونها قديمًا في صناعة اللحم بالصلصة فيأكلونها؛ لأنهم يظنون أن طعمها لذيذ. وتعيش القواقع على أوراق الحماض، ولهذا كانوا يزرعون نبات الحماض.

والآن، بُنِي منزل قديم في وسط المزارع، لم يعد سكانه يأكلون القواقع؛ لأنها انقرضت، ولكن نبات الحماض لم ينقرض؛ إذ كان ينمو وينمو فوق جميع الممرات وفي الأحواض الزراعية.. ولم يعد الناس يهتمون به، حتى صارت هناك غابة كاملة من نبات الحماض، ونمت فيها أشجار متفرقة من التفاح والبرقوق، الأمر الذي يجعلك تظن أن هذه حديقة. وكل ما فيها هو نبات الحماض؛ حيث كان يعيش آخر زوج من القواقع العجوزة.

وهذان القوقعان لا يعرفان عمريهما، ولكنهما يتذكران جيدًا أنه كان هناك الكثير من جنسهما ينتمي إلى بلاد أجنبية، كما كانا يعرفان أن هناك شيئًا وحيدًا في العالم، ذلك الشيء هو هذا المنزل. وفيه كانت تُطهى القواقع حتى تصير

Twitter: @alqareah

سوداء اللون، ثم تُقَدَّم في صحاف من فضة، ولكن ماذا يحدث بعد ذلك؟ لا أحد يعلم؛ لأنهما لا يتصوران كيف كان شعورهما، وهما يُطبخان ويقدمان في طبق من الفضة، والمفروض أن ذلك شيء يدعو للسرور والتميز.. ولم يستطع قارض الأشجار ولا الضفدع ولا دودة الأرض أن يفيدوهما بأية معلومات؛ فلم يتعرض أحدهم للطهي والتقديم في طبق من الفضة.

كان القوقعان العجوزان أكثر الأحياء تميزًا ورُقيًا في العالم؛ فالغابة أنشئت من أجلهما، والمنزل الريفي أقيم ليتم شيّهما وتقديمهما على طبق من الفضة.

وهما الآن يعيشان في عزلة تامة وسعادة غامرة، ولما كانا يفتقدان الأطفال، فقد تبنيا قوقعًا صغيرًا من النوع العادي، ولكنه لا يبتغي النمو لأنه عادي؛ فالأبوان العجوزان- والأم القوقع خاصة - يظنان أنه يتطور. وسألت الأم القوقع الأب القوقع عما إذا كان لا يراه، وطلبت منه أن يلمسه، فلمس محارته وتبيَّن له أن ما قالته الأم القوقع صحيح.

وذات يوم هطلت الأمطار بغزارة. وقال الأب القوقع: «انظري كيف تتساقط الأمطار، وتُـحدث صوتًا على أوراق الحماض».

فقالت الأم القوقع: «وكذلك تأتينا القطرات، يا للعجب! إنها تتساقط من سيقان النباتات، وسوف تتبلل الأرض هنا، ونحن سعداء لوجود منازل لنا. ومن المؤكد أن ما يُقَدَّم لنا يزيد عما يُقَدَّم للكائنات الأخرى.. الواضح أننا سادة العالم وأمراؤه؛ فقد تهيأ لنا البيت منذ مولدنا وزُرعت غابة الحماض من أجلنا، وأحب أن أعرف مدى امتدادها، وماذا وراءها».

قال الأب القوقع: «لا شيء بعدها، فليس هناك مكان أفضل مما نحن فيه الآن، ولا نتمنى شيئًا أفضل منه».

Twitter: @alqareah

قالت الأم القوقع: «آه، نعم، أحب أن أذهب إلى المنزل الريفي وأن أُطهى وأقدَّم على طبق من فضة. ولتتصور أن في هذا شيئًا خاصًّا».

قال الأب القوقع: «ربما تهدَّم المنزل الريفي، أو حتى طغت عليه غابة الحماض؛ حتى لم يستطع سكانه الخروج منه. وليس لنا أن نتعجل في هذا الأمر، ولكنكِ دائمًا مندفعة ومتسرعة، والآن يقلدكِ الصغير؛ فقد ظل يتسلق ساق النبات لمدة ثلاثة أيام، حتى أصابني الصداع وأنا أنظر إليه».

قالت الأم القوقع: «الآن، لا تنزعج، فهو يتسلق بثبات، وسوف يكون فرحتَنا الكبيرة، فليس لنا شيء غيره نحيا من أجله، ولكنك لم تفكر في مكان نجد له فيه زوجة، ربما وُجد في غابة الحماض أحد من جنسنا؟».

قال القوقع العجوز: «أستطيع أن أقول إن هناك عدة يرقات سوداء، دون منزل، ولكن يا للخسارة! إنها شديدة الغرور والكبرياء.. وعلينا أن نكلف النمل بالنظر في هذا الشأن، ومن المؤكد أنه يعرف زوجة لقوقعنا الصغير».

فقال النمل: «طبعًا أعرف زوجة جميلة، ولكننا نخشى ألا تناسبه، فهي ملكة».

قال القوقع العجوز: «لا بأس بهذا، وهل عندها منزل؟» فقال النمل: «نعم، عندها قصر، أجمل قصور النمل، به سبعمائة قاعة».

فقالت الأم القوقع: «لا، شكرًا لك.. ولدنا لن يعيش في تل النمل، فإذا لم تكن لديك زوجة أفضل، فسوف نكلف البعوض الصغير الأبيض بذلك؛ فهو يطير بعيدًا وفي مجال أوسع، كما أنه يعرف غابة الحماض، داخلها وخارجها».

قال البعوض: «عندنا زوجة له، تبعد عنا مائة خطوة من خطوات البشر، تجلس فوق إحدى أشجار التوت الأبيض، وهي قوقعة صغيرة ولها منزل..

Twitter: @alqareah

وتعيش وحيدة، وقد بلغت العمر المناسب لزواجها، وهي على بُعد مائة خطوة من خطوات الرجال فقط».

قالت القوقعة العجوز: «حسنًا، دعها تأتِ إليه، فهو يملك غابة من نبات الحماض، بينما لا تملك هي إلا شجرة واحدة».

وهكذا أحضروا فتاة القوقع الصغيرة، واستغرق حضورها ثمانية أيام، ولكنها كانت مناسبة، ونستطيع أن نقول إنها تنتمي إلى الفصيلة نفسها.. وحينئذ عُقد القران وتم الزفاف، وتألقت ست دودات على أكمل وجه، وتقدم الجمع بهدوء؛ لأن القواقع العجوزة لم تستطع أن تبعث السرور والنشوة المأمولة، ولكن الأم القوقع قدَّمت حديثًا جميلًا، بينما الأب القوقع لم يستطع أن يقدِّم شيئًا من فرط سعادته.. ووهبا كل نبات الحماض في الغابة لهما، وقالا ما سبق أن قالاه من قبل: إنها أفضل غابة في العالم. ونظرًا إلى أنهما عاشا عيشة هنيئة وتكاثرا، فإن أطفالهما سوف يدخلون المنزل الريفي ويُطبَخون، حتى يصير لونهم أسود، ويقدَّمون على أطباق من الفضة.

وبعد إتمام هذا الحديث، زحف العجوزان إلى منزلهما، ولم يخرجا منه بعد؛ فقد خلدا إلى النوم.

وحكم القوقعان المتزوجان في الغابة وخلَّفا ذرية كبيرة، ولكنهما لم يُطْهيا ولم يقدَّما على طبق من الفضة. ومن هنا علما أن المنزل الريفي قد تهدم، وأن جميع الناس قد انقرضوا من العالم، وبالتالي لن يعترض سبيلهما أحد بطبيعة الحال. وهطل المطر ليتساقط فوق أوراق الحماض، ويعزف لهم موسيقى، كما سطعت الشمس على غابة الحماض؛ لتزينها بألوانها الرائعة، وعاشوا جميعًا أسرة سعيدة، وهذه حقيقة!

Twitter: @alqareah

طوق العنق
1848

كانت كل ثروة الفارس الأنيق تتمثل في أداة خلع الحذاء ومشطة، كما كان يمتلك أجمل طوق عنق في العالم؛ وهو حديث هذه القصة.

والآن، بعد أن طال عمر هذا الطوق فكَّر في الزواج، وجمعته الغسالة مع حمالة الجوارب.

قال طوق العنق: «يا للعجب! ما رأيت واحدة طوال حياتي في مثل هذه الرقة والرشاقة، ليِّنة الجانب، تغري بالأحضان».

وقالت حمالة الجوارب: «لن أقول شيئًا».

فسأل طوق العنق: «إلى أي فصيلة تنتمين؟».

ولكن الحمالة كانت خجولة، ورأت أن هذا سؤال غريب لا تجيب عنه.

فقال طوق العنق: «أستطيع أن أقول إنكِ محزمة للوسط، وأرى أنكِ فتاة صغيرة مفيدة ومتألقة».

قالت حمالة الجوارب: «لا تخاطبني، وأظن أنني لم أمنحك الفرصة للحديث معي».

فقال طوق العنق: «آه، نعم، إن حسنكِ وجمالكِ هما الفرصة السانحة لكي أتحدث معك».

Twitter: @alqareah

أجابت الحمالة: «لا تقترب مني؛ فأنت مذكر».

فقال الطوق: «أنا فارس أنيق كذلك، ولديَّ أداة خلع الحذاء ومشطة». ولم تكن هذه حقيقة؛ فصاحبه هو الذي يمتلكهما، وما هو إلا مفاخر مُبالغ فيما يقول.

قالت الحمالة: «لا تقترب مني، فلم أتعود ذلك».

فقال الطوق: «إنكِ لرجعية شديدة الاحتشام» ثم خرج من الغسالة. وكان منشًّى ومعلقًا على أحد المقاعد تحت أشعة الشمس، قبل أن يوضع على طاولة الكواء، وحينئذ حضرت المكواة الساخنة.

قال الطوق: «سيدتي، يا أيتها السيدة الصغيرة الأرملة، لقد صرت دافئًا، وأصبحت شيئًا آخر، وفقدت ثنياتي وكرمشتي، وأنتِ حرقتِ ثقبًا فيَّ، يا للاشمئزاز والذعر! إنني أخطب ودَّكِ».

فقالت له المكواة: «يا لك من شيء تافه!» ثم مرت بغطرسة فوقه، وهي تتصور أنها قاطرة بخارية، تسير على قضبان السكك الحديدية وتجر وراءها العربات.

وقالت: «يا لك من شيء تافه!».

وكان طوق العنق متهالكًا من الأطراف، فأقبلت أنثى المقص لتقص الوبر وتساوي الأطراف.. قال طوق العنق: «آه! أستطيع أن أقول إنكِ راقصة الباليه الأولى، يا للعجب! كيف تمدين رجليك؟ فهذا أجمل منظر رأيته في حياتي، وليس ثمة أنثى من البشر تملك مثل هاتين الساقين».

قالت أنثى المقص: «أعلم ذلك».

Twitter: @alqareah

فقال طوق العنق: «تستحقين أن تكوني نبيلة، وكل ما أملك هو فارس أنيق وأداة خلع الحذاء ومشطة، وليتني أملك ضيعة».

فقالت أنثى المقص، وهي غاضبة: «إنه يغازلني ويخطب وُدّي للزواج»، ثم انقضَّت عليه بقَصَّة كبيرة استبعدته.. فقال طوق العنق لنفسه: «لابد لي أن أطلب يد المشطة للزواج».

قال طوق العنق للمشطة: «إن الطريقة التي تحافظين بها على أسنانك أيتها الآنسة الصغيرة لا يصدقها عقل، فهل فكرتِ يومًا في الزواج مني؟».

فقالت المشطة: «كلا، بل إنني مخطوبة لأداة خلع الحذاء»؛ فتعجب طوق العنق قائلًا: «مخطوبة!» والآن أصبح لا يفكر في الزواج، واحتقر فكرة الزواج.

مر وقت طويل، انتهى بوضع طوق العنق في صندوق مصنع الورق.. وكانت الخرق البالية تقيم حفلًا، ترقص فيه الخرق الناعمة بمفردها والخرق الخشنة بمفردها، كما ينبغي أن يكون.. وكانت كل منها لديها الكثير الذي تقوله، ولكن طوق العنق كان لديه أكثر، فهو الجريء حقًّا.

قال طوق العنق: «كانت لديَّ حبيبات كثيرات، ولم يكنَّ يتركنني أعيش في سلام، ولكنني صرت فارسًا أنيقًا ذا نشاء، وكانت عندي أداة خلع الملابس والمشطة، ولم أكن أستخدمها.. آه لو رأيتموني حينئذ عندما أرقد على جانبي، ولن أنسى حبيبتي الأولى؛ إذ كانت محزمة للوسط، رقيقة، ناعمة، تملأ الأحضان، ألقت بنفسها في حوض ماء من أجلي، وكانت هناك سيدة أرملة صارت حمراء من فرط الحرارة، ولكنني تركتها تقف هناك حتى صارت سوداء، وهناك أيضًا راقصة الباليه الأولى، التي خمشتني فأحدثت

Twitter: @alqareah

بي ندبًا ما زلت أحفظه؛ لأنها كانت شرسة، ولكن قلبي ينزف على حمالة الجوارب - أعني بها محزمة الوسط - التي انتهى بها الحال في حوض الماء؛ فضميري به الكثير، وقد آن الأوان لأتحول إلى ورق أبيض».

وهكذا تحول مع جميع الخرق البالية إلى ورق أبيض، ولكن طوق العنق تحول إلى قطعة الورق البيضاء التي تقرؤها الآن؛ ذلك أنه تبجح بشدة بإتيان أعمال لم يفعلها مطلقًا، ويجب أن تعي ذاكرتنا هذا؛ حتى لا يحدث لنا مثلما حدث له؛ لأننا لا نعلم هل سننتهي في صندوق الخرق البالية التي تحولت إلى ورق أبيض، طُبعت عليه حكايتنا كاملة بجميع أسرارها، وندور لنحكيها بأنفسنا، كما نحكي قصة طوق العنق.

Twitter: @alqareah

الحكاية تنطبق عليك

1836

أبدع الحكماء القدامى طريقة ودّية؛ لإبلاغ الناس بالحقيقة دون مواجهتهم بما يخدش حياءهم؛ إذ وضعوا أمامهم مرآة مفردة، تظهر فيها كل أنواع الحيوانات والأشياء العجيبة، وقدموا عرضًا مسليًا وخالدًا، وأطلقوا عليها اسم «حكاية». وكل ما تفعل الحيوانات من أمور سخيفة أو ذكية فيها، كان على الإنسان أن يقلدها ويطبقها على نفسه.. وهكذا يفكر الإنسان: إن الحكاية تنطبق عليَّ، ولنضرب لذلك مثلًا.

كان هناك جبلان شامخان، على قمة كل منهما بُني قصر.. وفي الوادي بسفحهما، كان أحد الكلاب يجري، وهو يتشمم على طول الطريق باحثًا عما يسكّن جوفه من الفئران أو طيور الحجل. ومن أحد القصرين، سمع صوت بوق يدوي فجأة معلنًا الدعوة إلى الطعام.. وعلى الفور، بدأ الكلب يجري نحو القصر، الذي انطلق منه صوت البوق، لعله ينال منه شيئًا يسد به رمقه، ولكنه بمجرد أن وصل إلى منتصف الطريق توقف صوت البوق من هذا القصر، بينما بدأ صوت بوق آخر ينطلق من القصر الآخر.

وفكَّر الكلب، قائلًا لنفسه: «لعلهم يكونون انتهوا من تناول الطعام في القصر الأول قبل أن أصل إليهم، بينما يكون أصحاب القصر الثاني قد بدءوا في

Twitter: @alqareah

تناول الطعام». ولهذا نزل من طريقه إلى القصر الأول، وصار يجري في طريق القصر الثاني.

ولكن البوق في القصر الأول بدأ الآن يطلق صوته مرة ثانية، بينما توقف صوت البوق في القصر الثاني.. وهكذا هبط الكلب من طريقه إلى قصر، وتوجه للصعود في طريقه إلى القصر التالي حتى صمت كلا البوقين، ويفترض أن تكون الوجبات قد توقفت، بغض النظر عن موقع الكلب بين القصرين.

وعليك الآن أن تفكر: على أي واحد منا، يريد الحكماء القدامى أن يطبقوا هذه الحكاية ؟ فأنت تُنهك نفسك على هذا النمط، دون أن تجني ثمارًا من هذا أو ذاك.

Twitter: @alqareah

تاك الصغير
1847

نعم ذلك هو «تاك» الصغير.. لم يكن اسمه الحقيقي «تاك»، بل كان ذلك هو ما اعتاد أن يدعو نفسه به؛ نظرًا لأنه لم يكن يستطيع النطق السليم.. وكان يقصد به «تشارلي»؛ فإذا عرفه أحد، أيقن أن ما ينطقه مناسب لاسمه الحقيقي.

وهو الآن مكلف برعاية شقيقته الصغرى «جوستاڤا»، وعليه كذلك أن يذاكر دروسه، وهما المهمتان اللتان لا تستويان. جلس الولد المسكين وأخته الصغرى في حجرة يهدهدها بجميع أنواع الأغاني التي يعرفها، وبين حين وحين يلقي نظرة على كتاب الجغرافيا، الذي وُضع أمامه مفتوحًا؛ وبحلول الصباح الباكر، يتعين عليه أن يحفظ عن ظهر قلب جميع مدن جزيرة «زيلاند» الدنماركية[1]، وأن يعرف كل ما ينبغي على المرء أن يعرفه عنها.

عادت أمه الآن إلى المنزل، وأخذت «جوستاڤا» الصغيرة في حضنها. وهرع «تاك» إلى النافذة، وقرأ باهتمام كل ما قرأه من قبل حتى كادت عيناه تجحظان؛ حيث أطبق الظلام على المنزل، ولم يكن لدى الأم المال الكافي لشراء الشموع.

---

(1) زيلاند: أكبر جزيرة في الدنمارك، وتقع بين شبه جزيرة جاتلاند والسويد، وأكبر مدنها كوبنهاجن [ويبستر - المترجم].

Twitter: @alqareah

قالت أمه، وهي تطل من النافذة: «المرأة الغسالة العجوز تخرج من الحارة هناك، وهذه المسكينة لا تكاد تجر ساقيها؛ وهي الآن تحاول أن تحمل دلو الماء الذي ملأته من البئر.. فكن طيبًا يا «تاك»، وسارع إلى مساعدة هذه المرأة العجوز.. فهل تذهب إليها؟».

وهرول «تاك» وراح يساعدها؛ ولكنه عندما عاد إلى غرفته، كان الظلام قد خيم عليها.. وليس هناك ما يقال عن الشموع؛ فتوجه إلى فراشه، وكان سريره أريكة قديمة. وعندما رقد، راح يفكر في درس الجغرافيا، و«زيلاند» وكل ما ذكره المدرس. وكان ينبغي عليه أن يعيد قراءته، ولكنه لم يستطع ذلك؛ ولهذا وضع كتاب الجغرافيا تحت وسادته، لأنه سمع أن هذه هي أفضل وسيلة لحفظ الدرس، ولكن لا يستطيع أحد أن يعتمد عليها.

رقد «تاك» وهو يفكر، وتصور فجأة أن فردًا يقبِّله من عينيه ومن فمه. وحاول النوم ولكنه لم ينم، وظن أن الغسالة العجوز تنظر إليه بعيون رحيمة، وتقول: «إني لأشفق عليك كثيرًا، إذا لم تحفظ درسك غدًا. فقد ساعدْتني، وأنا الآن سوف أساعدك، والله في عون كلينا».

وفجأة، بدأ الكتاب يزحف من تحت وسادة «تاك».

أتت دجاجة تزحف من مدينة «كجوج»[1]، وصاحت:

- «كاك.. كاك!.. أنا دجاجة من «كجوج» ».

وحينذ أبلغته بعدد سكان المدينة، وبالمعركة التي دارت هناك، رغم أن هذه المعلومات لا تكاد تستحق الذكر حقًّا.

---

(1) كجوج: مدينة صغيرة تقع على خليج كجوج، فإذا رفعْتَ طفلًا، بعد أن تضع يديك تحت إبطيه، كأنك «تريه دجاجات كجوج».

Twitter: @alqareah

«طاخ.. طوخ!» صوت شيء يسقط.. كان طائرًا خشبيًّا، ببغاء من مباراة الرماية في «بريستو»[1].. قال إن بها سكانًا بعدد المسامير التي في جسده، وكان مزهوًّا فخورًا، وقال:

- «إن «ثوروالدسين» يعيش بالقرب مني.. طـاخ!.. أنا أرقد هنا بارتياح».

ولكن «تاك» الصغير لم يعد بعدُ راقدًا في السرير، بل هو يمتطي صهوة جواد، وراح يجري بالحصان. أخذه فارس فاخر الثياب أمامه، يضع ريشه في مقدمة سرج حصانه، ومضى به خلال غابة مدينة «فورد نجبورج» القديمة، وهي مدينة صاخبة جدًّا؛ حيث ترتفع الأبراج عالية من قصر الملك، وتشع الأضواء من كل نافذة؛ وتنبعث الأغاني ويدور الرقص، ويرقص الملك «فالديمار» مع فتيات الشرف الأنيقات.. أقبل النهار وسطعت الشمس وغاب قصر الملك فجأة من البصر، وانهارت الأبراج الواحد بعد الآخر، وأخيرا ظل أحد الأبراج قائمًا فوق التل، الذي كان القصر قائمًا عليه؛ وكانت المدينة[2] صغيرة جدًّا وفقيرة، وأقبل تلاميذ المدارس يتأبطون كتبهم ويقولون: «ألفان من السكان»؛ ولم يكن ذلك صوابًا؛ حيث إن المدينة لم يكن بها مثل هذه الوفرة.

وسُمع صوت ينادي: «يا «تاك» الصغير! يا «تاك» الصغير!».. تبين أنه بحّار، شخصية صغيرة، كما لو كان صبيًّا حرفيًّا، ولكنه لم يكن كذلك. قال

(1) بريستو: مدينة صغيرة مستقرة، وتقع ضيعة نيسو على بضع خطوات منها، حيث يعيش ثوروالدسين عندما يكون في الدنمارك؛ إذ كتب كثيرًا من أعماله الخالدة.

(2) فورنجبورج: كانت في عهد الملك فالديمار مدينة قيمة، ولكنها الآن موقع ليست له قيمة، وليست إلا برجًا منعزلًا وأطلالًا لقصر قديم..

Twitter: @alqareah

البحار: «إني آتيك بتحية من «كورسور»[1]؛ وهي مدينة حيوية تنمو نموًّا عظيمًا، بها البواخر ومركبات البريد - وكانوا يعتبرونها فيما مضي قبيحة.. ولكنها الآن ليست كذلك».

قالت «كورسور»: «أطلُّ على شاطئ البحر، وبي طرق سريعة وحدائق مبهجة، ووُلد فيَّ شاعر ذكي ومُمتع، ولا يقال ذلك لجميع المدن. وذات يوم تمنيت أن أُعِدَّ سفينة تبحر حول العالم؛ ولكنني لم أفعل ذلك، رغم أنني كنت قادرة على ذلك.. أنا ذات رائحة عطرة، إذ إن أجمل الورود المتفتحة تنمو بالقرب من بواباتي».

نظر «تاك» الصغير حوله فبدا المنظر أحمر وأخضر أمام ناظريه، وعندما أوشك اختلاط الألوان على الزوال قليلًا، تغير كل شيء فجأة إلى منحدر مليء بالغابات لصيقًا بالخليج، وفوقه ظهرت كنيسة قديمة رائعة ذات برجين عاليين مدببين. وتنبع من هذا التل ينابيع للماء في صفوف كثيفة، تصدر عنها أصوات الخرير الدائم، وبجوارها جلس ملك عجوز على رأسه البيضاء تاج ذهبي.. ذلك هو الملك «هرور» ملك الينابيع المجاورة لمدينة «روز كيلدي»[2] كما يسميها الناس الآن. وفوق التل حيث توجد الكنيسة القديمة، يذهب كل ملوك وملكات «الدنمارك»، يدًا بيد، وعلى رؤوسهم التيجان الذهبية، بينما يعزف الأرغون وتتدفق الينابيع.. رأى «تاك» الصغير كل هذا وسمعه.

(1) كورسور: مدينة تقع على الحزام الكبير، اعتاد الناس أن يسموها أتعس مدينة في الدنمارك قبل إنشاء البواخر؛ لأن المسافرين كانوا ينتظرون ريحًا طيبة، ولد فيها الشاعر باجيسين.

(2) روز كيلدي: أي ينبوع الورد، كانت ذات يوم عاصمة الدنمارك. اشتق اسمها من الملك هرور والينابيع الكثيرة المجاورة.. وقد دُفن في ساحة الكاتدرائية الجميلة معظم ملوك وملكات الدنمارك، وفيها اعتاد النبلاء ورجال الدين والعوامّ الاجتماع مع بعضهم.

Twitter: @alqareah

وقال له الملك «هرور»: «لا تنسَ هذه المدن!».

وفجأة اختفى كل شيء، فإلى أين ذهب؟ يبدو له الأمر كأنه يقلب صفحة في كتاب.. وهناك جلست الآن فلاحة عجوز، قدمت من «سوروي»[1]، حيث تنمو الحشائش في موقع السوق؛ تغطي رأسها وكتفيها بإزار رمادي مبلل، فقد كانت السماء تمطر.

قالت المرأة: «نعم، إنها تمطر!» وكانت تعرف أشياء جميلة من مسرحيات «هولبيرج»، كما تعرفُ عن «ڤالديمار» و«آبسالوم».. ولكنها انكمشت فجأة وهزت رأسها، كما لو كانت على وشك أن تقفز، وقالت: «كواك! إنها مبتلة، إنها مبتلة! هناك صمْتُ الموت المناسب جدًّا في سوروي». ثم تحولت فجأة إلى ضفدعة، وقالت: «كواك!»، ثم عادت إلى هيئة المرأة العجوز ثانية، وقالت: «يجب على المرء أن يرتدي ثيابًا تناسب الطقس.. إنها مبتلة! إنها مبتلة! ومدينتي تشبه الزجاجة، من يدخلها أو يخرج منها يعبر السدادة.. في زمن مضى كان لديَّ سمَكٌ ممتاز، والآن لديَّ أولاد حمر الخدود في قاع الزجاجة، وهم يتعلمون الحكمة - من العبرية والإغريقية - «كواك».

كان الصوت يبدو كأنه نقنقة ضفادع، أو صوت وقع أقدام حذاء غليظ لإنسان بدائي يسير عبر الأدغال، مزعجًا على الدوام ورتيب الإيقاع، بحيث دعا «تاك» الصغير إلى النوم، دون أي أذى.

وفي نومه هذا، رأى «تاك» في المنام أن شقيقته الصغرى «جوستاڤا» ذات العيون الزرقاء والشعر المضفَّر في جدائل، صارت فجأة فتاة طويلة وبخيلة،

(1) سوروي: مدينة صغيرة، هادئة تمامًا، تقع في موقع جميل بجوار الغابات والبحيرات.. بنى فيها هولبيرج الكاتب المسرحي الدنماركي أكاديمية عريقة، ودرَّس فيها الشاعران هانسن وإنجمان.

Twitter: @alqareah

استطاعت أن تطير دون أجنحة.. وهما الآن يحلقان فوق «زيلاند» والغابات الخضراء والبحيرات الزرقاء.

ورب قائل: «هل تسمع هذا الغراب يا «تاك»؟ «كاك!.. كاك!». فالطيور تطير خارج «كجوج»! وسوف تمتلك فناءً مملوءًا بالدواجن.. فناءً كبيرًا جدًّا! ولن تعاني من الجوع أو الفاقة؛ وسوف تصيد الطائر كما يقول المثل؛ وتصير رجلًا غنيًّا وسعيدًا. ويرتفع منزلك مثل برج الملك «فالديمار»، وتزينه التماثيل المرمرية بسخاء مثل تماثيل «بريستو»، فأنت تفهمني جيدًا. وسوف يسافر اسمك بالشهرة إلى كل العالم، مثل السفينة التي كان مقررًا لها أن تبحر من «كورسور».

قال الملك «هـرور»: «لا تنسَ المدن، فسوف تتكلم بحكمة وتعقُّل يا «تاك»، وأخيرًا عندما تنزل إلى قبرك، سوف تنام قرير العين».

قال «تاك»: «كما لو كنت أرقد في «سوروي»!. وعندما استيقظ، كان الصباح مبهجًا، ولكنه لم يتذكر حلمه؛ فليس هذا ضروريًّا، لأن الإنسان لا يدري ما سوف يحدث.. قفز «تاك» سريعًا من سريره، وقرأ كتابه، وحفظ درسه فجأة.. وأطلت الغسالة العجوز برأسها من الباب، وأومأت برأسها إليه بطريقة ودية، وقالت له:

- «أشكرك يا أيها الولد الطيب على مساعدتك لي، وأدعو لك بأن يتحقق حلمك!».

ولم يعرف «تاك» الصغير شيئًا عن منامه، ولكن.. كان هناك واحد أحد فوقه يعرفه.

Twitter: @alqareah

ورقة شجرة من السماء

1855

حلّق ملاك ومعه زهرة من حديقة السماء عاليًا في الهواء الصافي. وبينما هو يقبِّل الزهرة، سقطت ورقة صغيرة جدًّا على التربة الناعمة في وسط الغابة، وسرعان ما ضربت جذورها في الأرض، وأخرجت شطْأها وامتدت أغصانها الجديدة إلى النباتات الأخرى.

قالت النباتات: «هذا نوع مرح من الطعوم».

ولم تستطع النباتات الشائكة ولا الشجيرات ذات الأشواك أن تميز نوعًا من نباتات الحدائق.. وسخروا من هذا النبات الذي لقي ازدراء؛ لأنه قادم من الحديقة.

وصاحت النباتات الشوكية العالية، التي تتسلح أوراقها بالأشواك، وراحت تدمدم: «مِنْ أين أتيت؟ وأنت تهيئ لنفسك مساحة شاسعة.. وهذا كله هراء - ونحن هنا لا نؤيدك!».

وأقبل الشتاء وغطت الثلوج النبات؛ ولكن النبات أضفى على الجليد الذي غطاه هالة كالثريا، وكأن الشمس سطعت عليه من أسفله ومن أعلاه.. وعندما أتى الربيع، بدا النبات مزهرًا وأكثر بهاءً من أي نبات آخر أنتجته الغابة.

Twitter: @alqareah

حضر الآن إلى الموقع عالِـمُ النباتات، الذي يستطيع أن يُمَيِّزُ بين الأبيض والأسود، وتفحص النبات وأجرى عليه اختباره، وتبين له أنه ليس مدرجًا في نظام النباتات؛ ولم يستطع أن يستوضح إلى أية فصيلة ينتمي هذا النبات.. وقال: «لابد أن يكون هذا أحد الأجناس الإضافية التي لا أعرفها؛ لأنها غير مدرجة في أي نظام».

قالت النباتات الشوكية والشجيرات ذات الأشواك مندهشة: «ليس مدرجًا في أي نظام!!».

ورأت الأشجار المحيطة بالنبات وسمعت ما قيل، ولكنها لم تتفوه بكلمة سواء أكانت طيبة أم سيئة؛ الأمر الذي يجعلها حكيمة بالنسبة لمن يتصفون بالغباء.

ودخلت الغابة فتاة فقيرة طيبة؛ نقية السريرة، قلبها عامر بالإيمان.. كان كل ميراثها نسخة قديمة من الكتاب المقدس؛ صدر من بين صفحاته صوت يقول لها: «إذا أراد الناس أن يُضمروا لنا شرًّا، فدعيهم يتذكروا ما حدث ليوسف [عليه السلام].. فمن يضمر السوء في قلبه، فإن الله يحيله إلى منفعة. وإذا قاسينا من الخطأ، أو أصابنا الازدراء وسوء الفهم، فعلينا أن نتذكر كلام الله المتصف بالطهارة والنقاء، الذي يغفر لأولئك الذين آذوا المسيح – عليه السلام –، بينما هو يصلِّي من أجلهم».

وقفت الفتاة صامدة أمام النبات الرائع، الذي تزفر أوراقه رائحة طيبة منعشة، والذي تضوي أوراقه مثل اللهب الملون تحت أشعة الشمس؛ والذي ينبعث من كل زهرة فيه صوت، كأنه يخفي في جوفه نافورة عميقة، تبث الصوت الخالد الذي لا يفْنَى على مر السنين. وبالشكر والتقوى، تأملَتْ الفتاة صنعة الخالق الجميلة، ومالت على الأغصان القريبة منها، تستنشق

Twitter: @alqareah

عبيرها العطري، وقد أضاء النور روحها. ويبدو أنها كانت تؤدي العمل الصالح من صميم قلبها، وودت أن تفرح بقطف زهرة، ولكنها تراجعت عن قطف واحدة، حيث إنها سرعان ما تذبل إن هي أقدمت على ذلك؛ ولهذا قطفت ورقة واحدة، أودعتها في كتابها المقدس الموجود في بيتها؛ لذا ظلت دائمًا خضراء طازجة ولم تذبل قط.

حفظت الفتاة الزهرة بين أوراق الإنجيل الذي وضعته تحت وسادتها.. وبعد بضعة أسابيع وُضِع الكتاب في نعشها، وعلى وجهها الجميل ملامح الموت المقدس، كما لو كانت بقايا ملامح العالم الدنيوي تحمل ملامح الحقيقة، وهي واقفة الآن أمام بارئها.

ولكن النبات الرائع لا يزال مزهرًا في الغابة، وكأنه شجرة فيها، تميل عليها الطيور العابرة فتنحني أمامها.

قالت النباتات الشوكية والشجيرات ذات الأشواك.

«هذا يكسبه الآن جوًّا من الكبرياء غير المعهود؛ فنحن لا نسلك مثل هذا السلوك هنا».

وبصق القوقع الحلزوني فعلًا على الزهرة.. ثم جاء راعي القطيع، وكان يجمع النباتات الشوكية والشجيرات كي يحرقها حتى الرماد.. وكان النبات الرائع مجسدًا ضمن حزمة الحطب.

قال الراعي: «سوف أجعله مفيدًا».

وبعدئذ سرعان ما أصابت ملك البلاد نوبة من الاكتئاب النفسي الشديد.. رغم أنه كان ذكيًّا ويحب العمل، الأمر الذي يفيده بخير.. تلَوْا عليه الكتب التعليمية بعمق، وكذلك أخف وأعقد التعاويذ التي عثروا عليها، ولكنها

Twitter: @alqareah

لم تُجْدِ شيئًا. ثم أرسل أحد أكثر الحكماء شهرة - بناء على طلب الحاشية - مبعوثًا يبلغ الملك أن هناك علاجًا ناجعًا يشفيه ويخفف آلامه.. وقال: «في بلاد الملك ينمو في الغابة نبات أصله سماوي، ومظهره كذا وكذا، ولا يمكن أن يخطئ».

قال راعي القطيع: «أظن أني ضممته إلى حزمتي، وأحرقته حتى الرماد منذ وقت طويل، ولكنني لا أعرف شيئًا أفضل منه».

ونادى صوت على الراعي: «أنت لا تعرف شيئا..! حسنا يا لك من أجهل الجاهلين!».

تلقَّى الراعي هذه العبارة ونسبها إلى نفسه؛ إذ كان هو المقصود بها ولا أحد غيره.

ولم توجد ورقة أخرى من النبات، فالورقة الوحيدة توجد في نعش الفتاة الميتة، ولا يعلم عنها أحد شيئًا. وتجوَّل الملك بنفسه، وهو مكتئب في الغابة، وقال: «هذا هو المكان الذي كان النبات يقف فيه؛ وهو مكان مقدس».

كان الموقع محاطًا بسور من القضبان الذهبية، وقد تعيَّن عليه حارس. وكتب أستاذ علم النبات دراسة مطولة عن النبات السماوي؛ ولهذا كان كله مذهَّبًا بطريقة تناسبه وجميع فصيلته كذلك.. وكان هذا بحق أنسب الأجزاء في هذه القصة بأسرها، ولكن الملك ظل مكتئبًا كما كان مسبقًا؛ وظلت حالته على هذا المنوال، كما قال الحارس على الأقل.

Twitter: @alqareah

الكتاب الأبكم
1851

بجانب الطريق السريع في الغابة، يوجد كوخ منعزل لأحد الفلاحين؛ ثم ينعطف الطريق يمينًا عبر ساحة المزرعة.. سطعت الشمس وتفتحت جميع النوافذ.

كانت هناك حركة وهياج داخل المنزل، ولكن يوجد نعش مفتوح في إحدى التعريشات المزهرة في الحديقة.. لقد حمل الناس أحد الأموات كي يُدفَن هذا الصباح، ولم يكن يقف بجانب النعش أحد يبدو عليه الحزن على الرجل الميت؛ ولم تفر دمعة عليه من أحد. كان وجهه مغطًّى بملاءة بيضاء، وتحت رأسه وُضع كتاب كبير سميك، كانت أوراقه تتكون من ورق النشاف؛ وعلى كل صفحة توجد زهرة جافة، شكَّلت مجموعة من الأعشاب، التي جمعها من أماكن شتى، يتعين أن توضع بجوار جثمانه حسب وصيته؛ ولكل زهرة فصل دلالي مرتبط بحياته.

وعندما سألْنا: «مَن هو هذا الرجل الميت؟» أتانا الجواب: «هو الطالب العجوز. يقال إنه كان ذات يوم صبيًّا نشيطًا، درس اللغات القديمة، وغنَّى.. بل إنه نظم كذلك قصائد الشعر؛ ثم حدث له حادث، جعله يتحول بفكره إلى إدمان الخمر، حتى تدهورت صحته، فأتى إلى هنا في الريف؛ حيث كفله رجل طيب من أهل القرية.. كان وديعًا كالطفل، إلا حينما يأتيه الظلام؛ فتراه

Twitter: @alqareah

كالعملاق، يهرول في الغابات كذكر الأيل الذي يتعرض للقنص.. وذات يوم أعدناه إلى المنزل، وجلسنا معه حتى فتح الكتاب ذا النباتات الجافة، وكان ينظر أحيانا إلى أحد النباتات، وأحيانًا أخرى ينظر إلى نبات غيره، وكانت الدموع دائمًا تنحدر على وجنتيه، ويعلم الله ماذا كان يداعب فكره، وتوسل إلينا أن نضع الكتاب في نعشه؛ حتى يستقر في راحة أبدية في قبره».

رفع الغطاء من على وجهه، وبدا السلام على ملامح الرجل الحديث، حيث غمرت أشعة الشمس وجهه؛ وحلَّق عصفور في جولات رشيقَة في الغوطة، ثم عاد سريعًا، وشقشق فوق رأس الميت.

أيّ شعور غريب هذا الذي مَرَّ بنا جميعا ونحن نقلب صفحات رسائلنا القديمة، التي كتبناها في أيام شبابنا! حيث تبدو لنا منها حياة جديدة، بطموحاتها وآمالها وأحزانها. فكم كان أصدقاؤنا الحميمون كثيرين في تلك الأيام، التي تبدو كما لو كانت ميتة! ولكنها كانت حية منتعشة، رغم أننا أهملناها ولم نفكر فيمن ظننَّا أنهم خالدون، مِن الذين ينبغي علينا أن نشاركهم أفراحهم وأتراحهم.

فورقة البلوط الذابلة هنا في هذا الكتاب تذكِّر مالكها بالصديق، زميل الدراسة الذي يعتبر صديق العمر، ذلك الذي رشق هذه الورقة الخضراء في قبعة الطالب في الغابة الخضراء، عندما كانت الرابطة أبدية «مدى الحياة».. فأين يعيش الآن؟ الورقة محفوظة.. ولكن الصداقة انقضت! وهنا يوجد نبات غريب ينمو في الصوبات الدافئة؛ يبدو رقيقًا جدًّا بالنسبة لحدائق الشمال الباردة؛ وغالبًا ما تحتفظ الأوراق برائحتها العطرة.. منحته إياها الشابة العاملة في حديقة النبيل.. وتلك هي وردة الماء العذب، التي

Twitter: @alqareah

قطفها بنفسه ونَدَّاها بدموعه المالحة.. وهذه شجرة شوكية: أية قصة تحكيها أوراقها؟ وأية أفكار داعبته وهو يقطفها ويحتفظ بها؟ وهنا سوسنة زنبقية من الوادي، قطفها منذ أيام الاغتراب في الغابة.. وذاك نبات دائم الخضرة، جمعه من أصيص زهور في الحانة، وهنالك نصل لإحدى أوراق الحشائش الطويلة.

لوَّحت الشجرة المزهرة العجوز بأزهارها الناضجة العطرة فوق الرجل الميت، وعاد العصفور للتحليق فوقه ويقول: «بي.. ڤيت!. بي.. ڤيت!».

وجاء الرجال الآن بالمسامير والمطارق، ووضعوا الغطاء فوق الميت؛ كي تستريح رأسه فوق الكتاب الأبكم.

Twitter: @alqareah

الحبيبان: الخذروف والكرة
1844

رقد الخذروف(*) والكرة معًا في درج واحد مع لعب أخرى، وقال الخذروف للكرة: «هل يمكن أن نكون حبيبين، حيث إننا نرقد معًا في دُرج واحد؟».. ولكن الكرة المصنوعة من الجلد المغربي بأشكال معينة كالفتاة حديثة الأزياء، لا تريد الاستجابة لهذا النداء.

في اليوم التالي، أتى الولد الذي يملك كل هذه اللعب، فدهن الخذروف باللونين الأحمر والذهبي، ودقَّ مسمارًا نحاسيًّا في وسطه، حتى صار منظر الخذروف، وهو يدور رائعًا. فقال للكرة: «انظري إليَّ! كيف أبدو لك الآن؟ هل يمكن أن نكون حبيبين؟ فعلاقتنا ببعضنا سويَّة.. فأنتِ تقفزين، وأنا أدور وأرقص.. ولن يكون هناك أسعد منا».

فقالت الكرة: «هذا ما تراه أنت.. فأستطيع القول إنك لا تعرف أن أبي وأمي مصنوعان من جلد مغربي، وأن بداخلي إسفنج».

فقال الخذروف: «نعم، ولكنني مصنوع من خشب الماهوجني، كما أن الصانع بنفسه هو الذي خرطني مستديرًا؛ لأن عنده المخرطة ، وقد سعد كثيرًا بإنتاجي».

(*) الخذروف: عُوَيدٌ مشقوق في وسطه، يُشَدُّ بخيط فيُسمعُ له طنين. ويشبَّه به كل سريع في جريه (المعجم الوسيط) ، وهو أيضًا : لعبة معروفة باسم النحلة (المترجم).

Twitter: @alqareah

قالت الكرة: «هل أستطيع حقًّا أن أعتمد على ذلك؟».

وقال الخذروف: «أتمنى ألا أُضرب بالسوط حتى أدور إذا ظَلَلْتُ راقدًا».

قالت الكرة: «أنت تتحدث جيدًا عن نفسك، ولكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك، فأنا سعيدة بخطبتي إلى عصفور. وفي كل مرة أرتفع في الهواء يخرج رأسه من عشه، ويقول: «أهلًا بك، أهلًا بك»، ورحبت بذلك بنفسي، وسعدت بهذه الخطبة، ولكني أعدك بألا أنساك أبدًا».

فقال الخذروف قبل أن يتوقفا عن الكلام: «حسنًا، سوف يكون هذا عونًا كبيرًا لنا».

في اليوم التالي أخذ الولد الكرة، فرآها تطير عاليًا في الهواء كالعصفور، وأخيرًا اختفت، ثم عادت مرة ثانية. فهي دائمًا تقفز عاليًا عندما تلمس الأرض، ويحدث هذا إما من كثرة الاشتياق أو من وجود الإسفنج بداخلها. وفي المرة التاسعة اختفت الكرة ولم تعد ثانية، وبحث عنها كثيرًا ولكنها غابت.

وشهق الخذروف: «أعرف أين هي الآن، فقد دخلت عند العصفور وتزوجته».

والحقيقة أن الخذروف كلما فكر فيها ازداد شوقًا إليها.. والغريب أن الكرة اتخذت وليفًا آخر، فدار الخذروف ورقص، ولكنه كان يفكر دائمًا في الكرة، التي صارت في نظره أحب وأحب، وعلى هذا مرت سنوات عديدة، صنعت قصة حب قديمة.

وشاخ الخذروف ولم يعد شابًّا كما كان، ولكن ذات يوم تم طلاؤه بالذهب، فصار أجمل مما كان مسبقًا، فهو الآن خذروف ذهبي، ظل يدور حتى دندن بصوت مسموع، ثم دار وارتفع عاليًا حتى اختفى فجأة.

Twitter: @alqareah

وبحث الولد عنه كثيرًا في كل مكان، فلم يعثر له على أثر.. فأين هو الآن؟

لقد سقط في سلة المهملات؛ حيث تُلْقى كل النفايات، مثل: سيقان الكرنب والكناسة وكسر الحجارة، وكل ما ينزل من أنابيب الصرف الصحي.

وقال الخذروف: «لابد أن أعترف بأن هذا المكان الجميل مناسب لرقودي فيه، ولو أن الدهان الذهبي سيذهب هباء. وما هؤلاء الرعاع الذين أتيت إليهم؟» وحينئذ اختلسَ نظرةً إلى ساق كرنبة طويل أتى قريبًا منه.. لقد كان شيئًا غريبًا مستديرًا، يبدو كأنه تفاحة معطوبة، ولكنه لم يكن تفاحة، بل كان كرة قديمة ركدت في أنبوب الصرف الصحي عدة سنوات، وكانت تنضح ماء.

قالت الكرة، وقد لمحت الخذروف الذهبي: «شكرًا للسماء، فقد وهبتني شيئًا من جنسي، أستطيع أن أتحدث إليه. وحقيقي أنني مصنوعة من جلد مغربي، وأخاطتني أيدي فتاة وبداخلي إسفنج، ولكن لا أحد يستطيع أن يميز معالمي ولا مَنْ أنا؛ فقد كنتُ في طريقي إلى أن أتزوج العصفور، ولكنني سقطت في أنبوب الصرف الصحي، حيث رقدت خمس سنوات أنضح ماء، وهو وقت طويل مَرَّ عليَّ.. صدّقني في هذا الأمر».

لكن الخذروف لم يقل شيئًا، بل كان يفكر في حبيبة قلبه القديمة.. والحق يقال، إنه كلما سمع حديث الكرة زاد يقينًا بأنها هي.. وأتت الخادمة لتفرغ سلة المهملات، فقالت: «يا لها من مفاجأة الآن، فها هو الخذروف الذهبي».

Twitter: @alqareah

عاد الخذروف إلى البيت بتكريم رفيع وشرف سامٍ، ولكن لم يسمع أحد عن الكرة، التي لم يتحدث عنها الخذروف، حبيبها القَديم.. لقد انتهى كل شيء، عندما ظلت الكرة حبيبة القلب، راقدة في أنبوب الصرف الصحي لمدة خمس سنوات تنضح ماء، ولا يمكن أن تتبين ملامحها ثانية، إذا قابلتها في سلة المهملات.

Twitter: @alqareah

الحذاء الأحمر
1845

ذات يوم، كانت هناك بنت صغيرة، جميلة ورقيقة، ولكنها كانت تمشي دائمًا في الصيف حافية القدمين لأنها فقيرة، بينما كانت تلبس في الشتاء حذاء خشبيًّا كبيرًا، حتى صارت قدماها حمراوين لدرجة كبيرة.

وفي وسط القرية، كانت تعيش صانعة الأحذية العجوز، تجلس وتخيط الأحذية بقدر ما تستطيع من أشرطة من القماش الأحمر القديم؛ حتى صنعت حذاء صغيرًا، وكان الحذاء سيئًا، وصار من نصيب البنت الصغيرة التي تدعى «كارين».

وفي اليوم ذاته الذي لبست فيه الحذاء الأحمر، للمرة الأولى، دُفنت والدتها. وكان الحذاء غير لائق لتشييع الجنازة، ولكنها لم يكن لديها البديل، فسارت حافية القدمين خلف النعش المتواضع المصنوع من القش.

وفي اللحظة نفسها أقبلت عربة كبيرة قديمة جلست فيها سيدة عجوز ضخمة، فنظرت إلى البنت الصغيرة بحسرة، وقالت للراهب: «اسمع!.. أعطني هذه البنت الصغيرة، وسوف أرعاها بحنان».

وظنت «كارين» أن هذا الأمر جاء بسبب الحذاء الأحمر، ولكن السيدة العجوز قالت إنه شنيع ومحروق. ومُنحت «كارين» ملابس نظيفة وأنيقة كي

Twitter: @alqareah

ترتديها، وتعلمت القراءة والحياكة، وقال الناس عنها إنها جميلة؛ وحتى المرآة قالت لها: «ما أبهاك! وما أجملك!».

ذات مرة جالت الملكة في مملكتها، وأخذت معها ابنتها الصغيرة، التي كانت أميرة.. وتدافَع الناس إلى القصر، وكانت «كارين» معهما. ووقفت الأميرة تطل من النافذة وهي ترتدي ثوبًا أبيض؛ ولم تَرتدِ فستانًا طويلًا ولا تاجًا، ولكنها كانت تلبس حذاءً أحمر من الجلد المغربي. ومن المؤكد أنه كان أجمل بكثير من الحذاء الأحمر، الذي صنعته صانعة الأحذية العجوز لـ«كارين» الصغيرة.. وبعد كل هذا، لم يكن في العالم شيء يماثل الحذاء الأحمر.

والآن، كبرت «كارين» وأصبحت سعيدة، فقد ارتدت ملابس جديدة وحذاء جديدًا كذلك. وفي المدينة، قـاس صانع الأحذية الثري قدميها الصغيرتين في ردهة منزله، التي كانت حافلة بأقفاص زجاجية كبيرة، مليئة بالأحذية الجميلة والأحذية الطويلة اللامعة.. كان المنظر جميلًا، ولكن السيدة العجوز كانت قصيرة النظر؛ بحيث لم يمكنها النظر. وفي وسط كل هذه الأحذية، يوجد حذاء أحمر يشبه الحذاء الذي تلبسه الأميرة. كم كان جميلًا! وقال صانع الأحذية إنه صنعه لابنة أحد النبلاء، ولكن مقاسه لم يناسبها.

وقالت السيدة العجوز: «أستطيع القول إنه من جلد أصيل، وإنه لامع».

فقالت «كارين»: «نعم، إنه لامع».. وكان مقاسه مناسبًا لها، فاشترته لها السيدة العجوز التي لم تلاحظ أن لونه أحمر؛ لأنها لا تسمح لـ«كارين» أن تذهب إلى قداس في الكنيسة، وهي تلبس حذاء أحمر، ولكن هذا ما حدث بالتحديد.

Twitter: @alqareah

نظر كل شخص إلى قدميها، وهي تسير في الممر المؤدي إلى منصة الكنيسة، وبدا لها أن الصور جميعًا في الكنيسة - صور الرهبان وزوجاتهم بياقاتهم الجافة وثيابهم السوداء الطويلة- تثبت أنظارها على حذائها الأحمر.

وفكرت في هؤلاء فقط، عندما وضع الكاهن يده فوق رأسها، وتحدث عن التعميد المقدس وعهد الله، وقال لها إنك الآن مسيحية شابة. ودوى صوت الأرغن بقداسة، وترنم الأطفال بأصواتهم العذبة، وأنشد رئيس الجوقة، ولكن «كارين» كانت تفكر فقط في الحذاء الأحمر.

وبحلول المساء، أُبلغت السيدة العجوز بأن حذاء «كارين» كان أحمر، فقالت : يا للعار، إنه لَشَيْن قبيح! وبعدئذ حرصت «كارين» على الحضور إلى الكنيسة، وهي تلبس حذاء أسود، حتى لو كان قديمًا.

في يوم الأحد التالي عقد المحفل المسيحي، فنظرت «كارين» إلى الحذاء الأحمر، ثم نظرت إلى الحذاء الأسود، ثم نظرت ثانية إلى الحذاء الأحمر ولبسته. وكان الطقس صيفيًّا جميلًا، وسلكت «كارين» مع السيدة العجوز ممرًّا، خلال حقل القمح الذي كان متربًا.

وعلى باب الكنيسة، جلس الجندي العجوز ذو العكاز واللحية الطويلة العجيبة، التي كانت تميل إلى الاحمرار أكثر من البياض، وانحنى بجسمه حتى اقترب من الأرض، وطلب من السيدة العجوز أن يمسح لها الحذاء. ومدت «كارين» كذلك قدميها الصغيرتين؛ ليمسح لها حذاءها، وقال الجندي: «انظري، كم هو حذاء رقص جميل! عليك أن تظلي تلبسينه عندما ترقصين»، ثم دق النعل بيده.

Twitter: @alqareah

ومنحت السيدة العجوز الجندي شلنًا، ثم دخلت الكنيسة، ومعها «كارين».

ونظر جميع الحضور إلى حذاء «كارين» الأحمر، كما نظرت إليه جميع الصور المعلقة.. وعندما ركعت «كارين» أمام المحراب، ورفعت الكأس الذهبي إلى شفتيها، لم تفكر في شيء إلا في الحذاء الأحمر، وخيل إليها أنه يسبح في الكأس، ونسيت ترتيل الابتهالات، والصلاة لله.

وخرج كل الناس من الكنيسة، وركبت السيدة العجوز مركبتها، ثم رفعت «كارين» قدمها لتركب المركبة، فرآها الجندي العجوز، الذي كان واقفًا بالقرب منها، وقال لها: «انظري، كم هو حذاء رقص جميل!» وما كادت تسمعه حتى خطت خطوات به راقصة، فإذا ما بدأت الرقص، ظلت قدماها ترقصان، كما لو كان الحذاء هو الذي يتحكم فيهما. رقصت «كارين» حول أركان الكنيسة، ولم تستطع أن تتوقف، وركض وراءها سائق المركبة حتى أمسك بها ورفعها إلى المركبة، ولكن قدميها ظلتا ترقصان، حتى رفستا السيدة العجوز رفسًا مزعجًا، وأخيرًا خلعوا الحذاء حتى استراحت قدماها.

وفي المنزل وضعت «كارين» الحذاء في دولاب الأحذية، ولكنها ما زالت تنظر إليه.

مرضت السيدة العجوز ورقدت في سريرها، حتى قالوا إنها لن تعيش.. وكانت في حاجة إلى التمريض والرعاية الطبية، وكانت «كارين» هي أنسب الأشخاص لهذا العمل، ولكن كان في المدينة حفل راقص كبير، دُعيت إليه «كارين»، ونظرت إلى السيدة العجوز التي اقتربت من الموت، ثم نظرت إلى

Twitter: @alqareah

الحذاء الأحمر، وظنت أنه لن تكون هناك خطيئة في هذا المجال.. ولبست الحذاء الأحمر، الذي لابد من لبسه، ثم ذهبت إلى الحفل الراقص، وبدأت الرقص.

ولكن عندما أرادت أن تنحرف إلى اليمين، رقص الحذاء إلى اليسار.. وعندما أرادت أن تندفع إلى الأمام، رقص الحذاء إلى الخلف، ثم نزل الدرج وسار في الشارع حتى خرج من بوابة المدينة، ورقصت، وظلت ترقص، حتى دخلت الغابة المظلمة.

عندما لمع شيء بين الأشجار ظنته القمر، ولم يكن إلا وجه الجندي العجوز ذي اللحية الحمراء، الذي جلس وأومأ برأسه، وقال: «انظري، كم هو حذاء رقص جميل!».

ارتعدت «كارين» وأرادت أن تقذف بالحذاء الأحمر بعيدًا، ولكنه ظل ثابتًا في قدميها، ومزقت الجورب، لكن الحذاء ظل ثابتًا في قدميها.. وظلت ترقص في الحقول والوديان.. في المطر وفي ضوء الشمس.. وفي الليل.. ولكن الليل كان أكثر إثارة للرعب.

رقصت في المقابر، ولكن الموتى لم يرقصوا؛ فعندهم ما هو أفضل من الرقص.. وأرادت أن تجلس على قبر الفقير المتسول حيث ينمو نبات الشيح الطبي، ولكن بلا راحة أو سلام لها. وعندما رقصت في اتجاه باب الكنيسة المفتوح، رأت ملاكًا يرتدي ثوبًا طويلًا أبيض، له جناحان طويلان.. وكان وجهه عبوسًا جافًا، وقد أمسك في يده بسيف عريض لامع.

قال الملاك لها: «سوف ترقصين، ارقصي بحذائك الأحمر حتى يشحب لونك وتبردي، وحتى يتجعَّد جلدك مثل الهيكل العظمي، ارقصي من

Twitter: @alqareah

باب إلى باب، وحيث يوجد أطفال مغرورون أشقياء، وسوف تدقين حتى يسمعوك ويخشوك، ارقصي، وسوف ترقصين!».

صاحت «كارين»: «الرحمة»، ولكنها لم تسمع ردًّا من الملاك؛ لأن الحذاء حملها إلى البوابة ثم إلى الحقل، ثم الطريق، وظلت ترقص مرغَمة.

ذات صباح رقصت «كارين» أمام باب عرفته جيدًا.. سمعت من داخله صوت ابتهال، ورأت قومًا يحملون نعشًا مزيَّنًا بالزهور، وعرفت أنه للسيدة العجوز، وشعرت بأن كل الناس هجروها، وأنها ملعونة من ملاك الرب.

وما زالت ترقص وترقص في الظلام الدامس، حتى حملها الحذاء إلى الأشواك وفضلات الحقول، التي خمشت جسدها حتى نزف منها الدم، وهي لا تزال ترقص فوق الأعشاب؛ حتى وصلت إلى بيت منعزل، علمت أن «العشماوي» قاطع رقاب المفسدين في الأرض يعيش فيه، فدقت بأصابعها زجاج النافذة، وقالت: «تعالَ، فأنا لا أستطيع الحضور إليك لأنني أرقص».

قال قاطع رقاب المفسدين: «ربما لا تعرفين مَن أنا؟ أنا قاطع رقاب المفسدين في الأرض، وأشعر بأن السيف يهتز في يدي».

قالت «كارين»: «لا تقطع رقبتي؛ لأنني حينئذ لا أستطيع أن أندم على خطيئتي، بل اقطع قدميَّ الملتصقتين بالحذاء الأحمر».

واعترفت حينئذ بكل خطاياها، وعندئذ قطع قاطع رقاب المفسدين قدميها بالحذاء الأحمر، ولكن الحذاء ظل يرقص بالقدمين المبتورتين فوق الحقول وفي الغابة العميقة.

Twitter: @alqareah

ونحت لها قاطع رقاب المفسدين قدمين وعكازين من الخشب وعلَّمها موعظة يرتلها المخطئون دائمًا، وقبَّلت اليد التي بترت بالسيف قدميها وذهبت عبر الأعشاب، وهي تقول:

- «الآن، لقد عانيت كثيرًا من الحذاء الأحمر، وسأذهب إلى الكنيسة ليراني الرهبان والناس أجمعون». وسارت بسرعة نحو الكنيسة، ولكن عندما وصلت إلى بابها، رأت الحذاء يرقص أمامها، فاستدارت للخلف وهي منزعجة.

طوال الأسبوع كانت «كارين» تتألم وتبكي بالدمع الثخين. وعندما أقبل يوم الأحد، قالت: «هذا هو! الآن وقد قاسيت وقاومت بما فيه الكفاية، فإنني أستطيع أن أقول إنني أماثل، الذين يجلسون في الكنيسة راضين عن أنفسهم» . ثم ذهبت بجرأة، ولكنها لم تدخل أبعد من البوابة؛ إذ رأت الحذاء الأحمر يرقص أمامها، فخافت وارتعدت واستدارت إلى الخلف وكفَّرت عما اقترفت من خطيئة.

توجهت «كارين» إلى منزل الراهب، والتمست منه أن يدلها على بيت تخدمه، وأعلنت أنه سوف يكفيها أن تعيش تحت سقف وأن تخالط قومًا طيبين. وشعرت زوجة الراهب بالأسى نحوها، وأخذتها في خدمتها، وكانت مجتهدة متدبرة. كانت تجلس هادئة وتستمع إلى تلاوة الراهب بصوت عالٍ في **الإنجيل** كل مساء؛ حتى أحبها الصغار، ولكنها عندما تسمعهن يتحدثن عن الملابس الثمينة المزركشة، ويتمنين أن يَكُنَّ في مثل أبهة الملكة، تهز رأسها.

Twitter: @alqareah

في الأسبوع التالي، ذهب الجميع إلى الكنيسة وسألوها عما إذا كانت تريد الذهاب معهم، فنظرت إلى عكازيها نظرة بائسة، وفاضت عيناها بالدموع.. وهكذا ذهب الجميع إلى الكنيسة لسماع كلام الله ، بينما جلست هي وحيدة في غرفتها الفسيحة، التي تحتوي على سرير وكرسي فقط.. جلست تقرأ بخشوع وإيمان في كتاب **المواعظ والابتهالات**، فسمعت أنغام الأرغن تصل إلى أسماعها، وقد حملها الهواء إلى أذنيها؛ فرفعت وجهها إلى السماء والدموع تترقرق في عينيها، وهي تقول: «ساعدني يا ربي!» .

سطعت الشمس بنور ربها، ووقف أمامها ملاك الرب في ثيابه البيضاء، الذي كانت قد رأته ذات ليلة أمام باب الكنيسة.. لم يعد يمسك السيف الحاد، بل حمل في يده غصنًا جميلًا أخضر حافلًا بالورود، لمس به السقف، فنهضت، وعندما لمسه سطعت نجمة ذهبية، ولمس الجدران فاتسعت، وشاهدت الأرغن الذي كان يُصدر الأنغام، كما شاهدت صور الرهبان وزوجاتهم. وكان الحضور في المحفِل جالسين على المقاعد المزركشة يرتلون من **كتاب الابتهالات**؛ لأن الكنيسة ذاتها حضرت إلى المنزل؛ حيث تجلس البنت المسكينة في غرفتها الصغيرة الضيقة، بدلا من أن تذهب هي إلى الكنيسة. وكانت تجلس في المقاعد مع بقية أسرة الراهب.. وعندما فرغوا من ترتيل الابتهالات والمواعظ، نظروا إليها وأومأوا برؤوسهم، وقالوا: «آن الأوان لكي تأتي يا كارين».

فقالت: «هذا من فضل ربي».

Twitter: @alqareah

وانتفخ الأرغن ورددت جوقة الأطفال أصواتًا ناعمة جميلة.. وفاضت أشعة الشمس اللامعة من النافذة إلى المقعد الذي تجلس عليه «كارين»، وامتلأ قلبها بنور الشمس وباليقين والاطمئنان والسعادة، وصعدت روحها في ضوء الشمس إلى بارئها، ولم يعد أحد يسأل عن الحذاء الأحمر.

Twitter: @alqareah

بائعة الكبريت الصغيرة

1846

كان الطقس قارس البرودة، يتساقط فيه الجليد، ويتراجع ضوء المساء بينما يتقدم الظلام.. آخر مساء في السنة، ثم يأتي مساء السنة الجديدة. وفي هذا البرد وذلك الظلام، كانت تمر في الشارع بنت صغيرة فقيرة، رأسها عارٍ دون أي غطاء، وقدماها حافيتان دون أي حذاء ، كانت تلبس في قدميها نعالًا خفيفة، عندما غادرت منزلها، وكانت النعال كبيرة، استخدمتها أمها في آخر الأمر حتى صارت أوسع. وعندما كانت البنت الصغيرة تعبر الشارع بسرعة، قبل أن تقبل عربتان مندفعتان بسرعة رهيبة، انخلعت فردة من النعال ولم تعثر لها على أثر، بينما هرب ولد بالفردة الأخرى، وقال إنه سيستخدمها مهدًا عندما ينجب أطفالًا.

هنالك.. سارت البنت الصغيرة حافية القدمين الصغيرتين، اللتين أحالهما البرد إلى اللونين الأحمر والأزرق. وكانت ترتدي مئزرًا قديمًا، وتمسك في إحدى يديها بضع علب للكبريت، وفي اليد الأخرى علبة واحدة. ولم تكن قد باعت شيئًا منها، ولم يعطها أحد شلنًا واحدًا، فأصابها الجوع والتجمد حتى بدأت ترتعش، وهي تمشي في الشارع. وتساقطت قطع الجليد فوق شعرها الذهبي الذي التفَّت خصله الجميلة حول جِيدها، ولكنها لم تفكر في شيء من هذا الجمال.. كانت الأضواء تنبعث من جميع النوافذ، بينما انبعثت

Twitter: @alqareah

في الشارع رائحة شهية لإوزة مشوية.. وبعد كل هذا، كانت الليلة ليلة السنة الجديدة.. نعم، لقد فكرت في هذا الأمر.

جلست البنت الصغيرة في ركن بين بيتين، برز أحدهما عن الآخر قليلًا في الشارع، وأخذت وضع القرفصاء. وطوت رجليها الدقيقتين تحتها، ولكنها تجمدت أكثر، ولم تستطع أن تعود إلى منزلها.. فلم تكن باعت شيئًا من الكبريت، ولم تكن قد تلقت شلنًا واحدًا. وربما ضربها والدها.. كما أن البيت أشد بردًا من الشارع؛ فلا يعلو رؤوسهم إلا السقف، وتهوي الرياح من خلال الشقوق الكبيرة التي حَشَوْها بالقش والخِرَق القديمة. وتخدرت يداها الدقيقتان من البرد. يا للهول! إن عودًا واحدًا من الثقاب قد يفيدها، فهل تستطيع أن تخرج عودًا واحدًا من العلبة، وتحكه في الحائط وتدفئ به أصابعها؟ أخرجت عودًا وحكَّته، ففرقع.. «طش» ثم احترق، وكان لهبه واضحًا يبعث الدفء، مثل الشمعة الصغيرة المشتعلة، التي تحيطها بيديها للتدفئة.. وكان ضوءًا عجيبًا؛ إذ خُيِّل إليها أنها تجلس أمام مدفأة ضخمة من الحديد، ذات أزرار وطبلة نحاسية. وكانت النار رائعة في عود الثقاب وباعثة للدفء. لا، ما هذا؟ وفردت البنت الصغيرة قدميها لتدفئهما، ولكن اللهب انطفأ، واختفت المدفأة، وظلت جالسة وبقايا العود الصغير الذي انطفأ في يدها.

وحكَّت عودًا آخر، فاحترق ولمع وصار الحائط الذي سقط عليه الضوء شفافًا مثل الشاش؛ فنظرت إلى ما في الغرفة، فرأت المائدة مفروشة بمفرش أبيض لامع، وعليها أطباق من الخزف الصيني، وإوزة مشوية محشوة بالبرقوق المجفف والتفاح، وقد تصاعد منها البخار. أما ما حدث فقد كان

Twitter: @alqareah

أعظم؛ إذ خفقت الإوزة الرائعة بجناحيها، وانزلقت من الطبق الكبير الذي يحتويها، وتهادت في مشيتها على أرض الغرفة، وكانت الشوكة والسكين مرتشقتين في ظهرها، وهي تذهب مباشرة إلى البنت المسكينة، وحينئذ انطفأ عود الثقاب، فلم يعد الحائط يشف عما بداخله.

أشعلت البنت الصغيرة عودًا آخر، وهي جالسة تحت أجمل شجرة عيد ميلاد.. وكانت كبيرة ومزيَّنة بشكل، يفوق مثيلتها التي رأتها خلال الباب الزجاجي في منزل التاجر الثري، في عيد الميلاد في العام الماضي. وكانت ألف شمعة تحترق فوق الأغصان الخضراء، والصور زاهية الألوان التي تشب مثيلاتها؛ لتزين نوافذ العرض في المحلات الكبرى تنظر إليها، وبسطت البنت الصغيرة كلتا يديها في الهواء.. وعندما انطفأ عود الثقاب، ارتفعت شمعات عيد الميلاد الكثيرة ارتفاعًا شاهقًا، حتى رأتها نجومًا لامعة، سقطت إحداها، فأحدثت شريطًا ضوئيًا طويلًا ومخيفًا في السماء.

قالت البنت الصغيرة: «الآن، يموت شخص ما» . قالت هذه العبارة لأن جدتها العجوز- الوحيدة التي كانت تعطف عليها، قبل أن تموت- قالت لها: عندما يسقط نجم من السماء، تصعد روح إلى بارئها.

ثم حكَّت عود ثقاب آخر في الحائط، فأضاء ما حولها؛ فرأت في هذا الضوء جدتها العجوز واقفةً مضيئةً ساطعةً مباركةً لطيفةً.

صرخت البنت الصغيرة، وقالت: «جدتي! خذيني معك، فأنا أعلم أنك تختفين عندما ينطفئ الثقاب، تذهبين كأنك موقد دافئ، وإوزة مشوية رائعة، وشجرة عيد الميلاد الكبيرة المجيدة» . ثم سارعت بإشعال جميع أعواد الثقاب في العلبة؛ لأنها أرادت أن تبقى صورة جدتها تؤنس وحشتها..

Twitter: @alqareah

أضاءت أعواد الثقاب وبثت أشعة أكثر ضياء من ضوء النهار، فلم تبدُ الجدة أكثر جمالًا وحجمًا عندما ظهرت لها، ورفعت البنتَ الصغيرة بين ذراعيها، وطارا إلى أعلى وأعلى في مرح وانشراح، حيث لا جوع ولا برد ولا خوف في جوار الله.

ولكن البنت الصغيرة جلست في ركن بجوار المنزل في الصباح الباكر البارد، وقد تَوَرَّدَ خداها والابتسامة مرسومة على وجهها، وهي ميتة؛ إذ تجمدت حتى الموت في آخر مساء من السنة القديمة. وطلع صباح السنة الجديدة على الجسد الصغير جالسًا، وفي يده علبة الكبريت محترقة؛ إذ أرادت أن تدفئ نفسها كما قيل عنها. ولا يعرف أحد شيئًا عن المشهد الجميل، الذي رأته ، ولا في أي تألقٍ ذهبت مع جدتها العجوز، في سعادة، مع مطلع العام الجديد.

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

خاتمـــة

يضم هذا الكتاب تسعًا وثلاثين حكاية، وهي ليست كل ما أبدع «هانز كريستيان أندرسن»، بل هي ضمن مائة وخمسين حكاية تقريبًا.. جمع بعضها وألَّف معظمها.

ويلاحظ القارئ سعة الأفق ودقة التعبير وبساطة السرد، بما يساهم في بناء الصرح القصصي لهذا المبدع العظيم.

ولعل هذه الحكايات وذاك الخيال وفن السرد تفتح آفاقًا رحبة للمبدعين في العالم العربي؛ ليأتوا بمثل ما أتى، ولهم سابقة في حكايات **ألف ليلة وليلة** و**كليلة ودمنة**، وغيرها من الأدب الشعبي.

وفي ريفنا المصري، تنتشر كثير من حكايات الجن، منها ما يقترب من هذه الحكايات ومنها ما يختلف عنها، الأمر الذي يوحي بأهمية الأدب الشعبي المقارن.

وجدير بالدارسين والباحثين أن يدرسوا ما ورد في هذا الكتاب من حكايات، ويقارنوها بما انتشر في ريفنا العربي.

أسأل الله أن أكون وُفِّقت في نقل هذه الحكايات، من اللغة الإنجليزية (وليس من لغتها الأصلية الدنماركية) إلى اللغة العربية.

Twitter: @alqareah

وليست هذه الترجمة ترجمة حرفية، ولكنها ترجمة للأفكار والمعاني والمفاهيم بطريقة Paraphrasing، وهي الطريقة التي ترجم بها «جون درايدن» ملحمتيْ «هوميروس»: **الإلياذة والأوديسا**، وتفوق بها على ترجمات «**آليكزاندر بوب**» وغيره لهاتين الملحمتين.

أسأل الله تعالى العفو عما أخطأت والثواب فيما أصبت؛ فهذا على أية حال، علم يُنتفع به.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾

[غافر : 38].

المترجم

Twitter: @alqareah

تعريف بالمؤلف

ولد هانز كريستيان أندرسن في مدينة أودينسا في الدنمارك، في الثاني من أبريل سنة 1805، لأب فقير يعمل صانعًا للأحذية.. مات والده وهو في الحادية عشرة من عمره، وفي سن الرابعة عشرة التحق بالمسرح الملكي في كوبنهاجن، وساعده مدير المسرح على الالتحاق بالمدرسة الثانوية ثم بجامعة كوبنهاجن.

نشر أندرسن عدة قصائد ومسرحيات وروايات، وزار ألمانيا والسويد وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال والشرق الأوسط.. كما زار إنجلترا، ونزل ضيفًا على الروائي المعروف «تشارلز ديكنز»، الذي أعجب بكتاباته.

وذاع صيته بعد نشر **حكايات الجن الدنماركية** *Fairy Tales*، وهي تقرب من مائة وخمسين حكاية، كتبها بين عامي 1835 و 1872.. وتوفي في 1875.

واتخذت السلطات الدنماركية من منزله في أودينسا متحفًا، يضم مقتنياته ومؤلفاته.

المترجم

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

تعريف بالمترجم

ولد د. توفيق علي منصور في 9 مارس 1931 بقرية جزيرة الحجر، بمحافظة المنوفية من أسرة من الأشراف، وهو لواء ركن متقاعد وأستاذ جامعي ومترجم وشاعر.. حصل على ماجستير في العلوم الفنية من الأكاديمية الفنية التشيكية، وماجستير في العلوم العسكرية والاستراتيجية من كلية القادة والأركان المصرية، وماجستير ودكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة القاهرة.

شارك في ثورة 23 يوليو 1952 ، وفي حرب العدوان الثلاثي على مصر 1956، وفي حرب اليمن 1964 ، وفي حرب 5 يونيو 1967 ، وفي حرب الاستنزاف 1967 - 1973 ، وفي حرب 6 أكتوبر 1973. وألَّف وترجم أكثر من 60 كتابًا في علوم الهندسة والجيولوجيا والطبوغرافيا والجغرافيا وعلم النفس والإدارة والقانون والمسرح والسياسة.. وصدر له ديوانان من الشعر العمودي والشعر الحر، ومسرحيتان بالشعر الإنجليزي: *The Twice Born and the Twice Died, The Myth of the Library* ومسرحيتان: **الجنيه الذهب وفارس الحصان الأبيض**، ومجموعة قصصية هي: **أساطير وحكايات**، وكتاب في النقد الأدبي: **أساطير وتجليات وترجمات**.

يجيد اللغات: العربية (لغته الأم) والإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية.. كما ترجم كتابًا من الفرنسية: **(Les Pièades)** **«الثريات»** إلى الإنجليزية، تحت إشراف الراحل الأستاذ الدكتور مجدي وهبة. وترجم ثلاثة

Twitter: @alqareah

كتب من العربية إلى الإنجليزية في قانون التحكيم البحري، وقانون حقوق الملكية الفكرية، والنظام الأساسي للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة. كما ترجم جميع قصائد وسونيتات شيكسبير شعرًا في المجلس الأعلى للثقافة ومكتبة الآداب. وأصدر معجم الاختصارات والمصطلحات العامة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية (دار الكتاب اللبناني).

شارك في عدة مؤتمرات دولية، منها: الجنادرية (الرياض)، والملتقى الدولي للترجمة (القاهرة)، وملتقى الأدباء والكتّاب العرب (العريش)، وملتقى أدباء مصر (مرسى مطروح)، وغيرها، وزار كثيرًا من دول قارات أفريقيا وأوروبا وآسيا.. كما أصدر كثيرًا من الدراسات والمقالات في الدوريات العربية والأجنبية. وتعامل مع عديد من دور النشر.

وأدخل تطويرًا في الدبابات المصرية ؛ إذ ابتكر مقدر مسافة للرامي؛ مما رفع كفاءتها في حرب أكتوبر المجيدة، وأدخله السوفييت في دباباتهم.

وناقش عدة أطروحات في الماجستير في الجامعات العربية والمصرية (موضوعات أمنية وجغرافية)، وعمل مستشارًا صحفيًا **لمجلة الحرس الوطني**، ورئيسًا للجنة الإعلام في مؤتمر الجنادرية الحادي عشر بالرياض (1996). ويعمل أستاذًا مساعدًا للغة الإنجليزية في الجامعات العربية والمصرية، وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واتحاد الكتّاب المصري.

فاز المترجم بجائزة الشاعر عبد الله باشراحيل، في الترجمة، عن ترجمة ملحمة شيكسبير «**اغتصاب لوكريس**» شعرًا بشعر، وهي المسابقة التي نظمتها جامعة المنيا لعام 2009.

Twitter: @alqareah

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
مقدمة المترجم	7
الهوامش	19
مراجع المترجم	20
مقدمة الناشر	21
العندليب	23
ملابس الإمبراطور الجديدة	35
الأميرة وحبة البازلاء	41
عروس البحر الصغيرة	43
البرغوث والأستاذ	69
الرجل الجليدي	75
فرخ البط الدميم	82
قطرة الماء	93
البستاني والنبيل والنبيلة	95
ملكة الجليد (مغامرة في سبع حكايات)	104
الحكاية الأولى: عن المرآة وشذورها	104

Twitter: @alqareah

الموضوع	الصفحة
الحكاية الثانية: ولد صغير وبنت صغيرة	105
الحكاية الثالثة: حديقة زهور المرأة الضليعة في الشعوذة	112
الحكاية الرابعة: الأمير والأميرة	120
الحكاية الخامسة: اللصة الصغيرة	127
الحكاية السادسة: الزوجة اللابية والزوجة الفنلندية	132
الحكاية السابعة: ماذا حدث في قصر ملكة الجليد؟ وماذا حدث بعد ذلك؟	136
الشلن الفضي	141
في فناء البط	147
جرس الكنيسة القديم	155
القداحة	161
حديقة الفردوس	171
الشموع	189
الفتاة التي دعست رغيف الخبز	193
القوقع الحلزوني وشجرة الورد	203
ما يفعل زوجي هو الصواب دائمًا	206
التميمة	213
الأمير الشرير (أسطورة تاريخية)	216
أبعد الأشياء عن التصديق	219
القلم والمحبرة	224

Twitter: @alqareah

الموضـــــوع	الصفحة
الصندوق الطائر	227
خلال ألف سنة	234
جنِّيَّة الورد	238
إبريق الشاي	244
ديك الجرن وديك الطقس	246
ذَكَر الفراش	249
كلاوس الصغير وكلاوس الكبير	253
الأسرة السعيدة	268
طوق العنق	272
الحكاية تنطبق عليك	276
تاك الصغير	278
ورقة شجرة من السماء	284
الكتاب الأبكم	288
الحبيبان: الخذروف والكرة	291
الحذاء الأحمر	295
بائعة الكبريت الصغيرة	303
خاتـمة	307
تعريف بالمؤلف	309
تعريف بالمترجم	311

Twitter: @alqareah

تضم هذه المجموعة تسعًا وثلاثين حكاية، من أكثر أعمال "هانز كريستيان أندرسن" إبداعًا وجمالًا، وأدقها تعبيرًا وأخصبها خيالًا، تجمع بين سعة الأفق وعمق الفكرة، وبساطة السرد، وسهولة العبارة، وهي لون من ألوان الفن الشعبي، والموروث الثقافي الذي يكون أقرب إلى النفوس، وأمتع للعقول، ولا عجب فكاتبها من أشهر مؤلفي الدنمارك، وأعماله من أشهر الأعمال الأدبية في العالم؛ لأنها لا تختص بطائفة معينة وإنما يقرؤها الصغار والكبار، على اختلاف ثقافاتهم ومعارفهم، وما بين قصة وأخرى عالم من الخيال، وفكرة من الواقع يرحلان بنا إلى آفاق بعيدة، وعوالم خاصة، لنخرج في النهاية بعبرة وفكاهة، ومعلومة وحكمة، ليتغير لون الحياة، ويُفتح باب الأمل.

9 789774 278426

الدار المصرية اللبنانية